الإمام مالك

وتأسيس المصطلح الفقهي

مما تميّز به دور التأصيل في المذهب المالكي- والذي أشرف عليه مالك بنفسه - تأسيس مالك – رضي الله عنه – للمصطلح الفقهي الخاص بالمذهب، وقد سلك فيه طريقتين:

الطريقة الأولى: وهي الطريقة العامة التي اشترك فيها مع إخوانه من أئمة المذاهب الأخرى، وترجع إلى جملة المعاني التي وضعت بلسان القرآن الكريم، أو بلسان السنة الشريفة، فهذه ليس لأي كان تغييرها وتبديل دلالتها على غيرما أطلقت فيه، أو جملة الألفاظ والمسميات المبنية على الأوضاع التي صارت من الحقائق العرفية؛ حيث يستوي الناس في استعمالها والفهوم في إدراك مدلولاتها.

أما الطريقة الثانية: وهي الخاصة، والتي اعتمد فيها على عبقريته اللغوية وأساليب التعبير الجارية عند أهل الحجاز، وتتجلى لنا مظاهر هذا العمل اللغوي في بناء المصطلح الفقهي الخاص بالمذهب في كتاب الموطأ من خلال سبعة أنحاء؛ هي:

١ - القصد إلى الحقائق الشرعية وتنزيلها على محالها بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده في ضبط المعنى المقصود من ذلك اللفظ الشرعي، وذلك مثل لفظ "العرية"، فقد فسرها مالك، وبين وجه الرخصة فيها في الموطأ بما جاء مخالفًا لبعض المذاهب وموافقًا للبعض الآخر، وقد بسط هذا الأمر ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد، ومن هذا الباب أيضًا: النهي عن "الملامسة" "والمنابذة"، وما فسر به مالك – رضي الله عنه – ماهيتها وتحقق معنى الضرر فيها والفرق بين معناها، ومعنى بيع الأعدال على "البرنامج"، ويدخل في هذا الباب أيضًا تفسيره "للركاز"؛ بأنه دفن الجاهلية خلافًا لمن يفسره بالمعادن، ومنه تفسير "النجش" الذي ورد في الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – نهى عنه، قال مالك: – رضي الله عنه – النجش أن تعطيه بسلعته أكثر من ثمنها، وليس في نفسك اشتراؤها، فيقتدي بك غيرك، ومثل هذا النحومن تقرير الحقائق الشرعية كثير في الموطأ.

٢ - التعبير عن صورة من الأحكام أو باب منها بعبارة لم ترد لذلك الباب بخصوصه في لسان الشرع، ولكنها استمدت من تعبير شرعي فيما لا يختلف عن المعنى المقصود، فانتزعت المعنى المقصود، وخصصت به، وأصبحت حقيقة عرفية فيه؛ مثل تعبير الإمام في الموطأ عن ميراث الأولاد من والدهم أو والدتهم باسم ميراث الصلب، وهو التعبير الذي شاع بعد ذلك بين الفرضيين؛ قال القاضي أبوبكر بن العربي إن مالكًا – رضي الله عنه – هو أول من عير بهذه العبارة آخذًاإياها من قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ الطارق: ٧.

٣ - تعبير تقرر عند فقهاء المدينة من قبل، فاعتمده مالك وعبر به وطبقه على محله، وفصل صوره كما في لفظ العهدة، وتقسيمها إلى عهدة الثلاث وعهدة السنة وتخصيصها بالرقيق.

٤ - التصرف بالاختيار بين لفظين وردا مترادفين في استعمال الحقائق الشرعية والاقتصار على أحدهما حتى أصبح تخصصه بذلك مصطلحًا عرفيًا، وذلك مثل اختيار لفظ "القراض" على لفظ "المضاربة"، قال ابن رشد الجد: (القراض: هذا اسمه عند أهل الحجاز، وأما أهل العراق فلا يقولون قراض البتة، ولا عندهم كتاب القراض، وإنما يقولون مضاربة وعندهم كتاب المضاربة)، ومن هذا القبيل "الحبس" في مقابلة "الوقف"، وقد قال ابن رشد في هذا: (الحبس والوقف معناها واحد لا يختلفان في وجه من الوجوه)، ومن ذلك اختيار "الصداق" على "المهر"، وهما مترادفان، وقد استعمل الفقهاء من المالكية وغيرهم اللفظين معًا بمعنى واحد إلا أن الإمام مالكًا في الموطأ أكثر ما استعمل لفظ الصداق، وإن عبر بالمهر أحيانًا.

٥ - أسماء راجت على ألسنة الناس تبعًا لرواج مسمياتها فعبر بها في مقام تقرير الحكم الشرعي المنطبق عليها، ومثال ذلك بيع "العينة"، وهو البيع بثمن إلى أجل ثم اشتراء نفس المبيع بأقل من ذلك الثمن كما فسرها في القاموس، وقد عنون بها مالك - رضي الله عنه - تصور بيع الطعام قبل قبضه، ومن مثل هذا أيضًا "الرقبى"، وهي تحبيس رجلين دار بينهما على أن من مات منهما فحظه حبس على الآخر، وقد قال ابن القاسم لم يعرف مالك الرقبى، ففسرت له فلم يجزها، ومن مثله أيضًا استعمال الطعام بمعنى البر كما هو الجاري في تعبير أهل الحجاز كما صرح به الشيخ أبو الحسن في شرح الرسالة.

٦ - معاني فقهية قال بها الإمام مالك - رضي الله عنه - وارتجل التعبير عنها بألفاظ تصلح للوفاء بمعناها ولكنها لم تستعمل عند غيره في خصوص ذلك المعنى؛ مثل "الاعتصار" للرجوع في العطية، وهو أصل اللغة مطلق الطلب والأخذ، ومثل البيع على البرنامج الذي جعله عنوانا للبيع على الصفة والمقادير الضابطة، وهذا راجع لا محالة إلى ماعرف به مالك - رضي الله عنه - من متانة السليقة وقوة الارتجال في اللغة بتعبير فصيح.

٧ - ما يرجع إلى مجرد الذوق في اختيار التعبير أو اختيار المناسبة والترتيب مما يخترع له الإمام مالك - رضي الله عنه - ما انفرد به، ولم يسبق إليه مثل اختراع كتاب الجامع في ختام الموطأ للمعاني المفردة التي لم يتأت له جمعها في كتاب فجمعها أشتاتًا في كتاب الجامع، وهو اختراع نبه إليه أبو بكر بن العربي. ويدخل في هذا المعنى الجوامع التي ختم بها كتبًا من الموطأ يجمع فيها المسائل المفردة التي لم تفصل على تراجم مثل: جامع الصيام وجامع الحج وجامع الطلاق وجامع بيع الثمار وجامع الطعام وجامع البيوع وجامع القضاء وغيرها.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

إسهام العلماء المجاورين في الحرمين الشريفين في نشر العلم على نطاق واسع

(صالح بن مهدي المقبلي - المتوفى سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٦م- أنموذجًا)

أ. عبد الله يحيى السريحي

دار الكتب الوطنية - أبو ظبي

مقالات

كانت مكة والمدينة مهوى أفئدة المسلمين، وستظلان كذلك إلى قيام الساعة لوجود الحرمين الشريفين فيهما، ولفضلهما وفضل العبادة فيهما على غيرهما من الأماكن، ولارتباط الحرم المكي بالركن الخامس من أركان الإسلام (الحج)، واقترنت رحلة الحج لدى كثير من العلماء بالمجاورة في مكة أو المدينة بقصد التفرغ للعلم والعبادة، والأخذ عن علمائهما أو القادمين إليهما من سائر أقطار العالم الإسلامي، ونشر ما عندهم من علم بين الراغبين في الأخذ عنهم، وارتبط علم الحديث، وهو من أوائل العلوم الإسلامية نشأة وإتقانًا، بالرحلة في طلبه وتحصيله منذ عهد الصحابة والتابعين، فرحل[1] علماء السلف وأئمة الحديث في أقطار العالم الإسلامي بحثًا عن حفظته ورواته الثقات، وتجشموا في سبيل ذلك الأهوال والأخطار، وكانت هذه الرحلة تتوج عادة بالحج والمجاورة في مكة والمدينة، بعد أداء مناسك الحج أو قبلها.

وكان للعلماء المجاورين بالحرمين أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية ليس في مكة والمدينة فحسب، بل تجاوز ذلك إلى سائر البلاد الإسلامية، فعودة بعض طلبة العلم الذين جاوروا بالحرمين إلى بلدانهم وقد غدوا علماء أسهم في نشر علومهم ومعارفهم التي حصّلوها أثناء مجاورتهم، فكان الواحد منهم إذا رجع إلى بلده رجع قادرًا على إفادة الناس ونشر العلم في مدينته أو منطقته بكاملها، وقد يتجاوز نفعه إلى ما جاورها من البلدان، فازدهرت الحركة العلمية والثقافية في البلدان التي عادوا إليها، ولست أبالغ إذا قلت: إن جهود هؤلاء العلماء كانت أكثر بركة

وأعظم أثرًا من عشرات البعثات والجامعات المنتشرة اليوم في رحاب العالم الإسلامي؛ لأن هدف المجاورين آنذاك (علماء ومتعلمين) كان في غالبه خالصًا لوجه الله، وليس الحصول على الشهادات والدرجات العلمية.

وكان من بين هؤلاء العلماء المبرزين الذين تيسرت لهم المجاورة بمكة المكرمة العلامة صالح بن مهدي بن علي بن عبدالله بن سليمان المقبلي(٢)، (المتوفى سنة ١١٠٨هـ) وهو عالم، ومفكر، ومجتهد، ومجدد، وأديب، وشاعر، من أبرز علماء اليمن في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) الذين بلغوا رتبة الاجتهاد المطلق، ودعوا إلى تجديد الفكر الإسلامي من خلال الاجتهاد ونبذ التقليد لتجاوز مرحلة الجمود والتعصب الفكري والمذهبي، مولده بقرية المَقْبَل من مخلاف بني خَيْش وأعمال كوكبان سنة ١٠٣٨هـ على الأرجح(٣)، ثم انتقل إلى مدن ثِلا، وشبام، وكوكبان لطلب العلم، ثم ارتحل إلى صنعاء سنة ١٠٧٧هـ للسبب نفسه، وأخذ عن العلماء المبرزين في هذه المدن حتى فاق أقرانه ومشايخه، وصفه شيخ الإسلام محمد ابن علي الشوكاني في كتابه "البدر الطالع"(٤): بأنه "ممن برع في جميع علوم الكتاب والسنة، وحقق الأصولين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير، وله مؤلفات مقبولة كلها عند العلماء، محبوبة إليهم يتنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته، وهو حقيق بذلك، وفي عبارته قوة وفصاحة وسلامة تعشقها الأسماع وتلتذ بها القلوب، ولكلامه وقع في الأذهان قلّ أن يمعن في مطالعته من له فهم فيبقى على التقليد بعد ذلك، وإذا رأى متهافتًا زيفه ومزقه بعبارة حلوة، وقد أكثر الحط على المعتزلة في بعض المسائل الكلامية، وعلى الأشعرية في بعض آخر، وعلى الصوفية في غالب مسائلهم، وعلى الفقهاء في كثير من تفريعاتهم، وعلى المحدثين في بعض غلوهم، ولا يبالي إذا تمسك بالدليل بمن يخالفه كائنًا من كان".

ووصفه العلامة محمد بن إسماعيل الأمير (المتوفى سنة ١١٨٢هـ) بأنه(٥): "الشيخ الإمام العلامة المجتهد المطلق الذي فاق الأقران، بل زاحم الأوائل من العلماء والأعيان، برع في الفنون جميعًا، وما زال في اليمن مشارًا إليه بالبنان...ومؤلفاته كلها مقبولة، وأبحاثه كلها بالأدلة مربوطة. وبالجملة فلم يأت له مناظر في أنظاره، وما هو إلا تنوير إلهي وعناية ربانية. وكان حقيقًا بأن يكتب في شأنه جزء، فإنه من حجج الله، لكنها خفيت أخباره عنا...".

وكان زاهدًا ورعًا عفيفًا متقشفًا مع شجاعة وقوة نفس في المجاهرة بالحق، وعدم المبالاة بأذية الناس، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، وله رسالة شديدة اللهجة وجهها إلى الإمام محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم، المعروف بالإمام المهدي (صاحب المواهب)، المتوفى نحو سنة ١١٣٠هـ، تولى حكم اليمن خلال الفترة من (١٠٩٧-١١٢٩هـ)(٦)، وكان من الحكام الطغاة القساة، ينتقد فيها سياسته وجوره في الرعية، تدل على جرأة المقبلي وحرصه على القيام بواجب الأمر

إسهام العلماء المجاورين في الحرمين الشريفين في نشر العلم على نطاق واسع

بالمعروف والنهي عن المنكر غير عابئ بالنتائج، وذكر مترجموه من وجوه شجاعته وجرأته أنه كان يراجع ويناقش شيوخه ويعترض عليهم فيما يراه خطأ حتى لم يسلم من اعتراضه شيخه الإمام المُتَوَكِّل على الله إسماعيل بن (الإمام) القاسم بن محمد، (المتوفى سنة ١٠٨٧هـ)، وهو من هو في علو منصبه وشدة شكيمته في نصرة الزيدية والذب عنهم والرد على مخالفيهم[٧].

مؤلفات المقبلي:

للمقبلي عدد من المؤلفات في الأصول والتفسير والفقه واللغة تدل على موسوعيته ورسوخ قدمه في العلم ومكانته العلمية، منها:

١- الأبحاث المسددة في فنون متعددة. منه مخطوطة بخط العلامة المجتهد (محمد بن إسماعيل الأمير)، في مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء، برقم (١٩٩) مؤرخة سنة ١١٣٠هـ، وأخرى بالمكتبة نفسها، رقم (٧١٦)، تاريخ نسخها سنة ١١٣٥هـ، وفي مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الغربية)، أربع نسخ، تحمل الأرقام: (٢ معارف عامة)، (٣ معارف عامة)، (٨ معارف عامة)، (٥٣ مجاميع)، ونسخة بمكتبة محمد بن يحيى الذاري الخاصة. طبع بتحقيق الوليد بن عبد الرحمن الربيعي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢- الإتحاف لطلبة الكشاف. منه نسخة خزائنية جميلة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الأوقاف)، تاريخ نسخها ١١٨٨هـ، رقمها ١٣٠، وأخرى بالمكتبة نفسها، تاريخ نسخها ١٣٢٠هـ، رقمها ١٣٢، وفي مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الغربية)، أربع نسخ: الأولى رقم (١ تفسير) تاريخ نسخها ١١٧٣هـ، والثانية رقمها (٢ تفسير)، تاريخ نسخها١٣٦٢هـ، والثالثة رقمها (٣ تفسير) تاريخ نسخها ١٣٧٤هـ، والرابعة رقمها (٤ تفسير)، غير مؤرخة، وفي المكتبة المركزية بجامع الملك سعود نسخة أخرى، برقم ١٣٧٩، حقق النصف الأول منه الدكتور سعيد محمد عبد السلام ناجي الشرعبي، رسالة دكتوراه، جامعة أسيوط، سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، وحقق الدكتور محمد حسن السودي قطعة منه، من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة الإسراء، رسالة دكتوراه من جامعة أم درمان بالسودان، ٢٠٠٩م، وحقق الدكتور عبد الحق غانم سيف سالم، قطعة منه، من أول سورة الصافات إلى آخر سورة الناس، رسالة دكتوراه من جامعة أم درمان بالسودان، ٢٠٠٨م .

٣- العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ، نسخه كثيرة جدًا، ومنه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الأوقاف)، يعود تاريخ نسخها الى القرن الثاني عشر، رقمها ٧١٧، وفي مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الغربية)، ثلاث نسخ، تحمل الأرقام: (٦ علم الكلام)، و(٦٩ علم الكلام)، و(١٢٨ علم الكلام)، ونسخة في المكتبة السليمانية بتركيا، رقمها (١٤٤ مجاميع)، تاريخ نسخها ١١٥٣هـ، وأخرى في مكتبة الأوقاف العامة بتركيا (٢٩٨٤/٣) تاريخ نسخها ١١٥٢هـ، وأخرى في الخزانة التيمورية في القاهرة، (١٨٥)، تاريخ نسخها ١٣٢٦هـ، ونسخة بدار الكتب الوطنية في أبو ظبي، رقمها

(٩١٢)، تاريخ نسخها ١٢٥٣هـ ونسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، رقمها (ج ٤٥١/٤)، طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٨م، بإشراف محمد رشيد رضا، وطبع ثانية بصنعاء سنة ١٩٨٥م.

٤- الأرواح النوافخ لآثار إيثار الحق على الآباء والمشايخ (نيل الكتاب السابق). ومنه في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الغربية)، ثلاث نسخ تحمل الأرقام: (٥ علم الكلام)، و(٦ علم الكلام)، و(١٢٨ علم الكلام). طبع ملحقًا بطبعة الشيخ محمد رشيد رضا، ومنفصلاً مع طبعة صنعاء.

٥- المنار في المختار من جواهر البحر الزخار. وفي مكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الغربية)، أربع نسخ منه، تحمل الأرقام: (٢٢٦ - ٢٢٩فقه)، ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء، رقمها ١٠٩٦، ونسخة بخط الإمام (الشوكاني)، في مكتبة القاضي (حسين بن أحمد السياغي)، ومنه نسخة مصورة في القاهرة برقم (٤٠٢)، ونسخة في المكتبة البريطانية، برقم: (OR ٣٨٠٦)، حققه الدكتور خالد حسن محمد البعداني، رسالة دكتوره بجامعة ملايا، ماليزيا، ٢٠١١م، وحقق قسم منه محمد عبدالله حمود المقشي، رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان، ٢٠١٠م، وقسم آخر حققه عادل عبد الله عبد الله جمعان، رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان، ٢٠١٠م. ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، في مجلدين، بغير تحقيق.

٦- نجاح الطالب حاشية على مختصر ابن الحاجب. منه نسختان بمكتبة الأوقاف بالجامع الكبير بصنعاء، رقمهما: ١٤٤٧، ١٥٢٠، ونسخة بمكتبة محمد بن يحيى الذاري الخاصة بصنعاء، ونسخة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، رقمها (٣٢٣٥- ف)، ونسخة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقمها: [١٨١٤ - امبابي ٤٨٢٧٣]، ونسخة بالمكتبة البريطانية، برقم ٣٨٣٣، حققه محمد عبد الرب النظاري، رسالة دكتوراه، بجامعة أم درمان في السودان سنة ١٩٩٥م.

٧- بحث في حديث افتراق الأمة، منه نسخة في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٤ مجاميع)، وقد يسّر الله لي تحقيقه ونشره بمجلة "عالم المخطوطات والنوادر"، الرياض: المجلد الخامس عشر، العدد الأول، (المحرم- جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/يناير-يوليو ٢٠١٠م)، ص١٢٧-١٤٨. ونشرته أيضًا ضمن كتاب: "رسائل وأبحاث في حديث افتراق الأمة"، لمجموعة من علماء اليمن، طبعة بيروت، (ص ٥٥-٨٢)[٨].

٨- بحث في التعبد بشرع من قبلنا، منه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء (الغربية)، رقم ٧ مجاميع.

٩- المصابيح السافرة في الأحاديث المتواترة. نشره الوليد بن عبد الرحمن الربيعي مع كتاب الأبحاث المسددة في فنون متعددة.

١٠- رسالة إلى المهدي صاحب المواهب، منها نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء

(الغربية) رقم ٩٦ مجاميع، نشرها القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه "هجر العلم ومعاقله في اليمن" ١٥٧٧/٤-١٥٧٤. في ترجمة المهدي صاحب المواهب.

١١- صبّ الغمام على بلوغ المرام. ويكتب أيضًا (حب الغمام)، والأول أنسب، مفقود، ذكره نذير بن محمد الداغستاني في كتابه: نزهة الأذهان في تراجم علماء داغستان، (ق٩)، في ترجمة محمد بن موسى القدوقي، تلميذ المقبلي، في عداد مؤلفات شيخه المقبلي التي حملها القدوقي معه إلى داغستان، وذكره أيضًا زبارة في نشر العرف ٧٢٨/١، والقاضي إسماعيل الأكوع في هجر العلم ومعاقله في اليمن ٢٧٧/١، وعبد السلام الوجيه في أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٤٩٣

كرس المقبلي جهده ووقته لمحاربة الجمود والتعصب الفكري والمذهبي، فلقي من مقلدي ومتعصبي عصره في اليمن أذى شديدًا وناصبوه العداء، واتهموه بأنه ناصبي[9]، ومعاد لمذهب أهل البيت (المذهب الزيدي)، وشنوا عليه حملات شعواء، وهجاه الغلاة من المتعصبين أقذع هجاء، وكان سبب حملتهم عليه قصيدة قالها في الدفاع عن الصحابة، ومطلعها:

قبح الإله مفرّقا

بَين القَرَابَة وَالصَّحَابَه

فهجاه الشاعر أحمد بن محمد القهدة الآنسي، المعروف بالزنمة (المتوفى سنة ١٠٧٩ هـ) بقصيدة مطلعها:

أطرق كراً يَا مقبلي

فلأنت أَحْقَر من ذُبَابَه

وبالغ الشاعر الحسن بن علي بن جابر الهبل (المتوفى سنة ١٠٧٩ هـ) في هجائه فقال[10]:

المقبلي ناصبي

أعمى الشقاء بصره

فرَّق ما بين النبيْـ

ـي وأخيه حيدره

لا تعجبوا من بغضه

للعترة المطهره

فأمه معروفة

لكن أبوه نكره[11]

وتمكن هؤلاء من التشهير به وتأليب الرأي العام ضده، وأوغروا عليه صدر الإمام المتوكل، وكان المقبلي يأمل أن يحميه الإمام وينتصر له ولكنه سكت ولم يحرك ساكنًا[12]، مما اضطره إلى بيع ممتلكاته والرحيل بأهله إلى مكة سنة ١٠٨٠هـ، ملتجئًا إليها، ومجاورًا بها، وظل بها حتى وفاته سنة ١١٠٨هـ. فكان منقطعًا فيها للعلم والتأليف والدعوة إلى التجديد وإشاعة روح التسامح ونبذ الفرقة والتقليد والتعصب، وفيها ألّف كل مؤلفاته.

وعندما كان في مكة لم يمنعه تبحره في العلم وبلوغه مرتبة الاجتهاد المطلق من أن يتتلمذ ويأخذ عن أشهر العلماء المجاورين بها، ومنهم العلامة المجتهد إِبرَاهِيم بن حسن بن شهَاب الدِّين الكوراني الشهرزوري الكرْدِي (المتوفى سنة

١١٠١هـ)[١٣].

ولكنه في مكة لم يكن أسعد حالاً في مقامه بها مما كان عليه في صنعاء، فقد كان التقليد والتمسك بالمذاهب الأربعة شائعًا في مكة في تلك الحقبة وقائمًا على أشدّه (إلى درجة التعصب)، فقد كانت صلاة الجماعة في الفريضة الواحدة تقام في ساحة الحرم المكي أربع جماعات في وقت واحد، حسب المذاهب الأربعة، وفي بعض الأحيان كانت تقام خمس جماعات[١٤]، باعتبار المذهب الزيدي خامس المذاهب الإسلامية، فكانت محنته مع المقلدين والمتعصبين في مكة أشد مما حصل له بصنعاء، وكان مخالفة أي جزئية من اجتهادات ورؤى تلك المذاهب والخروج باجتهاد جديد في تلك الحقبة يعد ضربًا من الزندقة[١٥].

وكما رفض المتعصبون طروحاته واجتهاداته في اليمن، فقد رفض أمثالهم من المتعصبين بمكة ما جاء به المقبلي وثاروا عليه ونسبوه إلى الزندقة؛ لتمرده على التقليد، وعدم تمسكه بمذهب معين، واعتماده على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبخاصة بعد انتشار كتابه "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ" وذيله "الأرواح النوافخ" لما فيهما من النقد للمتعصبين للأسلاف والحط من شأن التقليد والمقلدين، قال المقبلي في كتابه الأبحاث المسددة[١٦]: "قال لي مفتي مكة وقد عرف خلعي التمذهب إذ أكرمني الله بإظهاره في خواص، حتى شاع فيهم، ولم يواجهني أحد بتقبيح فعلي إلا هذا المفتي في غضبة غضبها، فقال: الفتوى فيك إن لم تقلد أحد المذاهب الأربعة أن تقتل وتحرق شرعًا"، ولذلك قال المقبلي مقولته المشهورة[١٧]: "ناصبي في صنعاء ولا زنديق في مكة".

ولم يتوقف أذى المتعصبين من علماء مكة له عند هذا الحد، بل سعوا إلى تأليب السلطة ضده، فرفعوا أمره إلى السلطان العثماني اسطنبول، فأرسل مجموعة من العلماء من المذاهب الأربعة للنظر في شكواهم منه، فلم يروا منه إلا الجميل، ولم يروا في مسلكه شيئًا يؤخذ عليه[١٨]، فأقرّوا منهجه واجتهاده، ذكر العلامة الداغستاني حسن الألقداري[١٩] (المتوفى سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، مما تواتر من أخبار صالح المقبلي (صالح اليمني) في داغستان برواية شيخ مشائخه العلامة الحاج محمد بن موسي القدقي (القدوقي) وأقرانه من تلاميذ الشيخ المقبلي الذين أخذوا عنه بمكة: "أن السلطان أرسل إلى مكة من يجرب أحوال الشيخ صالح من العلماء من كل مذهب من المذاهب الأربعة ويعارضه، فوجدوه بحرًا لا ساحل له، ووجدوا أقواله غير خارجة عن المذاهب الأربعة حتى اتفقوا على تلقيب مذهبه (حشمل)، إشارة إلى أنه ملفق من مذاهب الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي"... وأكّد في ختام الجواب على أنه مجتهد مطلق، وله اجتهادات قد لا تتوافق مع المذاهب الأربعة، ومن ثم فليست كل اجتهاداته ملفقة عنها...إلخ. أما العلامة أحمد بن محمد قاطن (المتوفي سنة ١١٩٩هـ) فقد ذكر أن العالم الذي أرسله السلطان العثماني لاختبار المقبلي لم يكتف بإقرار منهجه فحسب، بل تابعه وسلك طريقته، قال[٢٠]: "وكان الخارج [من بلاد

الروم] لاختباره صالحًا، فلم ير منه إلاّ الحال الجميل، وبهذا السبب سلك طريقته".

فسكت الثائرون عليه حين لم يجدوا معينًا من السلطان؛ لأن هذا هو غاية أمرهم، وهو ديدنهم في الثورة على كل مصلح، فهم ضعاف جامدون لا يقوون على المناظرة العلمية فلا يجدون إلا أن يستعينوا على دعاة الإصلاح بمن في يدهم القوة، فإذا لم يجدوا منهم مساعدة ظهر عليهم العجز، ولكنهم لا يؤمنون برسالة الإصلاح، وإنما يأخذونها بالمداراة إلى أن يجدوا فرصة للثورة عليها، ويظفروا بصاحب سلطان يساعدهم بقوته على من يثورون عليه[٢١].

وبعدما هدأت الثورة ضده علا ذكره وعظم صيته بين علماء مكة والعلماء القادمين إليها من مختلف بلدان العالم الإسلامي، وصارت له بمكة منزلة علية عند أشراف مكة الحسنيين، حتى إن شريف مكة أحمد بن غالب...بن أبي نمي (المتوفى سنة ١١١٣هـ) "استوزره أياما وزارة مشاورة ومناصحة"[٢٢].

ولكنه مع ذلك ظل حذرًا من الجهر بدعوته أمام العامة، إلا فيمن يثق بهم ويطمئن إليهم من العلماء وطلبة العلم من المنفتحين والمنصفين الذين تقبلوا آراءه ووجهات نظره، وأقبلوا على مؤلفاته وعلى الأخذ عنه، وكان من بين هؤلاء الطلاب جماعة من المجاورين بمكة من علماء داغستان، فأقبلوا عليه وتتابعت وفودهم إليه بعد انتشار صيته في بلادهم[٢٣]، ونقلوا معهم عند عودتهم إلى بلادهم مجموع مؤلفاته[٢٤]، وكان من أبرز تلاميذ المقبلي من داغستان العلامة الحاج محمد بن موسى القدوقي الأواري، نسبة إلى قرية (قدوق) من قرى داغستان، من ولاية (أوار) في شمالي داغستان، المتوفى بحلب سنة ١١٢٠هـ، ويعرف في المصادر الداغستانية باسم: حاجي محمد أفندي بن موسى قودوتليسنكي[٢٥]، شيخ علماء داغستان، تصفه المصادر الداغستانية بأنه كان جبلاً من العلم، وبحرًا من الفهم، رحل في طلب العلم إلى مصر والحجاز واليمن، وأخذ عن علمائها، وله مؤلفات مرغوبة وتعليقات كثيرة وحواش عديدة فى الفقه والأصول والعقائد والنحو والصرف والفلك وغيرها، ما تزال تزخر بها مكتبات داغستان، وكان له قصب السبق في نشر مؤلفات المقبلي هناك، وعمل كذلك على تدريس اللغة العربية في مدارسها، فانتشرت مؤلفات المقبلي في منطقة داغستان انتشارًا واسعًا، ويُعرف في داغستان باسم (صالح اليمني)، وأقبل علماؤها هناك على اقتفاء أثره في اجتهاده واطراح التقليد جانبًا، واعتمادهم على منهجه وأسلوب بحثه واجتهاده، كما نقل هؤلاء العلماء معهم أيضًا اللغة العربية، فدرّسوها في مدارس ومراكز العلم في داغستان، بحيث غدت اللغة العربية مع مرور الزمن هي اللغة الرئيسية هناك؛ أي أنها أصبحت لغة العلم والشعر والأدب، ولغة الدواوين في أجهزة الدولة[٢٦]، وامتد تأثير هذه الحركة العلمية لتشمل المناطق الإسلامية المجاورة لداغستان في شمال القوقاز: (أديغيا، وأنغوشيا، والشيشان، والشركس "قراشاي - شيركيسيا"، وبلقاريا).

ومع أن ذلك العصر كان عصر انحسار

وتراجع النفوذ السياسي العربي، فإن اللغة العربية في منطقة شمال القوقاز شهدت منذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي ازدهارًا وانتشارًا لم تعرف مثله حتى في أزهى مراحل القوة والنفوذ السياسي العربي أيام الدولة العباسية، وما كان ذلك ليتم لولا جهود من تتلمذ من علماء داغستان على (المقبلي) بعد عودتهم إلى بلادهم، فقد كان مستوى انتشار اللغة العربية في داغستان خلال الألف عام الماضية؛ أي منذ دخول الإسلام داغستان حتى هذه الفترة بسيطًا ومحدودًا، وربما كان إجادة اللغة العربية مقتصرًا على العلماء الذين رحلوا في طلب العلم إلى البلدان العربية، وكانت مؤلفاتهم باللغة العربية قليلة، ويؤكد المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي[٢٧] أن أكثرية المخطوطات المحفوظة في داغستان وما جاورها تعود إلى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر (القرن الثاني عشر الهجري). ونقل كراتشكوفسكي عن عالم داغستان البارز في القرن التاسع عشر (القرن الثالث عشر الهجري، وأوائل القرن الرابع عشر) حسن الألْقَداري[٢٨] في كتابه الشهير "آثار داغستان" قوله[٢٩]: "ثمة كثير من الاعتبارات للافتراض أنه لم تكن عناية خاصة من جانب الحكام هنا بالعلم والمدارس؛ ذلك لأنه ليس ثمة في أي قرية أو مدينة بقايا ملحوظة من الكتب القديمة الكثيرة، وخلال ألف عام بعد الهجرة لم تكن قد أعدت أيما مكتبة في أي مكان هنا، بل إن تحديد ما هية العلماء الذين كانوا هنا آنذاك، والحصول على وثيقة مكتوبة، أو حكاية ممتدة بات موضوعًا للبحث والدراسة، ومن الكتب القديمة التي نصادفها في المدارس والمساجد المحلية يتضح أمر واحد فحسب، يفيد أن معظمها قد أُعدّ وصنّف في الآونة الأخيرة، وعلى نحو أساسي في بداية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، في عصر قائد العلماء حاجي محمد أفندي قودوتلنسكي".

وقد تغلب تأثير اللغة العربية في شمال القوقاز خلال هذه المرحلة على نفوذ اللغتين (الفارسية) و(التركية) وهما الأقرب جغرافيا، ودولهما أكثر تأثيرًا ونفوذًا، وتغلبت أيضًا حتى على اللغات المحلية المكتوبة بالحرف العربي[٣٠].

وانعكس هذا الشغف باللغة العربية في وجدان أهل داغستان على كافة مناحي الحياة، ذكر كراتشكوفسكي[٣١] أن عالمًا (آفاريًا)[٣٢] يتقن العربية أثناء رحلات علمية له في (عشرينات وثلاثينات القرن العشرين) قام عرضًا وبشكل عابر برصد النقوش والكتابات العربية المتبقية على المباني والأسلحة (السيوف) والتحف، وتمكن من تسجيل ما يقارب من ستين نصًا باللغة العربية تتراوح ما بين بيت من الشعر، وقول مأثور، وحكمة...إلخ.

وظهر خلال هذه الحقبة عدد من العلماء والشعراء الداغستانيين الذين لهم مؤلفات ودواوين شعر باللغة العربية[٣٣]، وازدهرت كذلك المكتبات بالكتب العربية المؤلفة في العالم العربي في مختلف العصور وفي كل فنون العلم والمعرفة، وأقبلوا على اقتنائها واستنساخها ودراستها بهمة عالية، وذكر الشيخ نذير بن محمد بن قربان الداغستاني الدركيلي[٣٤] أن

إسهام العلماء المجاورين في الحرمين الشريفين في نشر العلم على نطاق واسع

العلامة محمد بن موسى القدوقي (تلميذ المقبلي) نسخ بيده ثلاثمائة كتاب، بقيت أكثرها موقوفة في حلب بعد وفاته، وأنّ كتب شيخه المقبلي التي نسخها القدوقي وأشهرها "كتاب العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ"، وذيله "الأرواح النوافخ" ما تزال باقية في داغستان إلى زمنه (ثلاثينات القرن العشرين الميلادي). وقال كراتشكوفسكي(٣٥): "إن الحكايات عن مؤسس هذا الأدب في داغستان محمد [بن موسى القدوقي] من (قودوتل) ومعلمه الشيخ صالح [المقبلي] من (اليمن) تُظهِر بوضوح أن العلماء الداغستانيين في ذلك العصر كانوا قد أتقنوا كامل علوم التراث العربي لتلك القرون. وعلى نحو مماثل كانت تهمهم العلوم النحوية والقواعدية؛ ومع الإحاطة الموسوعية الواسعة لدى أكثر العلماء فإنه لا يندر أن تلقى بين مؤلفاتهم مباحث في الرياضيات أيضًا، فهي ضرورية بصفة خاصة لتقرير مسائل حقوق الوراثة، أو بمباحث علم الفلك؛ وذلك لغرض حساب الوقت الدقيق لأداء فروض الصلوات والصيام".

واستلهم شعراء داغستان في أشعارهم كافة فنون الشعر العربي القديم مثل: الهجاء (النقائض)، والرثاء والغزل...إلخ، وتطورت عندهم ملكة نظم الشعر باللغة العربية من حالة المحاكاة والتقليد وصولاً إلى الإجادة والإتقان.(٣٦)

واستمر تأثير المقبلي وفكره في إقليم داغستان وما جاورها من مناطق شمال القوقاز محافظًا على قوته وزخمه لأجيال متعاقبة، واستمر معه كذلك انتشار وازدهار اللغة العربية، ونتج عنه ازدهار الحركة العلمية هناك بشكل غير مسبوق، ذكر الإمام الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠هـ) أنه حضر إلى صنعاء في أيامه؛ أي بعد نحو قرن من وفاة المقبلي، أحد علماء داغستان للبحث عن كتاب "البحر الزخار" للإمام أحمد ابن يحيى المرتضى (المتوفى سنة ٨٤٠هـ)؛ لأن لديهم حاشيته للمقبلي المسماه: "المنار على البحر الزّخار"، وقد التبس عليهم بعض عبارات الأصل، قال الشوكاني(٣٧): "وَقد وصل بعض الْعلمَاء من تِلْكَ الْجِهَة (أي داغستان) إِلَى صنعاء وَكَانَ لَهُ معرفَة بأنواع من الْعلم، فَلَقِيته بمدرسة الإمام شرف الدّين بِصَنْعَاء فَسَأَلته عَن سَبَب ارتحاله من دياره هَل هُوَ قَضَاء فَرِيضَة الْحَج؟ فَقَالَ لى بِلِسَان فِي غَايَة الفصاحة والطلاقة: إنه لم يكن مستطيعاً وَإِنَّمَا خرج لطلب "الْبَحْر الزخار" للإمام المهدي أَحْمد بن يحيى؛ لِأَن لديهم حَاشِيَة الْمنَار للمقبلي... ورأيته في الْيَوْم الثاني وَهُوَ مكب في المدرسَة على نُسْخَةٍ من البَحْر يطالعها مطالعة من لَهُ كَمَال رَغْبَة، وَقد سر بذلك غَايَة السرُور، وَمَا رَأَيْت مثله في حسن التَّعْبِير وَاسْتِعْمَال خَالص اللُّغَة وتحاشي اللحن في مخاطبته وَحسن النغمة عِنْد الْكَلَام، فإِني أدْركْت لسَمَاع كَلَامه من الطَّرب والنشاط مَا علاني مَعَه قشعريرة".

والنص الذي أورده الشوكاني بالغ الأهمية؛ لأنه يدل أولاً على مدى ما بلغته النهضة العلمية التي تحققت في داغستان، بحيث يُقدِم أحد العلماء على تجشم عناء رحلة طويلة تبلغ آلاف الأميال للتثبّت من صحة نصّ في كتاب التبس عليهم

قراءة بعض نصوصه، وهو في وضع اقتصادي لا يتوفر له الاستطاعة للحج، وثانيًا: إتقان وإجادة هذا العالم للحديث بلغة عربية فصيحة خالية من اللحن أو الألفاظ العامية يدل على مستوى ما وصلت إليه العربية هناك من حضور وإتقان للفصحى بعيدًا عن تأثير اللهجات العامية السائدة في مختلف بلدان العالم العربي؛ لأن هؤلاء العلماء الذين نقلوا العربية إلى داغستان وعلموها لغير الناطقين بها استخدموا الفصحى للتّعليم فأخذ عنهم طلابهم الفصحى الخالية من أي تأثير عامي.

واستمر هذا التأثير قويًا حتى غداة نشوب الحرب العالمية الأولى، والثورة البلشفية الروسية فقد استبدلت روسيا الاستعمارية اللغة العربية وغيرها من اللغات المحلية للشعوب المسلمة الواقعة تحت بطشها واستعمارها باللغة الروسية، ولكن أثر اللغة العربية بقي حتى الربع الثاني من القرن العشرين مع الجيل الذي نشأ على تعلم اللغة والتعلق بها، ثم اضمحل شأنها بعد ذلك تدريجيًا شأنها شأن سائر اللغات المحلية لتلك الشعوب[٣٨].

وأختتم هذا البحث الموجز بلفت النظر إلى مسألتين لهما صلة بالمقبلي وما تعرض له من عنت وظلم وسوء فهم لفكره واجتهاده في حياته وبعد مماته:

الأولى: تمثل حالة ما قاساه المقبلي، وما يقاسيه من هو على شاكلته من المجتهدين والمفكرين والمصلحين الأحرار في كل زمان ومكان من عنت ومشقة وأذى من مقلدي ومتعصبي عصرهم، وما قد يلحقهم كذلك من الأذى من متعصبي العصور اللاحقة بعد وفاتهم.

فمن الملاحظ – من الناحية النفسية والاجتماعية- أن الفرد عندما ينتمي إلى أية فرقة أو جماعة (دينية أو سياسية أو عرقية أو مناطقية..) ويتعصّب لها ويمضي فيها شطراً من عُمره فإنه يندمج فيها اندماجًا كليًا حتى يُصاغ نمط حياته وتفكيره وموقعه وعلاقاته ومزاجه الوجداني وعالمه الشخصي في إطارها، فبها يميز ذاته، وبها يميزه الآخرون، ولا ينظر إلى الأشياء إلا من خلالها، فيؤدي به ذلك - تدريجياً- إلى فقدان ملكة النقد، وإلغاء دور العقل وشل قدرته على التفكير السليم، كما قال أبو الفرج بن الجوزي[٣٩]: "اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة"، فينتهي به الأمر إلى مرحلة القبول المسبق، أو الرفض المسبق للآراء، فيقبل مسبقاً كل ما يتفق مع وجهة نظر جماعته، ويرفض مسبقاً كل ما يخالفها؛ لأنه لم يعد قادراً على التفكير فيما يتعصب له أو يتعصب ضده، بل يقبله أو يرفضه على ما هو عليه[٤٠].

وفي المقابل تستشعر الجماعات التي يسود التعصب فكرها ومنهجها خطر تلك الدعوات الإصلاحية على فكرها ومصالحها، وعادة ما يكون لزعاماتها سطوة ونفوذ واسع في المجتمع، وقد تقف السلطة – أحيانًا – إلى جانبهم، أو تتحالف معهم بهدف تأمين مصالح كلا الفريقين،

واستمرار سيطرتهما وسيادتهما التي لا يمكن استمرارها إلاّ بالإبقاء على الأوضاع السائدة (المتخلِّفة) وركود العلاقات الاجتماعية، فهم يرون في كل نزعة إصلاحية أو عقلية خطرًا عليهم، وتهديدًا لنفوذهم ومصالحهم.

ومثل هذه الجماعات لا تستطيع المحافظة على تماسك أفرادها دون وجود (عدو)، حقيقي أو وهمي، يجري التهويل من مخاطره وشيطنته، وعادة ما يكون (الآخر) المخالف لهذه الجماعة في (الرأي أو المعتقد أو العرق...إلخ) هو ذلك (العدو) الذي يهدد المجتمع أو الجماعة، ويحذرون أشد التحذير أفراد الجماعة من التعامل معه، أو سماع رأيه، أو قراءة كتبه، ولذلك يقوم المتعصبون بشنّ حملة دعائية مضادة لأي رأي أو فكر مخالف، مهما صغر شأن تلك المخالفة، بهدف تشويهه في أذهان الناس وتنفيرهم عنه، وأيضًا بغية تقليصه والحد من انتشاره بفرض ما يشبه الحصار عليه، يرافق ذلك حملة من الإرهاب الفكري والمادي ضد هؤلاء النفر من المجتهدين، واتهامهم بالابتداع والضلال، وتصنيفهم في خانة المخالف والعدو..إلخ

وقد عانى الكثير من العلماء (المجتهدين) من هذه الظاهرة على مدى التاريخ، وطالت الكثير منهم، ومنهم العلامة الشاطبي (المتوفى سنة ٧٩٠هـ) الذي استشهد في كتابه "الاعتصام"[٤١] بما لاقاه هو من متعصبي عصره، بقول الحَافِظِ الشَّهِيرِ الإِمَامِ عَبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق ابن مُحَمَّد بن يحيى بن مَنْدَه الأصبهاني، (المتوفى سنة ٤٧٠ هـ) وما عاناه من أذى معاصريه من المقلدين، إِذْ حَكَى ابن مَنْدَه عَن نَفْسِهِ فَقَالَ: "عَجِبْتُ مِنْ حَالِي فِي سَفَرِي وَحَضَرِي مَعَ الأَقْرَبِينَ مِنِّي وَالأَبْعَدِينَ، وَالعَارِفِينَ وَالمُنْكِرِينَ، فَإِنِّي وَجَدْتُ بِمَكَّةَ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَمَاكِنِ أَكْثَرَ مَنْ لَقِيتُ بِهَا مُوَافِقًا أَوْ مُخَالِفًا، دَعَانِي إِلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى مَا يَقُولُهُ، وَتَصْدِيقِ قَوْلِهِ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ، فَإِنْ كُنْتُ صَدَّقْتُه فِيمَا يَقُولُ وَأَجَزْتُ لَهُ ذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ؛ سَمَّانِي مُوَافِقًا، وَإِنْ وَقَفْتُ فِي حَرْفٍ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ فِي شَيْءٍ مِنْ فِعْلِهِ سَمَّانِي مُخَالِفًا، وَإِنْ ذَكَرْتُ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا أَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَارِدٌ، سَمَّانِي خَارِجِيًّا، وَإِنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا فِي التَّوْحِيدِ، سَمَّانِي مُشَبِّهًا، وَإِنْ كَانَ فِي الرُّؤْيَةِ: سَمَّانِي سَالِمِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي الإِيمَانِ سَمَّانِي مُرْجِئًا، وَإِنْ كَانَ فِي الأَعْمَالِ، سَمَّانِي قَدَرِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي المَعْرِفَةِ سَمَّانِي كَرَامِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، سَمَّانِي نَاصِبِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي فَضَائِلِ أَهْلِ البَيْتِ سَمَّانِي رَافِضِيًّا، وَإِنْ سَكَتُّ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ أَو حَدِيثٍ فَلَمْ أُجِبْ فِيهِمَا إِلَّا بِهِمَا، سَمَّانِي ظَاهِرِيًّا، وَإِنْ أَجَبْتُ بِغَيْرِهِمَا، سَمَّانِي بَاطِنِيًّا، وَإِنْ أَجَبْتُ بِتَأْوِيلٍ، سَمَّانِي أَشْعَرِيًّا، وَإِنْ جَحَدْتُهُمَا، سَمَّانِي مُعْتَزِلِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي السُّنَنِ مِثْلَ القِرَاءَةِ، سَمَّانِي شَفْعَوِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي الْقُنُوتِ سَمَّانِي حَنَفِيًّا، وَإِنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ، سَمَّانِي حَنْبَلِيًّا، وَإِنْ ذَكَرْتُ رُجْحَانَ مَا ذَهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَيْهِ مِنَ الأَخْبَارِ إِذْ لَيْسَ فِي الحُكْمِ وَالحَدِيثِ مُحَابَاةٌ قَالُوا: طَعَنَ فِي تَزْكِيَتِهِمْ..".

ثم قال الشاطبي معقبًا على قول الحافظ ابن منده[٤٢]: "هَذَا تَمَامُ الحِكَايَةِ، فَكَأَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ

تَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ الجمِيعِ، فَقَلَّمَا تُجِدُ عَالِمًا مَشْهُورًا أَوْ فَاضِلاً مَذْكُورًا، إِلَّا وَقَدْ نُبِذَ بِهَذِهِ الأُمُورِ أَوْ بَعْضِهَا...وَرُجِعَ بِالتَّشْنِيعِ عَلَيْهِ وَالتَّقْبِيحِ لِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ حَتَّى يُنْسَبَ هَذِهِ المَنَاسِبَ".

والمقبلي لم يكن استثناء من هؤلاء المجتهدين، وقد ذكرنا بعضًا مما واجهه من أذى في حياته، واستمر تشنيعهم عليه والتنفير منه بعد وفاته، ولفت نظري فتوى لأحد علماء داغستان أو الشيشان منشورة في أكثر من مواقع داغستاني على النت[٤٣] لشيخ يدعى سعيد المكي[٤٤]، ونص الفتوى: "ما قولكم دام فضلكم في رجل طلق زوجته ثلاثًا ثم ندم قبل انقضاء العدة وندمت الزوجة على فراقها منه، هل يكون له الرجعة من غير نكاح زوج آخر أم لا؟ وهذا مما عمّت به البلوى في ديارنا، فإن علماءنا يحكمون بحكم الصالح اليمني وله عندنا رسالة وفيها: "أن الرجل إذا طلق زوجته في يوم واحد لا يقع إلا طلقة واحدة ولو طلق ألف مرة" ودليله قوله تعالى: (يَاأَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ).

الجواب:

أنه متى طلق ثلاثًا ولو بلفظ واحد كقوله: "أنت طالق ثلاثًا" أم مفرقًا في المجلس حصل بينهما رجعة أم لا فالأئمة الأربعة مجمعون على أنها تطلق ثلاثًا ولا تحل له حتى تنقضي عدتها منه وتنكح زوجًا غيره نكاحًا صحيحًا... هذا ما عليه الأئمة الأربعة، فأما صالح اليمني فهو رجل معروف عندنا بأنه مبتدع ضال مضل، وقرأ عليه بعض علماء داغستان غافلين عنه، ظانين أنه شافعي، مؤلف رسالة عندكم، وذلك ليس على مذهب الشافعي، بل هو خارج عن المذاهب الأربعة، وقد نص أئمتنا أنه من بعد الأربعمائة لا يجوز أن يقلد أحدًا غير الأئمة الأربعة لانقطاع المجتهدين، يا إخواننا لا تتبعوا الشيخ صالح اليمني فتكونوا مبتدعين لا متبعين". انتهت فتوى سعيد المالكي.

قلت: يلاحظ أولاً على هذه الفتوى أن صاحبها لجأ إلى التنفير من قبول رأي المقبلي واجتهاده باللجوء إلى استخدام ظاهرة التخويف والإرهاب الفكري التي كانت على مدى عدة قرون من الجمود والتقليد سلاحًا فتاكًا بيد المتعصبين ضد كل مجتهد أو صاحب رأي حر يدعو إلى الإصلاح والانعتاق من أسر الجمود والتخلف، بحجة أن (باب الاجتهاد) قد أُغلق منذ القرن الرابع الهجري، ولا يجوز تقليد غيرهم، وقد طالت هذه الحملة الشرسة رموز الأمة من دعاة الإصلاح والتجديد أمثال العز بن عبد السلام (المتوفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، وابن دقيق العيد (المتوفى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، وتقي الدين ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، وتلميذه ابن القيم (المتوفى سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، ومحمد بن إبراهيم الوزير (المتوفى سنة ٨٤٠ هـ/١٤٣٦م)، والسيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م) وغيرهم من المجتهدين.

ثم إن هذه المسألة – موضوع الفتوى - لم ينفرد بها المقبلي بحيث يُشنّع عليه بهذا الشكل، فقد ذهب إلى ذلك الزيدية والظاهرية، وهو قول الإمام طاووس، وحجاج بن أرطاة، وابن إسحاق،

وابن تيمية، وابن القيم، وقد تناول ابن تيمية هذه المسألة في أكثر كتبه وفتاويه، وذهب إلى أن هَذَا هو قَوْلُ كَثِيرٍ مِن السَّلَفِ وَالخَلَفِ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وقال بعد عرض الأدلة التي احتج بها القائلون بوقوع الطلاق الثلاث في مجلس واحد، والقائلون باعتبارها طلقة واحدة[٤٥]: "وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَبِي بَكْرٍ وَصَدْرًا مِن خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً". وَثَبَتَ أَيْضًا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ "أَنَّ رُكَانَةَ ابنَ عَبْدِ يَزِيدَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هِيَ وَاحِدَةٌ". وَلَمْ يَثْبُتْ عَن النَّبِيِّ خِلَافُ هَذِهِ السُّنَّةِ، بَلْ مَا يُخَالِفُهَا إمَّا أَنَّهُ ضَعِيفٌ؛ بَلْ مَرْجُوحٌ. وَإِمَّا إنَّهُ صَحِيحٌ لَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، كَمَا قَدْ بُسِطَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ...

ثم قال: "وَأَمَّا لَوْ طَلَّقَهَا الثَّلَاثَ طَلَاقًا مُحَرَّمًا، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: لَهَا أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثَةً جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَهَذَا فِيهِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ، أَحَدُهُمَا: يَلْزَمُهُ الثَّلَاثُ.

وَالثَّانِي: لَا يَلْزَمُهُ إلَّا طَلْقَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَهُ أَنْ يَرْتَجِعَهَا فِي العِدَّةِ، وَيَنْكِحَهَا بِعَقْدٍ جَدِيدٍ بَعْدَ العِدَّةِ. وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِن السَّلَفِ وَالخَلَفِ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِن أَصْحَابِ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ".

وللعلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (المتوفى سنة ١١٨٢هـ) تعليق موضوعي على المسألة في غاية الإنصاف، قال[٤٦]: "وَقَدْ أَطَالَ البَاحِثُونَ فِي الفُرُوعِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ الأَقْوَالَ، وَقَدْ أَطْبَقَ أَهْلُ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ عَلَى وُقُوعِ الثَّلَاثِ مُتَابَعَةً لِإِمْضَاءِ عُمَرَ لَهَا، وَاشْتَدَّ نَكِيرُهُم عَلَى مَن خَالَفَ ذَلِكَ، وَصَارَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ عَلَمًا عِنْدَهُم لِلرَّافِضَةِ وَالمُخَالِفِين، وَعُوقِبَ بِسَبَبِ الفُتْيَا بِهَا شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ، وَطِيفَ بِتِلْمِيذِهِ الحَافِظِ ابنِ القَيِّمِ عَلَى جَمَلٍ بِسَبَبِ الفَتْوَى بِعَدَمِ وُقُوعِ الثَّلَاثِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ مَحْضُ عَصَبِيَّةٍ شَدِيدَةٍ فِي مَسْأَلَةٍ فَرْعِيَّةٍ قَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا سَلَفُ الأُمَّةِ وَخَلَفُهَا، فَلَا نَكِيرَ عَلَى مَن ذَهَبَ إِلَى قَوْلٍ مِن الأَقْوَالِ المُخْتَلَفِ فِيهَا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَهَاهُنَا يَتَمَيَّزُ المُنصِفُ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ فُحُولِ النُّظَّارِ وَالأَتْقِيَاءِ مِن الرِّجَالِ".

وبلغ الحال ببعض معاصرينا في نقده للمقبلي إلى مرحلة الفجور في الخصومة، فقد وصفه بأنه "إمام لكن في الضلالة"؛ لأن المقبلي تجرأ وانتقد ابن تيمية.

والمسألة الثانية التي أريد التنبيه عليها: التأكيد على أن آراء المقبلي ومؤلفاته تتسم بقدر عال من الموضوعية والإنصاف والبعد عن التعصب الفكري أو المذهبي لأي مذهب أو ضده، وليس كما وصفه عبد المتعال الصعيدي[٤٧]: "بأنه –أي المقبلي- من مدرسة ابن تيمية وابن الوزير، وأن هذه المدرسة تتعصب لعقيدة السلف في الأصول والفروع، وذلك مذهب من المذاهب أيضًا، فالتعصب له مثل التعصب لغيره من المذاهب، وإنما تمتاز به هذه المدرسة بخروجها على جمود جمهور المسلمين على مذهب الأشعري في العقائد، وعلى المذاهب الأربعة المشهورة في

الفقه، فكان عندها بهذا بعض من الحرية الفكرية، ولكنها تتعصب مع هذا لمذهبها السلفي، وترى أن الفرقة الناجية هي الآخذة بالكتاب والسنة من غير تأويل، فلا تعذر غيرها من الفرق في تقليدها لمذاهبها، مع أنها لم تخرج من دائرة التقليد إلا قليلاً؛ لأنها لا تبيح الخروج عن مذهب السلف في الأصول والفروع، ولو إلى مذاهب أخرى غير تلك المذاهب التي جمد عليها أصحابه..إلخ".

قلت: المتتبع لفكر المقبلي ومسيرة حياته يدرك حقيقة عدم انتمائه لأي مذهب من المذاهب، ونبذه للتعصب بكل صوره وألوانه، وقد حرص المقبلي على إعلان تنصله من الانتماء إلى أي مذهب من المذاهب الإسلامية، والتأكيد على براءته من التعصب لها، في معظم مؤلفاته شعرًا ونثرًا، ومن أشهر تلك المؤلفات كتابه: "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ"، وذيله "الأرواح النوافخ"، إذ لا يكاد يمر مبحث من المباحث دون التنبيه على تجرده من ربقة التقليد وللتعصب للمذاهب، قال في بداية هذا الكتاب عند عرض أقوال المعتزلة والأشاعرة في مسألة تعليل أفعال الباري عز وجل[٤٨]: "..وإن كنت غير معتزلي ولا أشعري، ولا أرضى بغير الانتساب إلى الإسلام، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام، وأعدُّ الجميع إخوانًا، وأحسبهم على الحق أعوانًا.

وَمَن ذَا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كلُّها
كَفى المرءَ نُبلاً أَن تُعَدَّ معايبُهْ

ومن ذلك قوله من قصيدة طويلة[٤٩]:

برئت من التَّمذهب طول عُمري
وآثــرتُ الكتاب على الصِّحابِ
ولـي في سُنَّة المختار صلى
عليه الله ما يشفي التهابي
ومـالـي والتمذهب وهو شيء
يـروج لدى المماري والمحابي

وقوله أيضا من قصيدة طويلة[٥٠]:

ألم تعلما أنـي تركت التمذهبا
وجانبت أن أعـزا إليه وأُنسبا
فلا شافعي، لا مالكي، لا حنبلي
ولا حنفي، دع عنك ما كان أغربا

ونقده للمذاهب الأخرى أو مدحه لها لا يدخل في باب التعصب، فإنه إنما ينتقد تعصب تلك المذاهب لفكرة أو مقولة خاطئة يتضح جليًا أن الدليل والحق خلافها، أو بحسب تعبيره، فإنه ينتقد تمسكها بأقوال أسلافها وتقديمها على الكتاب والسنة، وليّ أعناق نصوصهما لتتوافق مع أقوال من يتعصبون لهم؛ لأنهم بذلك قد جعلوا أقوال علمائهم الأصل الثابت، والقرآن والسنة الفرع المتغير، ولكنه لا يتردد أن يشيد بالجوانب الإيجابية في أي مذهب، وفي المقابل لا يتعصب لرأيه بل هو على استعداد للرجوع إلى الحق والصواب إذا اتضح له خطأ اجتهاده، وهذا ما كان يلح عليه في كتبه ومناظراته مع معارضيه ومن تصدوا لمحاربته. ومن المؤكد أن سلوك المتعصب هو على العكس من ذلك تمامًا. وبحث

المقبلي الخاص بـ(حديث افتراق الأمة) الذي سبق لي نشره، خير دليل على تسامحه وعدم تعصبه وحسن ظنه بالأمة.

أما اتهامه بأنه "من مدرسة ابن تيمية وابن الوزير، وأن هذه المدرسة تتعصب لعقيدة السلف في الأصول والفروع، وذلك مذهب من المذاهب أيضًا.."، فهذا بعيد عن واقع المقبلي ومنهجه، نعم قد يكون من مدرسة (ابن الوزير) في التحرر من التعصب المذهبي، ولكنه ليس من مدرسة (ابن تيمية) على الإطلاق، فمدرسة ابن تيمية توقف مفهوم (السلف) و(السلفية) عندها عند القرن الثالث الهجري، والأخذ بمنهج رجال هذا القرن في فهم النصوص والتعامل معها، أما المقبلي فمفهوم (السلف) عنده تجاوز هذا القرن بالعودة إلى عصر الصحابة والتابعين، والتعامل مع النص (القرآن والسنة) مباشرة، ولم يتردد في توجيه بعض النقد للإمام أحمد بن حنبل ولابن تيمية بموضوعية من غير تعصب ولا تحامل.

والمتتبع لسير العلماء المتقدمين لا يجد إلا القليل ممن يتمتعون بمثل صفاء نفس المقبلي وسلامة صدره وبعده عن الحقد والضغينة حتى مع من اختلف معه أو عاداه وحاربه، وما وقعت عيني على نظير له ممن عرفتهم من العلماء المعاصرين الذين نبذوا التقليد والتعصب المذهبي سوى العلامة محمد بن إسماعيل العمراني حفظه الله.

الحواشي

١ - للخطيب البغدادي كتاب فريد في موضوعه يتحدث عن الرحلة في طلب الحديث الواحد، وأخبار الرحالة من المحدثين الذين قطعوا المسافات الشاسعة في طلب الحديث الواحد من الصحابة والتابعين، بعنوان: "الرحلة في طلب الحديث"، نشر بتحقيق الدكتور نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية (١٣٩٥م - ١٩٧٥م)، وضمّنه فصلاً في "ذكر من رحل إلى شيخ يبتغي علو إسناده، فمات قبل ظفر الطالب منه ببلوغ مراده".

٢ - المقبلي: نسبة إلى قرية المقبَل (بفتح الميم والباء)، في عزلة العزكي من مخلاف بني حَبِش في أعمال كوكبان شمال غرب صنعاء. انظر: هجر العلم ومعاقله في اليمن، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٥م. ١/٢٧٠.

٣ - انظر: الأبحاث المسددة في فنون متعددة، صالح بن المهدي المقبلي، ومعه ذيل الأبحاث المسددة وحل عبارتها المعقدة، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الربيعي، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٣٦٤، وهجر العلم ومعاقله في اليمن، ١/٢٧٧.

٤ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ، ١/١٨٨-١٨٩.

٥ - الشيخ صالح المقبلي: حياته وفكره، أحمد عبد العزيز المليكي، صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص١٤٥. نقلا عن مخطوطة لابن الأمير الصنعاني.

٦ - أورد القاضي إسماعيل الأكوع نص الرسالة في كتابه "هجر العلم ومعاقله في اليمن" ٤/١٥٧٧-١٥٧٤. في ترجمة المهدي صاحب المواهب.

٧ - أخذ المقبلي عن الإمام المتوكل كتاب: "الفصول اللؤلؤية" في أصول الفقه، لصارم الدين إبراهيم بن محمَّد الوزير، المتوفى سنة ٩١٤هـ، ذكر المقبلي ذلك في كتابه: "العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ"، القاهرة: (د.ن)،

١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ص١٣، ٢٠، وتذكر مراجعته للإمام المتوكل في كتابه: "المنار في المختار من جواهر البحر الزخار"، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، وبيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص١٠٢. وانظر أيضا: نشر العرف في نبلاء اليمن بعد الألف، محمد محمد زبارة، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث، ١٩٨٥م، ٧٨٣.

٨- الكتاب متاح على الشبكة العنكبوتية (النت) لمن يحب الاطلاع عليه:

ia601701.us.archive.org/32/items/abuyaala_rasael_haditfirak/rasael_haditfirak.pdf

٩ - الناصبي: هو من يكنُّ العداوة والبغض للإمام علي بن أبي طالب. اللسان والتاج: (نصب).

١٠ - ديوان الهبل: أمير شعراء اليمن، تحقيق أحمد بن محمد الشامي، صنعاء: الدار اليمنية (١٩٨٧م)، ص٤٨٢، وفي رواية الأبيات اختلاف يسير نتيجة عبث النساخ كما أشار المحقق في تعليقه على القصيدة، والمثبت عن نشر العرف، ١/٧٨٥-٧٨٦.

١١ - تولى العديد من العلماء الدفاع عن المقبلي والرد على الهبل، وكان من أبرزهم العلامة الحسين بن عبد القادر بن علي الروضي (المتوفى سنة ١١٩٨هـ)، فقد رد عليه بقوله:

المقبلي ناصح للمؤمنين البرره
أحبه أهل الكما ل وقلاه القصره
جمع بين الصحب في وداده وحيدره
وبغض آل المصطفى سيئة مستكبره

ويقول في آخرها:

لا تعجبوا لمن رمى أهل العلوم البرره
فما يضر شامخا رميته ببعره
وقذفه بقوله: إن أباه نكره
إثم وبهت أم ترى شاهده وحضره
يا عجبا للماجنا ه من عظيم حقره

انظر: نشر العرف ١/٧٨٥-٧٨٦.

١٢ - قال الجرمي بعد ذكر خبر تعرض المقبلي لهجمة المتعصبين: "فعتب على إمام العصر في رواحه وغدوه، ولامه لمّا لم ينتقم له من عدوه، وعدّ السكوت منه رضى.. ففي أمثال من مضى: "السكوت أخو الرضى" فسار بأهله إلى البيت العتيق قاصدا..". طيب السمر في أوقات السحر، لشهاب الدين أحمد بن محمد الحيمي، تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي، أبو ظبي: المجمع الثقافي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ١/٢٣٣.

١٣ - للعلامة إبراهيم بن حسن الكردي مصنفات كَثِيرَة تناهز الثَّمَانِينَ مصنفا، مِنْهَا: "الأمم لإيقاظ الهمم" فِي تَرْجَمَة مَشَايِخه الَّذين روى عَنْهُم، و"إتحاف الخلف بتحقيق مَذْهَب السّلف"، و"مسلك الإرشاد الى الأَحَادِيث الْوَارِدَة فِي الْجِهَاد" وَغير ذَلِك، وبرع في جَمِيع الْفُنُون، وأقرأ وألّف باللغة الْعَرَبيَّة والفارسية والتركية، سكن المدينة المنورة، ثم انتقل بعد ذَلِك إِلَى مَكَّة المشرفة، وانتفع بِهِ النَّاس ورحلوا اليه وَأخذُوا عَنهُ فِي كل فن حَتَّى مَاتَ بهَا في ثامن عشر شهر جُمَادَى الأولى سنة ١١٠١هـ. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم، ط٣، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ١/٥-٦، والبدر الطالع ١/١١-١٢.

إسهام العلماء المجاورين في الحرمين الشريفين في نشر العلم على نطاق واسع

١٤ - لا يُعرف تاريخ محدد لنشأة المقامات الأربعة أو الخمسة في الحرم، وأقدم المصادر التي ذكرت وجودها صراحة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، فقد ذكر أبو طاهر السِّلَفي (المتوفى سنة: ٥٧٦هـ)، في معجم السفر في ترجمة أحد شيوخه أنه كان إماما للحرم على المذهب الشافعي، ثم ذكر أن الصلاة كانت تقام في الحرم على المذاهب الخمسة، وخامسها المذهب الزيدي.

وبقي الحال على ذلك حتى سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، عندما أمر الملك عبد العزيز بتوحيد الصلاة في الحرم المكي خلف إمام واحد. انظر: معجم السفر، لأبي طاهر السِّلَفي الأصبهاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م، ص ١٤١، وأكّد الرحّالة ابن جبير في رحلته إلى الحج سنة ٥٧٨ هـ وجود أربعة أئمة سنّية للحرم، وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية. انظر: رحلة ابن جبير، لمحمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (المتوفى سنة ٦١٤هـ)، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت)، ص ٧٨-٧٩. وذكر تقي الدين الفاسي (المتوفى سنة ٨٣٢هـ) في كتابه "شفاء الغرام" أن مقامات الحنفية والمالكية والزيدية كانت موجودة في سنة ٤٩٧ هـ. انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لتقي الدين الفاسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٣٢١/١.

١٥ - انظر: العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، للمقبلي، القاهرة: (د.ن)، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، ص٣٤٦-٣٤٧.

١٦ - الأبحاث المسددة في فنون متعددة، للمقبلي، ص٦٤٤.

١٧ - هجر العلم ومعاقله في اليمن ٢٧٥/١.

١٨ - جاء ذلك في جواب سؤال لأحد طلابه عن حال الشيخ صالح اليمني (المقبلي): أمجتهد هو أم مقلد؟ وهل يجوز تقليده والعمل باجتهاده أم لا؟. انظر: جراب الممنون، للأقداري، تميرخان شوره (عاصمة داغستان آنذاك): المطبعة الإسلامية، ١٣٣١هـ/١٩١٢م، ٢٧٩-٢٨١.

١٩ - سيأتي التعريف به بعد قليل.

٢٠ - إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر، لأحمد بن محمد قاطن، تحقيق عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، صنعاء: مكتبة الإرشاد (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص١٥٣.

٢١ - الشوكاني: البدر الطالع ١/ ٢٩٠، عبد المتعال الصعيدي: المجددون في الإسلام، القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت)، ص٤١١.

٢٢ - كذا ورد في نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر، لإبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحوثي الصنعاني (المتوفى سنة ١٢٢٣هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ٤٥٨/٢، وتابعه زبارة في نشر العرف (٧٧٣/١)، ولم يذكر العلامة الحموي في كتابه فوائد الارتحال (٣٠٨/٤) - وهو معاصر للمقبلي وبينهما صحبة - مدة وزارته هذه. والظاهر أن المقبلي كما هو معروف عنه في زهده وورعه قد رفضَ هذا المنصب وأعرض عنه.

وانظر ترجمة صالح بن مهدي المقبلي أيضًا في:

- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مصطفى بن فتح الله الحموي، تحقيق عبد الله محمد الكندري، بيروت ودمشق والكويت: دار النوادر (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ٣٠٧/٤-٣٠٨.
- طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه، عمّان: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ٥٠٣/١.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي، القاهرة، ١٢٨٤ هـ، ١٦/٢.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا البابانى البغدادي، طبعة إستانبول (١٩٥١)، ٤٢٤/٢.

- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: عبد الله الحبشي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٨م، ص٢٨، ٥٨، ١٣٢، ١٦٤، ٢٢٤.

- الدرر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد، عبد الواسع الواسعي، طبعة مصر، ١٣٥٧هـ، ص ٣٧.

٢٣ - إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر، ص١٥٣-١٥٤.

٢٤ - للعالم والمستشرق الروسي المشهور: إغناطيوس كراتشكوفسكي عدة أبحاث نفيسة عن تأثير المقلي في منطقة داغستان، منها:

- "داغستان واليمن"، كتبه عام ١٩٣٦ م، وترجمه إلى العربية الدكتور جليل كمال الدين، نُشر بمجلة "المورد" العراقية، المجلد الثامن، العدد الثاني، صيف ١٩٧٩م، ص ١٠٩-١١٨.

- "الأدب العربي في القفقاس الشمالي"، نشره في روسيا سنة ١٩٤٨م، وترجمه إلى العربية أيضا الدكتور جليل كمال الدين، نُشر بمجلة "المورد" العراقية، المجلد التاسع، العدد الأول، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٩٠-١٠٢.

٢٥ - هكذا أورد اسمه المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي في بحثه القيم: "الأدب العربي في القفقاس الشمالي، مجلة المورد، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٩٢. وواضح من هذه النسبة أنها ذات ملمح روسي، وذكر الدكتور جليل كمال الدين في تعليقه على قول كراتشكوفسكي أن اسم قريته المنسوب إليها: (قودوتل). ولعل اسم (قدوق) حصل له تعديل أو تحريف بعد انتشار اللغة الروسية بحيث أصبح ينطق هكذا.

٢٦ - كراتشكوفسكي: داغستان واليمن، مجلة "المورد" العراقية، المجلد الثامن، العدد الثاني؛ صيف ١٩٧٩م، ص ١١٠.

٢٧ - المصدر السابق، ص٩٤، وانظر أيضًا: داغستان واليمن، ص١١٠-١١١.

٢٨ - وردت في الترجمة العربية: (القلاري)، ولعله خطأ في الترجمة، وهو حسن بن عبد الله الألقادري الكوري الداغستاني، نسبة إلى قرية (ألقدار) من ناحية (كوره) من نواحي داغستان، ويعرف في الأوساط الداغستانية باسم: ميرزا حسن أفندي الألقداري، عالم وشاعر وأديب، من أشهر علماء داغستان في تلك الحقبة، (توفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، من مؤلفاته: "تاريخ داغستان"، و"آثار داغستان في التاريخ"، و"ديوان الممنون في الأدب والشعر"، "جراب الممنون، جمع فيه ما جرى بينه و بين علماء وتلاميذ عصره من المراسلات العلمية"، و"أشعار الممنون: ديوان شعره". قلت: معظم المعلومات عنه مستخلصة من كتابه الأخير "جراب الممنون".وموقع ملتقى أهل الحديث على النت:

(http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=111768).

وانظر أيضا: الأدب العربي في القفقاس الشمالي، ص٩٨.

٢٩ - الأدب العربي في القفقاس الشمالي، ص٩٣,

٣٠ - المصدر السابق، ص٩٤.

٣١ - المصدر السابق، ص٩٩.

٣٢ - الآفارية (Avar): هي (الأواريـة) إحدى قبائل ومناطق داغستان المنسوب إليها العلامة محمد بن موسى القدوقي الأواري، تلميذ المقلي السابق الإشارة إليه. ولعل هذا التغيير في رسم الكلمة حدث بعد دخول اللغة الروسية.

٣٣ - انظر: نزهة الأذهان في تراجم علماء داغستان، للعلامة نذير بن محمد بن قربان الداغستاني الدركيلي، (المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٣م) نسخة مصورة عن مخطوطة الكتاب بخط مؤلفه منشورة على النت، (وأصلها محفوظ بخزانة المخطوطات في أنجي, عاصمة داغستان)، ق٨-٩، والمختار المصون من أعلام القرون، محمد بن حسن بن عقيل موسى، جدة: دار الأندلس الخضراء، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص١٩٥١-١٩٥٢، والأدب العربي في القفقاس الشمالي، ص٩٢-٩٥.

٣٤- نزهة الأذهان في تراجم علماء داغستان، ق٨ (ب).

إسهام العلماء المجاورين في الحرمين الشريفين في نشر العلم على نطاق واسع

٣٥ - الأدب العربي في القفقاس الشمالي، ص٩٦.

٣٦ - المصدر السابق، ص٩٩.

٣٧ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢٩٠/١.

٣٨ - الأدب العربي في القفقاس الشمالي، ص٩٥.

٣٩ - تلبيس إبليس، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، بيروت: دار الكتاب العربي، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٠١.

٤٠ انظر: العلم الشامخ، للمقبلي، ص١٨٢،: الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي ، بيروت: دار الكتب العلمية (١٩٨٣م) ص ١٠٤؛ التفكير العلمي، فؤاد زكريا، الكويت: (سلسلة عالم المعرفة رقم ٣) ط ٣ (١٩٨٨م)، ص١٠٤؛ الاتجاهات التعصبية، معتز سيد عبد الله، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم (١٣٧)، ١٩٨٩م، ص٧.

٤١ - الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الخُبَر - السعودية: دار ابن عفان، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ٣٧/١-٣٩.

٤٢ - الاعتصام ٣٩/١.

43 - http://al-fatava.com/forums/index.php?showtopic=423&st=40

٤٤ - الظاهر أنه من علماء داغستان أو مما جاورها في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ذكره العلامة نذير بن محمد بن قربان الداغستانى الدركيلى، (المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٣م) في كتابه نزهة الأذهان فى تراجم علماء داغستان، (ق٩) في ترجمة القدوقي، في عِداد المنتقدين للمقبلي.

٤٥ - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٦٧/٣٣-٧١.، وانظر رأي ابن القيم في كتابه: زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧، (١٤١٥هـ /١٩٩٤م)، ٣٢٥/٥-٣٥٠.

٤٦ - سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م)، ١٧٥/٣.

٤٧ - المجددون في الإسلام ٤١٢.

٤٨ - العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، ص٢٢،

٤٩ - المصدر السابق، ص٣٤٩-٣٥١.

٥٠ - المصدر السابق، ص٣٦١-٣٦٣.

قائمة المصادر والمراجع مرتبة على الحروف الهجائية

- الأبحاث المسددة في فنون متعددة، صالح بن المهدي المقبلي، ومعه ذيل الأبحاث المسددة وحل عبارتها المعقدة، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الربيعي، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- الاتجاهات التعصبية، معتز سيد عبد الله، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، رقم (١٣٧)، ١٩٨٩م.
- إتحاف الأحباب بدمية القصر الناعتة لمحاسن بعض أهل العصر، لأحمد بن محمد قاطن، تحقيق عبد الرحمن عبد القادر المعلمي، صنعاء: مكتبة الإرشاد ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- الأدب العربي في القفقاس الشمالي، للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، ترجمة الدكتور جليل كمال الدين، مجلة "المورد" العراقية، المجلد التاسع، العدد الأول؛ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الخُبَر - السعودية: دار ابن عفان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ.
- التفكير العلمي، فؤاد زكريا، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، رقم (٣)، ط ٣، ١٩٨٨م.
- تلبيس إبليس، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- جراب الممنون، للأقداري، تميرخان شوره (عاصمة داغستان آنذاك): المطبعة الإسلامية، ١٣٣١هـ/١٩١٢م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي، القاهرة، ١٢٨٤ هـ.
- داغستان واليمن، للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، ترجمة الدكتور جليل كمال الدين، مجلة "المورد" العراقية، المجلد الثامن، العدد الثاني؛ صيف ١٩٧٩م، ص ١٠٩-١١٨.
- الدرر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد، عبد الواسع الواسعي، طبعة مصر، ١٣٥٧هـ.
- ديوان الهبل: أمير شعراء اليمن، تحقيق أحمد بن محمد الشامي، صنعاء: الدار اليمنية ١٩٨٧م.
- رحلة ابن جبير، لمحمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (المتوفى سنة ٦١٤هـ)، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت).
- الرحلة في طلب الحديث، للحافظ البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- رسائل وأبحاث في حديث افتراق الأمة، لمجموعة من علماء اليمن، تحقيق عبد الله يحيى السريحي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم، ط٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لتقي الدين الفاسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- الشيخ صالح المقبلي: حياته وفكره، أحمد عبد العزيز المليكي، صنعاء: وزارة الثقافة والسياحة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه، عمّان: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- طيب السمر في أوقات السحر، لشهاب الدين أحمد بن محمد الحيمي، تحقيق عبد الله بن محمد الحبشي، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ، للمقبلي، القاهرة: (د.ن)، ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.
- فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مصطفى بن فتح الله الحموي، تحقيق عبد الله محمد الكندري، بيروت ودمشق والكويت: دار النوادر ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- المجددون في الإسلام، عبد المتعال الصعيدي، القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت).
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- المختار المصون من أعلام القرون، محمد بن حسن بن عقيل موسى، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن: عبد الله الحبشي،

بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٨م.

- معجم السفر، لأبي طاهر السِّلَفي الأصبهاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي ، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.
- المنار في المختار من جواهر البحر الزخار، للمقبلي، صنعاء: مكتبة الجيل الجديد، وبيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- نزهة الأذهان فى تراجم علماء داغستان، للعلامة نذير بن محمد بن قربان الداغستانى الدركيلى، نسخة مصورة عن مخطوطة الكتاب بخط مؤلفه منشورة على النت، (وأصلها محفوظ بخزانة المخطوطات في أنجي, عاصمة داغستان).
- نشر العرف في نبلاء اليمن بعد الألف، محمد زبارة، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٥م.
- نفحات العنبر في تراجم أعيان وفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر، لإبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحوثي الصنعاني، تحقيق: عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- هجر العلم ومعاقله في اليمن، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٥م.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، اسماعيل باشا الباباني البغدادي، طبعة إستانبول ١٩٥١م.



المونتاج الشعري في رائية عُبيد بن أيوب العنبري

أ. د. سمر الديوب
جامعة البعث – حمص – سوريا

المونتاج الشعري في رائية عُبيد بن أيوب العنبري

- المونتاج الشعري لغة واصطلاحًا

المونتاج الشعري عملية ربط اللقطات والصور والمشاهد في النص الشعري، وإلحاق الصورة بالصورة بطريقة شبه سوريالية بهدف جعل المتلقي متفاعلًا مع اللقطات، مدركًا دلالتها بنفسه، ولا يعني في أية حال الإخبار.

والمونتاج مصطلح سينمائي، ويجمع لغةَ السينما ولغةَ الشعر الاقتصادَ والكثافةَ والانزياح والإيحاء. وكلمة مونتاج ذات أصل فرنسي " Montage "، تعني قطع اللقطات السينمائية، ولصق بعضها في بعضها الآخر(1).

وثمة مرحلتان للمونتاج: مرحلة القطع Cutting وهي مرحلة قطع اللقطات ولصقها، ومرحلة التحرير، وهي مرحلة ضبط اللقطات من جهة طول كل منها ومكانها وتوقيتها. ويذكر كاريل أن وصل اللقطات بطريقة خلاقة للحصول على تأثير خاص هو ما توصل إليه السينمائيون الروس الأوائل، وأخذه عنهم السينمائيون في أنحاء العالم كله، ويسمى Montage (2).

وعُرف المونتاج أيضًا بالتوليف؛ أي ضم الكلام بعضه إلى بعض، واجتماع المشاهد على شكل لوحات شعرية من غير وجود رابط بينها. والتوليف معجميًا من معنى الائتلاف، وهو الجمع بين أشياء متعددة في صياغة واحدة، ويعني في الوقت نفسه المصطلح الكيميائي الذي يحمل معنى التخليق المتأتي من اندماج مركّبين مختلفين أو أكثر(3).

ويتعين على ذلك أن التوليف اندماج مركبين في الكيمياء، والحصول على مركب جديد، وعلى مستوى اللغة الشعرية، ومستوى التصوير اندماج تركيبين لغويين، أو مشهدين غير متجانسين، فيتولد معنى جديد متحصل من اندماج التركيبين، أو المشهدين.

وبوجود التوليف يكون النص الشعري نصًا مؤثرًا في المتلقي، فاللغة الشعرية نظام داخل

النظام اللغوي، ولغة داخل لغة، وبمعنى آخر لغة ما وراء اللغة. والتوليف تنافر على مستوى التركيب، وانسجام على مستوى الدلالة، فقد يجمع الشاعر لقطتين متنافرتين تحيلان على دلالة ذات بعد إيديولوجي.

وسنعتمد في هذا البحث مصطلح المونتاج الشعري بدلًا من التوليف؛ لأنه يحيل على تجاور فنيّ السينما والشعر، فيجتمع في النص الشعري التراثي سمات أدبية، وسمات سينمائية مع أن الأدب سابق فن السينما بزمن طويل، ولا غرابة في ذلك فالسينما شاعرية في جوهرها. فثمة علاقة حميمية بين الكلمة المكتوبة والصورة، وتقدّم السينما مشاهد بصرية ذات دلالة، ويقدّم الشعر المشاهد بطريقة لغوية ذات توقيعات موسيقية(٤).

والسينما تشكيل مرئي يقوم على الجمع بين اللقطات والحركة المنسقة. إن ما جاء به الشاعر القديم يدفع إلى الاعتقاد أنه قدّم صورًا أشبه ما تكون بما يقدّم في الفن السينمائي اليوم، فغدا مخرجًا جيدًا لنصه، كما نفترض وجود الرابط القوي بين الكلمة والصورة في الرائية.

٢-الشاعر والقصيدة

عبيد بن أيوب من بني العنبر، من بني تميم، شاعر مشرّد طريد، كان قد جنى جناية، فطلبه السلطان، وأباح دمه، فهرب في مجاهل الأرض، وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ويبايت الذئاب والأفاعي، ويأكل مع الظباء والوحش(٥).

ولا يذكر عبيد في شعره سبب جنايته، ويقدّم صورة إيجابية لنفسه، وتحدث في شعره عن حنينه إلى وطنه، وإلى المرأة الحبيبة، لكن الغالب على شعره خوفه من الناس، وألفته الوحوش، فقد كان من صعاليك العصر الأموي، وليس في شعره ما يدل على أنه لص.

وقسم عبيد قصيدته إلى مشاهد، وعمل على تقنية القص واللصق شعريًا، وقام بنقلات سريعة بين الصور والمشاهد من غير روابط منطقية، وهو الأمر الذي يدخل في صلب المونتاج الشعري.

ويتحدث في هذه القصيدة عن جانب من حياته في الفيافي، فيقول(٦):

أراني وذئبَ القفر خدنَين بعدما
تداني كلانا يشمئزُّ ويُذعَرُ(٧)
إذا ما عوى جاوبتُ سجعَ عوائه
بترنيم محزون يموت ويُنشَرُ
تذلّلتُه حتى دنا وألفتُه
وأمكنني لو أنني كنتُ أغدِرُ
ولكنني لم يأتمنّيَ صاحبٌ
فيرتابَ بي ما دام لا يتغيّرُ
فلله درُّ الغول أيُّ رفيقةٍ
لصاحب قفرٍ خائفٍ يتستّرُ
تغنّت بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدَت
حواليَّ نيرانًا تبوخ وتَزْهَرُ(٨)
أنستُ بها لما بدت وألفتُها
وحتى دنت واللهُ بالغيبِ أبصرُ
فلما رأتْ ألا أُهالَ وأنني
وقورٌ إذا طارَ الجَنانُ المُطَيَّرُ

دنتْ بعدَ ذاكَ الرّوعِ حتى ألفتُها
وصافيتُها، واللهُ بالغيبِ أخبرُ
ألم ترني حالفتُ صفراءَ نبعةً
تُرنُّ إذا ما رعتُها وتزمجِرُ[9]
تَزَمجُرَ غيري أحرقوها بضَرَّةٍ
فباتت لها تحت الخباءِ تُذَمَّرُ
لها فتيةٌ ماضون حيثُ رمتْ بهم
شرابهم قانٍ من الجوفِ أحمرُ[10]
إذا افتقرتْ راشتهمُ بغناهمُ
عطاءً لهم حتى صفا ما يُكدَّرُ
ألمَّ خيالٌ من أميمةَ طارقٌ
وقد تليت من آخرِ الليلِ غُبَّرُ
فيا فرحًا للمدلجِ الزائرِ الذي
أتانا وفي رَيْطاته يتبخترُ[11]
فثرتُ وقلبي مُقصَدٌ للذي به
وعيني أحيانًا تَجَمُّ فتُغمَرُ
إلى ناعجٍ أما أعالي عظامه
فثُمٌ،وسفلاها على الأرضِ تَمْهَرُ[12]
فقلتُ له قولًا وحادثتُ شدَّهُ
بأعوادِ ميسٍ نقشُهنَّ مُحَبَّرُ:[13]
أيا جَمَلي إن أنت زرتَ بلادَها
برَحْلي وأجلادي فأنت محرَّرُ
وهل جَمَلٌ مجتابُ ما حالَ دونها
من الأرضِ أو ريحٌ تروحُ وتُبْكِرُ؟
وكيف تُرجِّيها وقد حالَ دونها
من الأرضِ مخشيُّ التنائفِ مُذْعَرُ
وأنت طريدٌ مستسِرٌّ بقفْرَةٍ
مرارًا وأحيانًا تُصَبُّ فتَظهَرُ
فيا ليت شعري هل يعودَنَّ مَرْبَعٌ
وقيظٌ بأكنافِ الظُّلَيْفِ ومَحضَرُ
أقاتلتي بطَّالةٌ عامريةٌ
بأردانها مسكٌ ذكيٌّ وعنبرُ[14]

٢-المونتاج الشعري والمجاز البصري

ترسم الصورة التي تكتنفها الأبيات مصاحبة عُبيد الذئب في الصحراء الخالية، وقدرته على تذليله، وأنسه بالغول التي كانت مصدر رعب لكل من يجتاز الصحراء، ثم يصور قوسه وقد عقد حلفًا معها، ويتحدث عن رفاقه الذين رفضوا الضيم في مجتمعهم، وانصرفوا إلى الفيافي، ويصل إلى طيف أميمة الذي أتاه ليلًا، فكان سببًا في تحرك لواعج الشوق في قلبه، ومخاطبته جمله لعله يستطيع أن يصل إلى الوطن حيث الحبيبة، لكنه يدرك استحالة حصول ذلك؛ لأنه لن يغير سلوكه ما دام مجتمعه لا يتغير، فتنتهي القصيدة بالحنين المتقد.

يخلو المونتاج في القصيدة التراثية من القصدية؛ أي من أنه مونتاج، لكننا نجد قصدًا من جانب الصياغة الشعرية، فقد بدأ عبيد بداية مخالفة لنهج القصيدة العربية، بدأها بحركة صوتية "جاوبت سجع عوائه" وهي حركة توليفية عفوية واعية في الوقت نفسه؛ لأنها مقصودة[15].

ويرتبط المونتاج بالمجاز والبلاغة، فيقدّم المعنى العام للنص، ويربط الأحداث منطقيًا وهو يرتب اللقطات مع الصعود الدرامي في القصيدة

المونتاج الشعري في رائية عُبيد بن أيوب العنبري

من جهة، ويرتبط عضويًا بالمجاز من جهة أخرى، فيضع بلاغة السينما في الشعر، ويرتبط بالموقف الإيديولوجي للشاعر.

إن ثمة بلاغة خاصة للصورة: بلاغة غزت الخطاب الشعري منذ القديم، وهي بلاغة بصرية تؤكد انفتاح النص الشعري على الفن السينمائي، فثمة اعتماد على الصورة السينمائية من جهة الصور المتتابعة في صنع الحدث والحوار[١٦].

وقد رسم عبيد عناصر المشاهد الشعرية الأربعة "الذئب، الغول، القوس والرفاق، الطيف" رسمًا بالكلمات، وقد استفاد الفضاء الشعري في رسم كل صورة من الفضاء السينمائي وتقنياته، فثمة إضاءة، ولون، وحركة، وعين المصوّر/ عين الشاعر التي ترصد الحدث، وتلاحقه، وتقترب منه كثيرًا.

كما نهض كل مشهد من المشاهد السابقة على الحوار مع الطرف الآخر المغيّب بتقنية السيناريو المخفي؛ ذلك أن الحوار مع الذات لا يقتصر على وظيفة الإخبار فقط، بل يتعدى ذلك إلى الآخر المختلف الحاضر في ذهن الشاعر، والحاضر في خطابه على الرغم من تغييبه.

وعُدّت كلمات الشاعر رسمًا قابلاً للتأويل وإنتاج الدلالة، واتسمت بالطابع الحركي: حركته مع الذئب والغول، حركته برفقة قوسه، حركته العنيفة حين تراءى له طيف أميمة.

ولا بد للشعر من أن يفيد من تقنيات الأنواع الأدبية وغير الأدبية، فتعطينا الرسوم على الجدران الكهفية فكرة عن علاقة الشعر بالرسم، ويتبع الشعر ثنائية الرؤية والرؤيا؛ أي ثنائية الفك والتركيب، فهو يعيد تركيب موجودات اللغة كما يراها.

وعملية الانتخاب والتركيب هذه تخضع لتقنية المونتاج السينمائي الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بدراسة بنية الصورة التي تحقق التناغم بين المونتاج والشعر.

فمنذ البداية يضعنا الشاعر أمام صورة سينمائية متحركة:

أراني وذئبَ القفر خدنَين بعدما
تدانى كلانا يشمئزٌّ ويُذعَرُ
إذا ما عوى جاوبتُ سجعَ عوائه
بترنيم محزون يموت ويُنشَرُ

فثمة حركة مستمرة "تدانى، يشمئز، يذعر" وثمة محاولات متعددة إلى أن وصل معه إلى مرحلة الصحبة، وثمة تداخل بين الشعر وفن الرسم، فالشعر رسم بالكلمات. ويجمع هذين الجانبين البعد البصري، فالشعر منذ عهد سيمونيدس الإغريقي رسم ناطق.

إن ثمة طغيانًا للجانب البصري، فثمة تشكيل صورة، وتوزيع إضاءة، وتركيز عين الكاميرا على عبيد والذئب، وثمة فضاء لا متناه هو الصحراء مترامية الأطراف، وثمة تحديد الهيئة[١٧].

لقد حدد عبيد المحتوى في اللقطة الأولى، فعواء الذئب موسيقى تصويرية في صحراء، تأتي في المقابل لقطة عواء الشاعر ردًا على سجع عواء الذئب، واستئناسه بهذا السجع لفتح المسافة على التأويل والإيحاء، وهي لقطة تحمل إيحاء وتصريحًا في آن، وتمثل موقف الشاعر من مجتمعه، وموقعه أمام الذئب في هذه اللقطة السينمائية. فلم يتحدث عن صحبته الذئبَ من باب

إظهار الشجاعة، بل من باب إظهار شدة الألم لقدرته على محالفة أشد الوحوش ضراوة، وفشله في إقامة علاقة مع بني جنسه: "بترنيم محزون يموت وينشر".

فتأتي اللقطة التالية: كرهه الأنيس؛ لتوضح اللقطة السابقة، وكأن عين المصوّر دارت بين موقعين: هو والذئب، هو وبني البشر في هذا المشهد الخارجي العريض. أما حركة الكاميرا/ عين الشاعر فهي أفقية تتردد بين الشاعر والذئب من جهة، والشاعر والبشر من جهة أخرى.

لقد افتتح نصه الشعري منذ الكلمة الأولى على الرؤية البصرية السينمائية: "أراني وذئب القفر" فثمة علاقة بين العين والكاميرا، فالكاميرا أهم وسيلة للتواصل السينمائي، والعين مسؤولة عن نقل النص إلى الخارج بصريًا، فتصور الكاميرا لقطة في الصحراء "الغول الرفيقة" وتنتج معنى لكن عين الشاعر التي نقلت هذه اللقطة استطاعت أن تنقلها بطريقة أشد إيحاء، فقدمها سينمائيًا، وبمعنى آخر قدمها بعين شعرية، فقد أوجد التجاور بين لقطتي الذئب والغول انزياحًا صوريًا نتيجة المزج الواعي بين الصورتين، فقد تمكن من أن يصل إلى مرحلة الألفة مع الذئب بعد عناء شديد، فقد حاول أن يروّضه أولًا ثم حدثت الألفة في مرحلة تالية، فلم يغدر بالذئب؛ لأن الغدر ليس من شيمه؛ لذلك تأخذ صورة الشاعر والذئب معنى آخر هو صراعه مع مجتمعه، ويعني ذلك أن صعلكته رد فعل على مجتمعه، وليست وليدة موقف سابق.

إن للذئب دلالة إيحائية، وهو المعروف بغدره ولا سيما وأنه يصدر أصواتًا من شدة جوعه متواترة، متقطعة؛ فالسجع يعتمد التقطيع النغمي والتوازي "سجع عوائه" والذئب أشد ما يكون غدرًا في حال جوعه، كما استدرج الحيوان الأسطوري الذي نُسجت حوله الخرافات في إطار إثبات ذاته أمام مجتمعه، فيؤسس لغة شعرية ذات ركيزة بصرية تتضح دلالة، وتتجاوز لغة الكاميرا؛ إذ تتجاوز اللغة معجميتها ووظيفتها الإفهامية، فلدينا مشهد يمكن أن ترصده عين الكاميرا "الذئب" ومشهد غرائبي "الغول" ومشهد حُلُمي "طيف الخيال".

ويتعزز المجاز البصري في المشهد الأول بصورة النار المشتعلة في الصحراء-ويمكن جعلها إضاءة للمسرح-: "أوقدت حوالي نيرانًا" فعين الكاميرا الشعرية عين مجازية، فالنيران محاولة من الشاعر لإضاءة المستقبل المدلهم، والإصرار على الدخول في المجهول، فقد أنس بالنيران التي تخيف الناس العاديين ظنًا منهم أنها نار السعالي، فهو متمسك بقضيته، وله فهم خاص لمسألتي الحق والصواب؛ لذلك ينتقل إلى عين الكاميرا الواقعية بالتصريح في المشهد الثالث حين تحدث عن رفاقه وقوسه.

وفي المشهد الرابع يصف عبيد في مشهد ليلي طيف أميمة الذي ألمّ به وهو ساكن، وبهذه اللقطة حدثت الحركة العنيفة:

فثرتُ وقلبي مُقصَدٌ للذي به
وعيني أحيانًا تَجِمُ فتُغْمَرُ
إلى ناعجٍ أما أعالي عظامه
فشُمٌّ، وسفلاها على الأرضِ تَمْهَرُ

المونتاج الشعري في رائية عُبيد بن أيوب العنبري

ومن هذه اللقطة المحددة انطلق إلى لقطات متعددة توحي بجوه النفسي، ويأتي ليل الصحراء داعمًا أبعاد المشهد، فينتقل من التصوير الخارجي إلى الداخل، فقد تأججت مشاعر الشوق في قلبه، ودمعت عيناه، فيصور بعد ذلك ثورته إلى جمله وهو طريد في قفر، فينتقل من الصورة الواسعة إلى صورة محددة لرجُل تحرك بقوة إلى جمله بتقنية Zoom في السينما، فبعد أن تجولت عين الكاميرا في الصحراء، وصورت المساحات الشاسعة التي تفصله عن الوطن والمرأة تتحدد حركتها مع حركته وهو يختفي حينًا ويظهر حينًا:

وأنــت طـريـدٌ مـسـتـسِرٌّ بـقَـفْـرَةٍ

مــرارًا وأحـيـانًـا تُـصَـبُّ فتَظهَرُ

فثمة فضاء داخلي يقابله فضاء خارجي، والليل زمن مسيطر، وشغلت الصحراء الديكور في المشاهد كلها، وجُمعت هذه اللقطات البصرية بعملية مونتاج هو نتيجة العلاقة بين اللقطات المختلفة التي لا يرتبط بعضها ببعض برابط، بل إن عين الشاعر هي التي جمعتها(١٨).

والليل لدى الشاعر ميدان صراع من جهة، وميدان لقاء طيف حبيبته مع معرفة استحالة وجودها من جهة أخرى، فيعني وجود الطيف استحالة وجود المرأة، والحضور الطيفي افتقاد للحضور الفيزيائي، وقد كان طيفها سببًا في ثورته إلى جمله الذي سيوصله إلى أميمة رمز الأمان والخصب والسلام، أما الجمل فهو قوي؛ لأن قوته تبعث في نفس عبيد شعورًا بالأمان، وهو يتحرك وفق رغبة صاحبه، فهو مشدود بأعواد، ومهدد بعدم منحه الحرية إن لم يحقق الهدف، فرحلته إلى أميمة رحلة نفسية؛ ذلك أنها أمل يربطه بالحياة، ويسعى إليه.

ويتفاعل الجمل مع الشاعر لأن كلًا منهما يسعى إلى التحرر من قيده، فيسرع الخطا، فإذا بسفليه تبدوان كالحنطة الحمراء، ويؤدي المجاز البصري هنا وظيفة خاصة؛ إذ يغدو اللون الأحمر لون الألم والرفض والتمرد، لكن الشك كبير في داخله "وكيف ترجيها" فهو يعرف أن عودته مرهونة بتخليه عن سبيل الصعلكة، وهو أمر لا يقبله؛ لذا يظل الشوق متأججًا في قلبه.

وتتوزع المشاهد في النص على وفق الشكل الآتي:

المشهد الأول	فضاء خارجي	مشهد نهاري	مكوناته الديكورية: صحراء- صوت- صدى
المشهد الثاني	فضاء خارجي	مشهد ليلي	مكوناته الديكورية: صحراء- نيران- أصوات مرعبة
المشهد الثالث	فضاء خارجي	مشهد نهاري	مكوناته الديكورية: رنين القوس- صحراء- دم
المشهد الرابع	فضاء داخلي	مشهد ليلي	مكوناته الديكورية: الرحل- الأجلاد-صوت الريح

يعتمد المونتاج في علاقته بالمجاز البصري على رسم مشهد واقعي، ومشهد فوق واقعي، وهو ما لا تستطيع عين الكاميرا رصده، فتتفاعل مع اللغة لإنتاج لغة تصويرية؛ ذلك أن العالم الشعري يتشكل على وفق ثنائية الرؤية والرؤيا، واللغة/ الكاميرا هي التي تؤسس هذا العالم الشعري، فثمة لغة إيحائية قائمة على الانزياح الدلالي، فالكاميرا/ عين الشاعر مثبتة في الصحراء، وتتحرك في المشاهد واللقطات، ويتكون كل مشهد من لقطات تركز على الرؤية البصرية "أراني- ألم خيال- ألم ترني" ولو أخذنا كل لقطة منفردة لغدت مثل الجملة المعجمية من غير دلالة: ألم خيال، فلا نخرج بقيمة شعرية، ويعني ذلك أن الكاميرا الشعرية تخرق المعيار الذي وضعته الدلالة المعجمية.

إن اجتزاء بعض اللقطات يؤكد أثر الكاميرا، فالتصوير الغرائبي المتلبس طاقة الرعب في وصف الغول يجعلنا نرى اللقطة بعين الوهم "الغول" وهذا عالم شعري سينمائي، فلا تستطيع السينما إنتاجه من غير مونتاج شعري، ولا يوجد مثل هذا التصوير في الواقع؛ أي إن الكاميرا تعاقدت مع الشعر لتقديم معنى أعلى من مستوى التداول.

لقد كان هنالك حوار خاص مع الذئب "جاوبت سجع عوائه" وحوار خاص مع الغول:

ذاكَ الـــرّوعِ حتى ألـفتُـهـا بعدَ

وصافيتُها، والـلـهُ بالغيبِ أخبرُ

وحــوار مع الجمل، وحــوار مع شخص مفترض:

حـالـفـتْ صـفـراءَ نبـعـةً ترنـي

تُـرنُّ إذا مـا رعْـتُـهـا وتـزمـجِـرُ

وحوار داخلي: "كيف ترجيها" والصورة السينمائية صورة حركية، ويعدّ الحوار القصة لكي تغدو فيلمًا سينمائيًا متكاملاً، وهذا ما يضطلع به المونتاج[١٩].

إن مهمة الشاعر جعل الصورة الفوتوغرافية "الذئب- القوس- الغول" ترتقي إلى مرحلة الإبهام؛ لتولد لدى المتلقي رغبة في الاستفسار عن طريق بث الحياة في اللقطات المتباعدة، وربطها بتقنية المونتاج الشعري. وللصورة الفوتوغرافية دلالة ثابتة لكن الشعر قادر على احتواء الدلالة، فالمونتاج طريقة ترتيب الصور في تركيبة واحدة، والمونتاج ينظم الصور، ففي النص التقاءُ الفوتوغراف "الوثيقة الاجتماعية" الرسمَ "التصرف في طريقة تقديمها" فالتصوير فوتوغرافي من جهة، شعري من جهة أخرى[٢٠] فما الخطة التي انتهجها عبيد في تقديم نصه الشعري؟

٤- خطة المونتاج الشعري في الرائية

يرتبط المونتاج بإيقاع الحدث، فيخضع ترتيب اللقطات وتوليفها لخطة معينة، ويرتبط إيقاع الحدث في الوقت نفسه باختيار اللقطة وطولها، فتغدو كل لقطة فكرة جديدة بدلًا من أن يكتفي الشاعر بتطوير الحدث فقط، فليس المونتاج وسيلة بصرية لتطوير الحدث، بل يدخل في بنية الحدث وإيقاعه.

٤-١-القص واللصق

استثمر عبيد الأدوات الفنية ليحقق لنصه قدرًا من الإبداع والتميز، ويعد المونتاج الشعري الذي لم يكن مقصودًا لذاته كسرًا لنظام الكتابة الشعرية المألوف، فيعني المونتاج قص ما يريد، وإبقاء ما يريد، فقد قص صورة الطلل؛ لأن حياته طلل من نوع مختلف، فيعني الطلل فيما يعنيه تمسكًا بالمكان وقيمه، وقد أعلن عبيد رفضه قيمَ المكان/ القبيلة.

وبدأ بصورة الذئب، وتحدث عن قدرته على ترويضه بعد مرحلة حذر، وقص حديثه عن معاناته في مجتمعه، وفي الصحراء، وأوحى بها إيحاء بمشهد الذئب.

ولصق صورة الغول الغرائبية والنيران التي تشعلها في ليل الصحراء، وقص حديثه عن تفرده وجرأته واختلافه عن أبناء قبيلته.

ولصق صورة القوس التي عقد حلفًا معها، وقص خوفه الداخلي على الرغم من شجاعته الظاهرة، فتخيف حين تزمجر، ونلاحظ الطاقة الإيحائية في الفعل تزمجر، فحركاته في الصحراء دليل خوف كامن في نفسه، وتقوم قوسه بوظيفتين، فهي وسيلة حماية من جهة، وتكشف مشاعره من جهة أخرى؛ فوصفه أدواته وصف حزين، وأنسه بوحوش الصحراء وغيلانها دليل استقرار الوحشة في نفسه، وبذلك تكون حياته طللًا من نوع مختلف؛ لأن ماضيه موحش، وحاضره أكثر وحشة، ومستقبله أشدّ وحشة لغموضه، وتعني القوس الهروب والمواجهة معًا، فقد حارب القوة بالقوة، وتمرد على قيم مجتمعه، لكنه خائف ومتوتر.

ولصق صورة رفاقه الذين سلكوا دربه، ومنحهم صورة إيجابية مشرقة، وقص الصورة السلبية المقابلة، صورة مجتمعه السلبية التي كانت سببًا في خروجهم، فتحدث عن شربهم الدم، وقص رغبته في السير الحثيث وراء طموحه، فطريقهم طريق تضحيات وجرأة، ويعني ذلك أن مشكلته مشكلة جماعية، لا فردية، مع أن سلوكه فردي.

وقصّ الحديث الغزلي، ولجأ إلى طيف الخيال لرغبته في ترك مساحة لأحلام اليقظة، فلا مجال للغزل في الصحراء، فهو بعيد عن المرأة، ويأتي حلم اليقظة محاولة منه لإعادة التوازن النفسي، وحبيبته أميمة، وهي تصغير أم، رمز الحنان والعطاء والخصب والسلام. ومن مستلزمات الحديث الطيفي ذكر المرأة والليل، لكنه يلصق مع هذه الصورة صورة الجمل والريح:

وهل جَمَلٌ مجتابُ ما حالَ دونها

من الأرضِ أو ريحٌ تروحُ وتُبْكِرُ؟

ونلاحظ الدلالة الإيحائية في قوله "ما" فالمسافة بعيدة جدًا، والأمل شبه معدوم، والمسافة المتسعة ليست جغرافية، بل مسافة نفسية، فتعني الريح التحول والمواجهة، وتعبّر عن رفضه الواقع، ورؤياه.

٤-٢-كسر التتابع المنطقي

قدّم عبيد لقطات مفاجئة تصدم المتلقي منذ الجملة الأولى "أراني وذئب القفر خدنين" فقد ثار على المألوف، وكسر حاجز المشابهات

المألوفة في المشهد الشعري، وحطم التتابع المنطقي، فمن غير المنطقي ألفة الذئب، والأنس بالغول، ومخاطبة الجمل، ومن غير المنطقي انتقاله من حديثه عن ألفة الذئب إلى حديثه عن غرائبية الغول وغنائها وإيقادها النيران في الصحراء ليلًا وأنسه بها.

وقد كسر التتابع المنطقي حين انتقل فجأة من قدرته على ألفة الذئب والغول إلى حديثه عن محالفة القوس، وكذلك حين انتقل على نحو مفاجئ لوصف رفاقه، وحين انتقل فجأة إلى حديث الطيف، وكما حطم التتابع المنطقي بين المشاهد الأربعة عمد إلى كسر هذا التتابع على مستوى العلاقات الإسنادية المألوفة، فجمع بين المتباعدات والمتنافرات على مستوى اللقطة " ترن إذا ما رعتها وتزمجر، شرابهم من الجوف"

المونتاج بناء على ذلك دمج أجزاء متباعدة في نص واحد؛ لتوحيد الفكرة المقدمة. ويحتمل إضافة إلى كسر التتابع المنطقي الجدل بين المشاهد، والتنافس فيما بينها؛ ذلك لأنه ترجمة ذاتية، يعتمد على الفكر الإبداعي، والتنقلات السريعة من غير روابط منطقية.

ويقوم التنافس والجدل بين المشاهد الأربعة على توسعه في رسم مشهد، واجتزاء آخر، فقد توسع في رسم مشهد الطيف "١١ بيتاً" لارتباطه الوثيق بعالمه الداخلي، ومعاناته الخاصة، وقدرته على رسم المشاعر المتضادة ما بين رفض المكان والحنين إليه. وقد استطاعت عين الكاميرا أن ترصد الفضاءين: الداخلي والخارجي في آن في حين أنه اقتصر في حديثه عن قوسه ورفاقه على أربعة أبيات؛ لأن لهذا المشهد هدفًا واحدًا هو تأكيد وجهة نظره أمام وجهة النظر المضادة/ مجتمعه. وقد تمكن من تقديم الفضاءين الداخلي والخارجي فيه على الرغم من قصره نسبيًا "ترن، رعتها، تزمجر" ويمثل هذا المشهد انقطاعًا في التتابع المنطقي عن المشهد اللاحق، وتساوى تقريبًا المشهدان الأول والثاني؛ لأن الغاية واحدة منهما وهي تأكيد حزنه لقدرته على محالفة الوحوش، وفشله مع بني جنسه، ومع ذلك يمثل الانتقال من المشهد الأول إلى الثاني كسرًا للتتابع المنطقي، فللشعر منطقه الخاص، يقوم على ثنائية الكلمة/ الصورة، وهي ثنائية تكاملية. فدلالة المقاطع الأربعة تلتقي على الرغم من الانقطاع الظاهر بين المشاهد.

٤-٢-سببية المشاهد

المونتاج الشعري تقنية ذات علاقة بالتقنيات السينمائية، يقوم على ربط المشاهد المختلفة، وتسلسلها بجمع اللقطات بعضها ببعض؛ لتسلّم إلى المشاهد الشعرية[٢١].

وقد نهضت القصيدة على مشاهد مترابطة، فالمشهد الأول خارجي، لكن الخارج وجه آخر للداخل، تمثّل المشهد في جملة لقطات تجسد الصراع الداخلي لديه، فأوصلت لقطة صحبة الذئب إلى صورة مسلطة على شاشة المتلقي الداخلية، ومع أن المشهد الأول يبدو بعيدًا منطقيًا عن المشهد الثاني لكنه قُدّم على أنه سبب للثاني "مشهد الغول" فمن كان قادرًا على ألفة الذئب فلن يجد الخوف مكانًا في قلبه. وبذلك يسلّم مشهد الغول -على مستوى الدلالة العميقة- إلى المشهد

اللاحق على الرغم من كسر التتابع الظاهر، فهذه الشجاعة أمام الغول والذئب تُترجم على مستوى آخر، وكان نهجه في الحياة وتمرده سببين في المشهد الرابع، وهو افتقاده العنصر الأنثوي في حياته، والتعويض بحلم يقظة.

تشكّل المشاهد سلسلة متعاقبة من الحلقات المتتابعة التي تطور الحدث الشعري، وتؤزّم الصراع، فيشرك معه صوت الريح، وحركة أعواد جمله؛ ليبدد الوحشة والشعور بالوحدة.

ويسمى ترتيب اللقطات والمشاهد من غير وجود سبب ظاهر، وقيامها على رابط دلالي التعنيق [٢٢] Syntagme en فقد ربط بين لقطة طيف أميمة ولقطة التمرد مما يولد عند المتلقي قرارًا فكريًا معينًا.

إن الشاعر في بنائه القصيدة يقرب كثيرًا مما أصبح يعرف اليوم بالفن السينمائي قبل وجوده بمدة طويلة، فتبدو اللقطات بعيدة الصلة، لكنها بضم بعضها إلى بعض تولّد دلالة مخالفة للنسق الظاهر.

والحركة سريعة بين اللقطات بتقنية المونتاج، ويعني ذلك أن هذه التقنية موجودة في بنية القصيدة، فربط بين جملة صور لا يربطها رابط مباشر، لكن الرابط يتمثل في الصورة الكلية، فقد سلّم المشهد الأول إلى الثاني، وولّد هذا الأمر طاقة حركية طافحة مركزها حركة الشاعر الداخلية والخارجية.

٤-٤-الاسترجاع

يعدّ الاسترجاع Flash Back ميدانًا خصبًا للتداخل مع المونتاج السينمائي، وهو يعني العودة إلى الوراء بذكر أحداث ماضية، أو الإشارة إليها لتوضيح موقف ما، والتعليق عليه.

وقد قدّم عبيد في المشهد الرابع "طيف أميمة" لقطات سريعة متناوبة بين زمنين: ماض وحاضر، فبدأ بذكر الطيف المدلج، وتحول إلى البركان الداخلي نتيجة الزيارة، وحديثه مع جمله. ويعدّ الحنين إلى وطنه "ألا ليت شعري هل يعودن مربع" انتقالًا من الحاضر إلى الماضي، يسترجع فيه الذكريات الجميلة، ويقطع كل لقطة بلقطة أخرى، فينتقل بين الأزمنة بالمونتاج الشعري الذي يلمّح ولا يصرّح، ففي حنينه إلى الماضي اختصار لحديث عن سعادة الذكريات مقابل الحاضر المؤلم، لكنه يتوسع في حديثه عن الحاضر ويشير إشارة سريعة إلى الماضي؛ لأن الحاضر يؤلمه.

وتعد اللقطات السريعة والمتضادة ما بين فرحه بزيارة الطيف، وحزنه وبكائه حركة فياضة، فكل لقطة تصدمها لقطة أخرى، ويُحدث ذلك أثرًا لدى المتلقي الذي يحاول إيجاد الرابط بين اللقطات المختلفة والمتنافرة، فهي لقطات متصادمة فكريًا، وهذا دليل على حال التأزم الشديد عنده.

٤-٥-تحولات الخطاب في المشاهد الأربعة

يعني الحديث عن الخطاب حديثًا عن المكونات الداخلية للمشهد الشعري، والخطاب الشعري خطاب نوعي يجمع خطابات متعددة، ولا بد في الخطاب الشعري من حدوث انزياح عن درجة الصفر في الكتابة.

ويبدو الخطاب الغرائبي(٣٣) في قيام عبيد بأفعال خارقة للمعتاد، قدّم هذا الخطاب بالفكر الذي كان سائدًا في تلك المرحلة، والمتعلق بالغيلان والخرافات حولها، والرعب المستقر في النفوس تجاهها، فيعد أنسه بالغول عملًا غرائبيًا، يتنامى مع توالي اللقطات في المشهد، وقد حاول أن يقدم خطابه الغرائبي في صورة الواقعي مع أنه يحتوي مادة غير ممكنة التحقق واقعيًا، لكن المونتاج الشعري جعل ذلك ممكنًا.

أما قصة الشاعر مع الذئب فتتسم بالعجائبية، ويبنى هذا الخطاب على عدم تحققه واقعيًا لكن عين الشاعر الفنية قدمت صورة الذئب وقد تمكن من ترويضه وانتزاع تثبيته في صورة الخطاب الواقعي.

٤-٥-اللقطة والمشهد

ثمة فرق بين اللقطة والمشهد، فيتكون المشهد من لقطات جمل بصرية متعاقبة تستخدم تقنيتي القرب والبعد، فعين الكاميرا/ الشاعر تتسلط على مساحة العرض كاملة، ثم تأخذ بالانحسار إلى نقطة معينة، فتنهض القصيدة على أربعة مشاهد تتنامى دراميًا على المستويين التركيبي والدلالي:

<u>أراني وذئب القفر خدنين بعدما</u>

<u>تدانى كلانا</u> <u>يشمئزُّ</u> <u>ويذعرُ</u>

لقطة

لقطة

تبدأ الكاميرا برصد الحركة الخارجية في بداية البيت وتصل إلى الحركة الداخلية في نهايته، وتنتقل من الحركة في فضاء الصحراء الواسع لتسلط الضوء على لقطة الشاعر والذئب المحددة، ويقرّب المونتاج المتنافرات، فقد استأنس بعواء الذئب وكاد يطير من صوت إنسان.

وتمثل كل لقطة وحدة صغرى تجتمع مع غيرها في مشهد، وتبدو هذه المشاهد لوحات تشكيلية، فيها حركتان داخلية وخارجية، وانتقال بين المكان والزمان، وتعد هذه المشاهد لوحات تدين قيم مجتمعه، وتدعو إلى التمرد عليها.

وقد تتوالى اللقطات برابط بحرف العطف "ترن إذا ما رعتها وتزمجر، أنست وألفتها، تبوخ وتزهر، فلما رأت ألا أهال"" والربط بحرف العطف الواو يفيد الجمع من غير ترتيب، أما الجملة الأخيرة فتحيل على الترتيب لكن في حقيقة حياة الشاعر لا يوجد ترتيب، ويعني ذلك أن الرابط بين اللقطتين معطل، فتجتمع اللقطات المتباعدة، وتشكل فجوة لدى المتلقي على مستوى التركيب، وهذا هو المونتاج الشعري.

وقد تتوالى اللقطات من غير رابط:

لقطة لقطة ن حيثُ رمتُ بهم

شرابهم قانٍ من الجوفِ أحمرُ

فلقطة الفتية الماضين تختلف عن لقطة شرب الدم، لكن المتلقي يولّف بين اللقطتين ليخرج بالدلالة المقصودة. وتولد كل لقطة فضولًا وتشد إلى اللقطة اللاحقة، فتكتمل الدلالة، ولا تتساوى اللقطات في المشهد الواحد، فاللقطة الافتتاحية قصيرة، ولقطة افتتاح مشهد الغول طويلة:

فلله درُّ الغول أيُّ رفيقةٍ

لصاحب قفرٍ خائفٍ يتستّرُ

وثمة لقطات متساوية: إذا عوى جاوبت سجع عوائه، وأوصلت هاتان اللقطتان إلى اللقطة الثالثة؛ "ألفته"، لكنه قدّم النتيجة أولًا، "أراني وذئب القفر خدنين" ثم أعقبها بلقطات تفصيلية، ويتلقى المتلقي اللقطات في وحدة، فيتحقق الوجود الفعلي لها في تتابعها وتفاعلها.

ويخضع تجميع اللقطات لرؤية الشاعر ورؤيـاه، فالمونتاج ترتيب للقطات، وتركيب خلاق يجمع جزئيات الصور الحافلة بالحركة والمعنى والمشاعر.

ويقدّم المونتاج الشعري نصًا مراوغًا، فيقدم المشهد القائم على جمع اللقطات دلالة جديدة تفارق الدلالة الظاهرة، فألفة الذئب تحيل على ألم داخلي، فيماثل مفهوم اللقطة السينمائية مفهوم الصورة الشعرية، ويتشكل النص الشعري من تتابع اللقطات كالفن السينمائي تمامًا.

وقد قدّم عبيد المصوّر الصورة من بعيد، ومن قريب، فعين الشاعر هي حدقة الكاميرا، والهدف من اللقطة القريبة جدًا "ألفتها لما دنت" تأكيد رؤياه، وإتاحة الفرصة أمام المتلقي ليتخيل المشهد، فقد أظهر عمق التضاد بين توحش الغول وأنسه بها.

وأغلب اللقطات متوسطة البعد، تؤخذ من مسافة متوسطة "ألم ترني، أراني" تبين معظم أجزاء المشهد، لكن في اللقطة القريبة يكون التركيز النفسي أشد.

واللقطة المتوسطة ليست قريبة ولا بعيدة، هي وصف للشكل الخارجي المستند إلى أساس نفسي؛ لذا وصف أشكال رفاقه، وركز على بياض البشرة الذي يحيل على إشراق نفوسهم.

أما القوس فقد وصفها بأنها صفراء:

حـالـفـتُ صـفـراءَ نـبـعـةً تـرنـي
تـرنُّ إذا مـا رعْـتُـهـا وتـزمـجِـرُ؟

والقوس تكون صفراء في أول أمرها، فإذا ما كثر استعمالها تحولت إلى حمراء، ويعني هذا الكلام أن القوس الصفراء هي القوس العذراء، فتحيل هذه اللقطة على دلالات متعددة، فهل قصد القوس التي لم يمسسها أحد من قبل؟ هل قصد تحضيره عدتّه للمواجهة؟ أو قصد الحضور الأنثوي الرمزي في هذا المشهد مقابل الحضور الطيفي في المشهد اللاحق؟ إنه يفتقد الأنثى في حياته، فحضرت رمزًا بالقوس العذراء هنا باللاشعور، وطيفًا في المشهد اللاحق.

أما اللقطة البعيدة فتشمل أجزاء المشهد كله "المشهد الأخير" وتتميز بوضوح التفاصيل والحركة، وقد تكون اللقطة تتبعية "ألمّ- فثرتُ- فقلتُ- آنست..." توضح أجزاء المشهد الشعري، فينقل عين الكاميرا من طرف إلى آخر.

يهدف المونتاج الشعري -إذًا- إلى تجميع الصور؛ لتوليد رد الفعل المرغوب فيه، وهو تتابع يولّد المعنى. ويشبه المونتاج ما سبق الجاحظ إليه من أن المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها الأعجمي والعربي والبدوي والقروي، لكن التركيب هو الذي يظهرها[٢٤] فللصورة الشعرية طبيعة مرئية، ولها علاقة بالبصيرة، وثمة علاقة بين اللقطة والصورة الشعرية. وكما أن الكلمة

مفردةً تحمل دلالتها المعجمية فقط كذلك اللقطة المفردة تحمل دلالتها المشهدية، فترتيب اللقطات في سياق خاص هو الذي يولّد المعنى، والمونتاج فن صياغة الصورة، وترتيبها لتولّد لدى المتلقي دلالة لها مغزى فكري فنيّ. وثمة تجاوز لمرحلة اللقطة إلى مرحلة الإلمام بالمشهد بعامة، وقد تنوعت اللقطات ما بين هادئة "أراني ونئب القفر خدنين" وصاخبة "فثرت وقلبي مقصد" وقصيرة "تذللته حتى دنا" وطويلة:

يـأتـمـنّـيَ صـاحـبٌ لـم فـيـرتـابْ

بـي مـا دام لا يـتـغـيّـرُ

ويأتي تسلسل الأفعال ليظهر سيل اللقطات القائمة على الإيحاء والإيجاز، فـ"الرؤية السينمائية أكثر سرعة من الواقع"[٢٥] وكذلك الرؤية الشعرية.

ولاختلاف سرعة اللقطات علاقة بما يمكن أن يسمى المونتاج الإيقاعي في القصيدة.

٥-أنواع المونتاج الشعري في الرائية

٥-١-المونتاج الإيقاعي

هو المونتاج المبني على تقنية التباين في طول اللقطة وقصرها، ويترتب على هذا الأمر طول الدفقة الشعورية التي تتضمنها وقصرها.[٢٦]

فثمة مسافة شعرية تفصل بين قافية وأخرى، وهي تطّرد بمدة زمنية ثابتة، فثمة تشكيل زمني للنص، ويتوازى البث الموسيقي والبث الدلالي، وهو بث موسيقي متوقَّع؛ ذلك أن المتلقي يتوقع القافية قبل ورودها، ويتوقع الموسيقى المتكررة في كل بيت، والمتلونة بدفقات شعورية خاصة تولّد موسيقى تصويرية من نوع خاص. فالوزن والقافية قيد، لكن ثمة حرية داخل هذا القيد.

إن الجرس الذي يحققه حرف الراء في نهاية كل بيت يدعم المعنى، ويتحد به[٢٧] فالموسيقا مع حرف الروي الهدار "الراء" تصوير الموسيقى الشعرية للمعنى، فالنص من البحر الطويل متعدد التفعيلات، وثمة هدير للحرف التكراري "الراء" ولهذا الأمر دلالته في تفعيل البنية الإيقاعية للنص كله.

إن هدير الراء هدير إيقاعي ناجم عن قصد يربط وظيفة القافية بالبنية الدلالية للنص كله، فالحرف التكراري يرتبط بدلالة تكرر موقفه وتؤكده.

ونجد أن الأبيات التي ترصد موقفًا خارجيًا ترتفع فيها وتيرة الإيقاع؛ إذ يتطلب التعبير عن ذلك صوتًا عالياً:

ألـمَّ خـيـالٌ مـن أمـيـمـةَ طـارقٌ

وقـد تليت مـن آخـرِ الـلـيلِ غُـبَّـرُ

فـيـا فـرحًـا لـلـمدلـجِ الـزائـرِ الـذي

أتـانـا وفـي رَيْـطـاتـه يـتـبـخـتـرُ

فـثـرتُ وقـلـبـي مُـقـصَـدٌ لـلـذي بـه

وعـيـنـي أحـيـانًـا تَـجَـمُّ فـتُـغْـمَـرُ

لقد رافق هذه الثورة الشعورية ضجيجٌ إيقاعي مثّل موسيقى تصويرية، ونلاحظ أن عبيدًا قد مال إلى الموسيقى عالية الشدة في النص كله، فالمشاهد الخارجية صورة عن توتره الداخلي، فيميل النص كله إلى الحركة والصخب الإيقاعي،

المونتاج الشعري في رائية عُبيد بن أيوب العنبري

وتساعد القافية المعنى الشعري مع أنها ظلت محكومة بالتكرار والمدة الزمنية الثابتة.

إن ثمة توازيًا صوتيًا من مجمل الحركات المتناوبة بين المشاهد التصويرية، ويوازي التوازي الصوتي تواز بصري لوجود الصدر والعجز المتساويين في عدد الحركات والسكنات.

وتمثل المسافة الشعرية التي تفصل بين قافية وأخرى فضاء البيت الشعري اللاحق، ويعني التوقف عند القافية توقفًا لدلالة الجملة، وبدءًا بدلالة جديدة، فينفتح الفضاء الشعري على مسافات زمنية طويلة، ومكانية واسعة، فيتكئ النص على الجانب البصري وهو فعل إيقاعي سمعي بصري قصدي.

وقد افتُتح مشهدان بلازمة: "أراني- ألم ترني" تعدّ بمنزلة إعداد شعري خاص، وتنفتح على مشهد تتكرر فيه، وهذا ما يجعل المشهد في تصاعد شعري، ولهذه اللازمة فاعليتان: بصرية، وصوتية، فهي لقطات مكررة تؤكد الجانب البصري، وتحمل ضربات موسيقية تجعل المشاهد تتلاحق، فهي بمنزلة فواصل موسيقية.

ونلاحظ الحركة السريعة في عرض بعض اللقطات، فتعرض اللقطات المتلاحقة بطريقة المونتاج السينمائي، ونلاحظ ثنائية الطول والقصر في حجم اللقطات، فثمة إيقاع نغمي يعني اتساعًا أكبر يشمل العناصر الوجدانية والدرامية في اللقطة، وهو ما يُعرف بالمونتاج النغمي(٢٨) الذي يركّز على نغمة سائدة في المشهد، فتتعدد الحركات التصاعدية للقطات، وقد تكون الحركة مضادة للحركة السابقة، وهذا ما يدفعنا إلى دراسة المونتاج التضادي.

٥-٢-المونتاج التضادي

إن ثمة تضادًا توليفيًا في النص بأكمله. فالمونتاج مبني على تقنية التضاد، فثمة عدد من اللقطات المتضادة في المشهد الواحد: "هما خدنان- كانا يشمئزان ويذعران، دنت بعد ذاك الروع، خائف- ألفتها، إذا اقتقرت راشتهم بغناهم، أعالي عظامه شم- سفلاها على الأرض تمهر، تروح وتبكر" فثمة تضاد على مستوى اللقطة، وتضاد في العلاقة بين اللقطات.

يلحّ في المشهدين الأول والثالث على الرؤية البصرية "ألم ترني- أراني" ويصر على اللقطة مقابل اللقطة، فقد رعى القوس الصفراء، وغيره يحرقها، حين تفتقر تغنيهم، رفاقه يشربون الدم، ولا تفهم الصورة إلا بإحالتها على ضدها لكي يُفهم سبب تمرده، وبالتقاء الضدين يتولد التكامل، فهو والذئب تقابله لقطة هو والبشر، وتلتقي اللقطتان المتضادتان، فيكتمل المعنى، ويتم الإيحاء بالمضمر.

ويتكئ المشهد على العناصر القصصية في بنائه، لكنه يتناول القصة تناولًا شعريًا، ويوزع السيناريو المشهد على شكل لوحات تُعرض أمامنا، فيبدأ من المشهد الخارجي المنفتح على الصحراء إلى المشهد الداخلي الذي يرسم الانفعال النفسي، وهو مشهد قائم على التضاد بين الواقع والمأمول، وكما أن كاتب السيناريو يبدأ من موجز القصة(٢٩) كذلك فعل حين بدأ بجملة كثفت الحدث" ألمّ خيال من أميمة" فأوجز كلامًا

عن حنينه، وسالت اللقطات، وأتت البؤرة في نهاية المشهد؛ لتحيل على الوطن القريب/ البعيد.

أقاتلــــــتي بـطَـالـةٌ عـامـريـةٌ

بـأردانـهـا مـسـكٌ ذ كـيٌّ وعـنـبرُ

إن وجود الطيف يشير إلى وجود خلل في حياته، ولو حذف الطيف لاختل المشهد برمته، فهو في الصحراء المكان الحر/ المقيد، وروحه في الوطن الذي يحبه وينفر من ضوابطه.

ويدل فعل الرؤية المتكرر على أنه يحتاج إلى الإضاءة والكشف مع أن هنالك مشهدين ليليين، فقد تصاعد انفعاله في كل مشهد بعد أن شُحن بتفاصيل صغيرة، فلا تنزع المشاهد إلى السكون، ويولد هذا الأمر بعدًا دراميًا قائمًا على التضاد، فثمة مسرحة للصحراء، ينتقل بعين الخيال إلى وطنه، فيجمع الطرفين المتضادين بلقطات بانورامية، فيجمع بين المشهدين الثابت/ الصحراء، والمتحرك/ وطنه فقد نقلت عين الكاميرا/ الشاعر ما هو أوسع من الصحراء حيث وطنه[30].

ويلتقي أسلوب المونتاج أسلوب القصيدة المركزة؛ لأن التركيز هو الأساس الذي ينهض عليه الطرفان، فيقوم المونتاج على تقابل اللقطات المتضادة ما بين لقطات سوداوية ومتفائلة، وهو التضاد الذي يوصل إلى التكامل في رسم الصورة، ويضفي حركة على النص، فجوهر المونتاج الحركة، وهي تشمل المشاهد الأربعة التي انفصلت ظاهريًا لكنها ترابطت شعوريًا ما يدفعنا إلى دراسة المونتاج المشهدي الترابطي.

٥-٢-المونتاج المشهدي الترابطي

ثمة علاقة ذهنية بين اللقطات ذات المحتوى البصري على امتداد النص، وثمة جدل بين العناصر البصرية المتفاعلة[31] ويحتاج الأمر من المتلقي إلى ربط المشاهد؛ لتكتمل الصورة لديه.

ويحجم البناء الشعري التقليدي حركة المشاهد، فلا يتم استغلال أنواع المونتاج التي عُرفت في الشعر الحديث بسبب محدودية الحركة في الصدر والعجز، لكنه يعمد إلى تشكيل المشهد من جملة أبيات بلقطات متتابعة، ويساعد طول النص على تعدد الصور واللقطات، فيقدم لقطات تبدو متباينة لكنها على المستوى الدرامي مترابطة، فيمنع المونتاج الشعري المعنى من الضياع والتشتت، فيتم الانتقال من صورة إلى أخرى برابط موضوعي يسوغ هذا الانتقال[32]

إن ثمة حركات متقابلة في المشاهد: كره الأنيس/ أنس الذئب، غناء الغول/ أنسه بها. فكل لقطة صورة حركية في مشهد يرتبط بالمشاهد الأخرى بعلاقة شعورية، وتوافق هذه الحركةُ الحركةَ السينمائية، فيتجول الشاعر في فضاء خاص بإضاءة وديكور، تلاحقه عين الكاميرا، وهو في صميم المشهد "أراني وذئب القفر، جاوبتُ سجع عوائه، آنستُ، ألفتها" ويسبح الخطاب الأدبي في فضاء من الحرية بخلاف الخطاب السينمائي الذي ينحصر في حيز يحدُّ الخيال، فالشعر أكثر رحابة.

٦-خاتمة

بدا لنا احتفاء هذه القصيدة بأسلوب المونتاج، فغدت فيلمًا قصيرًا، أو قصيدة سينمائية؛ ذلك أنها مشكّلة من أربعة مشاهد منفصلة ظاهريًا، متصلة شعوريًا، وقد تم توظيف عناصر متعددة تدعم المونتاج، وبدراستها توصلنا إلى النتائج الآتية:

- يعني وجود المشاهد والمونتاج كسر التتابع وتعديل أنماط البناء الداخلية لتسمح بالجمع فيما بينها من غير تتابع محتوم.
- ثمة بلاغة مونتاجية، وموسيقى مونتاجية، ففي السينما قطع مستمر لتسريع الحركة، ويظهر هذا الأمر في الانتقال بين الصدر والعجز، وبين البيت والآخر إضافة إلى الإيقاع البصري الذي تقدمه الأشطر الشعرية.
- التكثيف والإيحاء يدعمان بتكرارهما الجانب البصري في هيئات تتحرك، والصوتي في ضربات موسيقية.
- قدّم عبيد سلسلة من المتضادات والمتنافرات، وقاد هذا الأمر إلى تنظيم مونتاجات تعبيرية تزيد من قوة المشاهد التأثيرية، وفي الوقت نفسه يؤمّن المونتاج حركة الخطاب في سياقه الزمكاني من غير الشعور بعدم الانسجام في المشاهد.
- يعني المونتاج دمج اللقطات المتباعدة، منفصلة الصلة، لكنه انقطاع يؤدي إلى توافق في الدلالة.
- تحققت تقنية المونتاج السينمائي في القصيدة على الرغم من القالب التقليدي باستغلال الطول النسبي لها من جهة، واللجوء إلى الأفعال الحركية التي دفعت بحركة النص إلى الأمام من جهة أخرى.

الحواشي

١. رايس كاريل: ١٩٨٧م، فن المونتاج السينمائي، ترجمة: أحمد الخضري وأحمد كامل مرسي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١/ص٣.

٢. المرجع السابق، ص٤.

٣. ابن منظور: ١٩٩٤م، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، مادة ولف.

٤. يعمد الشعراء إلى جمع صور إلى أخرى لا علاقة بينها، فيشكل هذا الجمع نسقًا ذا مدلول فني. انظر: كريم شغيدل: ٢٠٠٢م، الشعر والفنون: دراسة في أنماط التداخل، دار شموع الثقافة، ليبيا، ص٤٦.

٥. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: د.ت، الشعر والشعراء، ط٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ج٢/ص٧٥٨.

٦. عبد المعين ملوحي: ١٩٩٣م، أشعار اللصوص وأخبارهم، ٣مج، ط٢، دار الحضارة الجديدة، بيروت، ج٢/ ٢١٨-٢٢٠.

٧. الخدن هو الصاحب المحدّث.

٨. نار السعالي ربما كانت نار النفط التي كانت تشتعل أحيانًا في الصحراء، ويراها الهاربون فيظنونها نار السعالي.

٩. صفراء: قوس، نبعة: شجرة في الجبال يُتخذ منها القسيّ.

١٠. شرابهم قان: يعني الدم.

١١. الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجًا واحدًا.

١٢. جمل ناعج: حسن اللون، مكرّم، ويقال: النواعج والناعجات من الإبل: البيض الكريمة.

١٣. ميس: شجر صلب تُعمَل منه أكوار الإبل.

١٤. بطّالة: من الفعل بطل، أي تعطّل وتفرّغ.

١٥. يرى طلال عبد الرحمن أن عملية المونتاج عفوية وواعية، فهي عفوية لأنها تنبع من داخل القصيدة نفسها تمامًا كالموسيقى الشعرية، وهي واعية، لأنها مقصودة من قبل الشاعر بحاسته الفنية الدقيقة.

انظر" طلال عبد الرحمن: ١٩٧٧م، السيناريو والمونتاج في شعر جاك بريفرا، مجلة الجامعة، تصدر عن جامعة الموصل، السنة السابعة، العدد١٠، ص٦٥.

١٦. يقول إيزنيشتين: إذا وصلنا لقطتين متقابلتين بعضهما ببعض فإننا لا نحصل على النتيجة البسيطة للقطة ولقطة أخرى، بل نحصل على ابتكار بديع. كاريل رايس، فن المونتاج السينمائي، ٤٣/١.

١٧. للتفصيل في عناصر الصورة السينمائية ينظر: بيتر سبرنسي: ١٩٩٢م، جماليات التصوير والإضاءة في السينما والتلفزيون، ترجمة: فيصل الياسري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص١٠.

١٨. يرى بيير مايو أن المونتاج هو المحالفة العامة بين اللقطات كلها، أي إنه التدرج الزمني العام للعلاقات القائمة بين الحركات الفضائية والحركات الزمانية، وهو في آخر المطاف إيقاع العمل ومعناه. انظر: بيير مايو: ١٩٩٧م، الكتابة السينمائية، ط١، ترجمة: قاسم مقداد، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ص١٤٤.

١٩. للتوسع انظر: سان جون مارنر: ١٩٨٣م، الإخراج السينمائي، ترجمة: أحمد الحضري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٩٧.

٢٠. يرى أندريه بازان أن المونتاج تقوية معنى صورة عن طريق مقابلتها بصورة أخرى لا تخص بالضرورة الحادث نفسه. انظر: أندريه بازان: ١٩٨٩م، ما هي السينما، نشأة السينما ولغتها، ترجمة: ريمون فرنسيس، مراجعة وتقديم: أحمد بدر خان، مكتبة الانجلو المصرية، ج١/١٤٧.

٢١. يقوم المونتاج على ربط شريحة فيلمية "لقطة واحدة" مع أخرى وجعلها مع بعضها، لتكوين مشاهد، والمشاهد ترتبط معًا لتكون مقاطع متسلسلة: لوي دي جانتي: ١٩٨١م، فهم السينما، ترجمة: جعفر علي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ص١٨٥-١٨٦.

٢٢. ماريجورنو تبريز: ٢٠٠٧م، معجم المصطلحات السينمائية، ترجمة: فائز بشور، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ٢٠٠٧م، ص٥.

٢٣. يتسم الخطاب الغرائبي بطاقة الخوف التي تتلبسه، في حين يتسم الخطاب العجائبي بطاقة الإدهاش. وثمة فرق بين العجائبي والعجيب، يرى تودوروف أنه إذا قرر القارئ أنه ينبغي قبول قوانين جديدة للطبيعة يمكن أن تكون الطبيعة مفسّرة لها من خلالها دخلنا عندئذ في جنس العجيب. انظر: تزفيتان تودوروف: ١٩٩٤م، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بو علام، دار شرقيات، القاهرة، ص٥٧ وثمة خلط كبير لدى النقاد بين المصطلحين، فتقتضي العجائبية التردد، والحيرة، ولا تعني أن الشيء مستحيل الوقوع. أما الغرائبية فيرى تودوروف أن الغريب المحض في الآثار التي تنتمي إلى هذا الجنس. ثمة سرد الأحداث يمكنها بالتمام أن تفسر قوانين العقل لكنها على هذا النحو أو على نحو آخر غير معقولة، خارقة، مفزعة، فريدة، مقلقة، غير مألوفة. المرجع السابق، ص٦٠.

٢٤. الجاحظ: ١٩٤٨م، الحيوان، ط١، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، القاهرة، ج٣/ ص١٣١.

٢٥. لودوكا: د.ت، تقنية السينما، ط١، ترجمة: فايز كم نقش، منشورات عويدات، بيروت، ص٦٠ يرى د. حمد الدوخي أن الشعر هو أيضًا أكثر سرعة من الرؤية السينمائية، فتنقل العلاقات وافقًا آخر مبنيًا على آلية الاختيار الزمكاني

التي تؤمنها تقنية المونتاج، وبتصرف شعري. انظر: حمد الدوخي: ٢٠٠٩م، المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص٣٩.

٢٦. يرى عبد الباسط المالك أن هذا المونتاج ذو مظهر طولي يتعلق بطول اللقطات الذي تحدده درجة الفائدة السايكولوجية التي يبعثها مضمون اللقطات. انظر: عبد الباسط المالك: ٢٠٠١م، التشويق: رؤيا الإخراج في الدراما السينمائية والتلفزيونية، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص٥٢.

٢٧. يرى سعيد الغانمي أن المعنى هو الشعور الملقى في النفس من الكلمة نتيجة جرسها "الصوتي". انظر: سعيد الغانمي: ١٩٨٩م، المعنى والكلمات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٨٧.

٢٨. انظر فيما يتعلق بالمونتاج النغمي: دافيد أ. كوك: ١٩٩٩م، تاريخ السينما الروائية، ترجمة: أحمد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١/٢٢٠

٢٩. بيير مايو، الكتابة السينمائية، ص٢١٠.

٣٠. يقول موريس شيرر: السينما فن مكان، تعالج المكان بطريقتين: تعيد بناءه، وتجول فيه بالكاميرا، تحققه بخلق أبعاد مكانية جمالية تركيبية يدركها المتفرج من تراكب أماكن جزئية وتتابعها قد لا تكون لها أية علاقة مادية فيما يسببها. انظر: أحمد تامر: ١٩٩٨م، مديات الصورة والاتصال، ط١، دار الإتحاف للنشر، سليانة، عمان، ص٦٣-٦٤

٣١. يرى دافيد أ. كوك أن المونتاج قادر على خلق التعبير عن أفكار مجردة، وصياغة، ومقولات ذهنية. فن السينما الروائية، ص٢٢٠.

٣٢. ينظر دراسة د. حمد الدوخي عن تقنية المونتاج السينمائي في تجربة السياب، المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصرة، ص٣٢.

المصادر والمراجع

- بازان، أندريه: ١٩٨٩م، ما هي السينما، نشأة السينما ولغتها، ترجمة: ريمون فرنسيس، مراجعة وتقديم: أحمد بدر خان، مكتبة الأنجلو المصرية.
- تامر، أحمد: ١٩٩٨م، مديات الصورة والاتصال، ط١، دار الإتحاف للنشر، سليانة، عمان.
- تودوروف، تزفيتان: ١٩٩٤م، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصدّيق بو علاّم، دار شرقيات، القاهرة .
- تيريز، ماريجورنو: ٢٠٠٧م، معجم المصطلحات السينمائية، ترجمة: فائز بشور، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ٢٠٠٧م.
- الجاحظ، عمرو بن بحر: ١٩٤٨م، الحيوان، ط١، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الحلبي، القاهرة
- الدوخي، حمد: ٢٠٠٩م، المونتاج الشعري في القصيدة العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق .
- دي جانتي، لوي: ١٩٨١م، فهم السينما، ترجمة: جعفر علي، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- سبرنسي، بيتر: ١٩٩٢م، جماليات التصوير والإضاءة في السينما والتلفزيون، ترجمة: فيصل الياسري، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- شغيدل، كريم: ٢٠٠٢م، الشعر والفنون: دراسة في أنماط التداخل، دار شموع الثقافة، ليبيا.
- عبد الرحمن، طلال: ١٩٧٧م، السيناريو والمونتاج في شعر جاك بريفيرا، مجلة الجامعة، تصدر عن جامعة الموصل، السنة السابعة، العدد١٠.
- الغانمي، سعيد: ١٩٨٩م، المعنى والكلمات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: د.ت،

الشعر والشعراء، ط٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

- كاريل، رايس: ١٩٨٧م، فن المونتاج السينمائي، ترجمة: احمد الخضري وأحمد كامل مرسي، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
- كوك، دافيد. أ: ١٩٩٩م، تاريخ السينما الروائية، ترجمة: أحمد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- لودوكا: د.ت، تقنية السينما، ط١، ترجمة: فايز كم نقش، منشورات عويدات، بيروت.
- مارنر، سان جون: ١٩٨٣م، الإخراج السينمائي، ترجمة: أحمد الحضري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- مايو، بيير: ١٩٩٧م، الكتابة السينمائية، ط١، ترجمة: قاسم مقداد، المؤسسة العامة للسينما، دمشق.
- المالك، عبد الباسط: ٢٠٠١م، التشويق: رؤيا الإخراج في الدراما السينمائية والتلفزيونية، ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.
- ملوحي، عبد المعين: ١٩٩٣م، أشعار اللصوص وأخبارهم، ٣مج، ط٢، دار الحضارة الجديدة، بيروت.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: ١٩٩٤م، لسان العرب، ١٥مج، دار صادر، ط٣، بيروت.



لغة التخصص:

لغة العلم ولغة الشعر - دراسة مقارنة

أ. نعيمة بن الشريف

جامعة مولود معمري، تيزي وزو - الجزائر

مقدمة

مما لا يختلف فيه اثنان أن اللغة وسيلة لاكتشاف المعارف في شتى الحقول المعرفية، بغض النظر عن كونها منطوقة أو إشارية أو رمزية أو صورية، وهي وسيلة للتواصل بين البشر على اختلاف ثقافاتهم وأجناسهم، وهي المُعبِّر عن مبتغاهم.

وفي حقل اللغات نجد لغات متنوعة، ومستويات لغوية متباينة بين اللهجة واللغة الرسمية، وحتى تنوع مهن البشر خلق نوعًا آخر من اللغات أطلق عليه لغات التخصص. وفي هذا البحث سنتحدث عن لغة العلم وسنحاول التعرف على ما يميزها عن لغات التخصص الأخرى؛ بحثًا في الإشكال الآتي:

ما هي الفروق الجوهرية بين لغة العلم ولغة الشعر؟.

ولأجل محاولة الإجابة على ذلك حاولنا المقارنة بينها وبين لغة الشعر من خلال وقوفنا على: مفهوم العلم والشعر لغة واصطلاحًا، مفهوم لغة العلم ولغة الشعر، الفرق بين لغة الشعر ولغة العلم، ثم هدف لغة العلم ولغة الشعر؛ وخاتمة ضمّت أهم النتائج المستخلصة من دراسة هذا الموضوع. وتم عرض هذه العناصر باعتماد المنهج الوصفي مع التحليل، والمنهج المقارن في تحديد الفرق بين لغة العلم ولغة الشعر.

أولاً- مفهوم لغة العلم:

١- مفهوم العلم لغة واصطلاحًا:

أ - لغة: جاء في محيط المحيط "لبطرس البستاني" في مادة [عَلِم]: "العِلْمُ الْيَقِيْنُ، وجاء بمعنى الْمَعْرِفَةِ أيضًا كَمَا جَاءَتَ الْمَعَرِفَةُ بمعناهُ، ضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقًا بالجهل(...) وقيل العِلْم يُقال لإدراك الكلي أو المركب والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط(...) وقيل العلم الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء هو حصول صورة

الشيء في العقل، وقيل هو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات وقيل هو زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه"[1].

نفهم من قول صاحب" محيط المحيط" أنه يرى بأن العلم لفظة مرادفة للمعرفة، ومن المعاني اللغوية التي يأخذها: اليقين، وإدراك الكلي أو المركب، والاعتقاد الجازم المطابق للواقع....إلخ.

ب - أمّا بالنسبة لمفهومه الاصطلاحي فمنه: العلم في معناه الواسع الفضفاض؛ أي فرع من فروع المعرفة البشرية يجري على نهج ونظام، ومنه علم الأدب، أمّا معناه الضيق، فيراد به منذ أن ظهرت مناهج البحث العلمي الحديث، العلم الطبيعي؛ أي علم الفيزياء وما تفرع عنه من علوم تشاركه في مناهجه التجريبية، وهو كل دراسة تتوفر فيها أربعة أركان مجتمعة لا يغني بعضها عن بعض وهي:

١ - **منهج البحث:** ويجب أن يكون تجريبيًا استقرائيًا يقوم على الملاحظة الحسية والتجربة العلمية.

٢ - **موضوع البحث:** ويشترط أن يكون جزئيات محسوسة؛ أي ظواهر طبيعية أو وقائع جزئية في عالمنا.

٣- أن يتوصل الباحث عن طريق دراسته التجريبية للوقائع الجزئية إلى وضع قانون عام يفسر الظاهرة المدروسة.

٤- أن تترجم نتائج الدراسة العلمية – القوانين- إلى رموز رياضية[2].

وعلاوة على ما تضمنه مفهوم العلم السابق ينص مفهوم آخر على أن العلم هو: "فاعلية تصورية استكشافية، والعالم إنسان يشارك في مغامرة ذهنية كبرى، الحدس هو الدافع الأساسي في كل عمل علمي وخلق الأفكار أرفع إنجازات العالم، والعمل على تنفيذ الفكرة هام وصحيح، لكنه أقل مرتبة من سابقه، فالعلم الصرف لا يحتاج إلى تبرير خارج ذاته، وفائدته لا تزيد من قيمته"[3].

ويرى أبو هلال العسكري أن المعرفة أخص من العلم؛ لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً، وكل معرفة علم وليس كل علم معرفة، وذلك أن لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلاّ بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم، والشاهد قول أهل اللغة: إن العلم يتعدى إلى مفعولين ليس لك الاقتصار على أحدهما إلاّ أن يكون بمعنى المعرفة. والتمييز في المعرفة هو استعمال العقل بالنظر والفكر اللذين يؤديان إلى تمييز المعلومات[4].

٢- مفهوم لغة العلم:

قد يكون البحث في لغة العلم نوع من بحث لغة التخصص؛ وبخاصة إذا علمنا أن هناك من يربط لغة التخصص بمهن ومجالات بحثية معينة يتم فيها إنتاج مصطلحات خاصة بها. فما هي ميزات لغة العلم؟ وما هو رأي الباحثين فيها؟.

يذهب **غاستون باشلار**" إلى اعتبار اللغة العلمية في مبدئها محدثة، لكي يجد المرء آذانًا صاغية داخل المدينة العلمية؛ حيث ينبغي أن

يتكلم علميًا لغة العلوم، بترجمة اللغة العادية ونقلها إلى اللغة العلمية، وإذا دققنا في عملية الترجمة هاته؛ التي غالبًا ما لا تكون واضحة جلية، فإننا سنلاحظ أن لغة العلم تنطوي على عدد من الألفاظ كثير منها يكتب بين مزدوجتين(...) والوضع بين هلالين من شأنه أن يكشف عن السمات النوعية للوعي العلمي، وهذا الوعي يفصح عن وعي منهجي، إن اللفظ عندما يوضع بين مزدوجتين يبرز وتتحدد نغمته، إنه يأخذ فوق النغمة العادية نغمة علمية."[٥]

وبالموازاة مع الطرح الذي قدمه **باشلار** عن لغة العلم هناك رأي آخر يذهب إلى أن لغة العلم الوحيدة هي "الرياضة" فلا علم إذا لم تقم دراسته على القياس أو الوزن، ولهذا حولت الدراسات العلمية الضوء إلى طول الموجات وقصرها، والصوت إلى سعة الذبذبة، واللون إلى موجات ضوئية... ؛ وذلك لإمكان قياس هذه الظواهر والتعبير عنها بالأرقام.[٦]

ويرى "جان هيبوليت" أنه " إذا كان للعلم لغة جيدة الصنع فإن لجميع العلوم لغتها الخاصة، وهي ترجع جميعها إلى اللغة اليومية كمصدر ونقطة انطلاق. فهاته اللغة منها ننطلق وإليها نعود"[٧].

كما تستدعي لغة العلم من العالم أن يحرص على التخلص من الألفاظ الأدبية والصور الفنية وغموضها، وتجنب إثارة المشاعر والوجدان، ذلك أن دراساته لا تكون إلاّ متى أمكن القياس أو الوزن. والعلم الحديث نلمس فيه حرصًا على تحويل الكيفيات إلى رموز رياضية أو كميات عددية؛ ومن ذلك لازمت البحوث العلمية آلات وأجهزة تعبر عن نتائج دراساته بأرقام يتساوى جميع الناس في فهمها.[٨]

ومما سبق نستشف أن لغة العلم هي لغة يتم فيها استعمال خاص للغة، وأنها تخرج عن اللغة الطبيعية؛ أي اللغة العادية في اقتصارها على لغة الرياضيات وإدراج الرموز، وكل ما من شأنه أن يجعل الكيف قابل للقياس بأرقام، وللتمثيل برسوم بيانية...إلخ.

ثانيًا: مفهوم لغة الشعر:

١- مفهوم الشعر لغة واصطلاحًا:

أ - لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة [شعر]: "والشِّعْرُ: مَنْظُومُ الْقَوْلِ غَلَبَ عَلَيْهِ لِشرَفِهِ بِالْوَزْنِ والْقَافِيةِ، وإنْ كَانَ كُلُّ عِلْمٍ شِعْرًا مِنَ حَيْثُ غَلَبَ الْفِقْهُ عَلىَ عِلْمِ الشَّرْعِ، والْعُودُ الْمُنْدلِ، والنَجْمِ عَلَى الثُّرَيَّا، ومثل ذلك كَثِيرٌ؛ ورُبَّمَا سَمَّوا البيت الْواحِدَ شِعْراً(...) الشِّعْرُ الْقَرِيضُ الْمَحْدُودُ بِعَلامَاتٍ لَا يُجَاوِزُهَا، والْجَمْعُ أَشْعَارٌ، وقَائِلُهُ شَاعِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَشْعُرُ مَالاَ يَشْعُرُ غَيْرُهُ؛ أَيْ يَعْلَمُ. وَشَعَرَ الرَّجُلُ يَشْعُرُ شِعْرًا وشَعْرًا وشَعْرَ، وقِيلَ: شَعَرَ قَالَ الشِّعْرَ، وشَعْرَ أَجَادَ الشِّعْرَ، ورَجُلُ شَاعِرٌ، والْجَمْعُ شُعَرَاءُ"[٩].

ومن باب الاصطلاح يقول أحمد مطلوب: الشعر شعر به يشعر: علم، وأشعره الأمر وأشعره به: أعلمه أيَّـاه. الشعر وقد يسمى" الكلام المنظوم" وهو من أهم فنون العرب الكلامية، وكان " ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون"، فهو ديوانهم ومعدن

علمهم وعمدة الأدب ولسان الزمان (...) وكثرت تعريفات العرب للشعر فقال ابن سلام: إنه ليس كل كلام مؤلف معقود شعرًا، وذهب إلى ذلك الجاحظ وقال: إنه ليس كل كلام موزون شعرًا وإنما هو صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير لابد فيه من القصد[١٠].

وبتتبع ما جاء حول لفظة الشعر وفن الشعر نجد الكثير من بياض الصفحات سُود قديمًا وحديثًا في هذا الشأن. ويذهب جون كوين إلى أن كلمة الشعر كان لها في العصر الكلاسيكي معنى لا غموض فيه، كأن تعني جنسًا أدبيًا هو "القصيدة" التي تتميز بدورها باستخدامها للأبيات. لكن اليوم وعلى الأقل عند جمهور المثقفين أخذت الكلمة معنى أكثر اتساعًا على أثر تطور يبدو أنه بدأ مع الرومانتيكية، ويمكن تحليله بصفة عامة على الطريقة الآتية: بدأ المصطلح أولاً يتحول من السبب إلى الفعل، من الموضوع إلى الذات هكذا أصبحت كلمة "الشعر" تعني التأثير الجمالي الخاص الذي تحدثه "القصيدة" ومن هنا أصبح شائعًا أن نتحدث عن المشاعر أو الانفعالات الشعرية. بعد هذا ومن خلال تردد استخدام هذه المصطلحات، أصبحت كلمة الشعر تطلق على كل موضوع يعالج بطريقة فنية راقية ويمكن أن يثير هذا النوع من المشاعر، وقد أطلق أولاً على الفنون (شعر الموسيقى، وشعر الرسم،...) ثم على الأشياء الطبيعية، ولم يتوقف مصطلح الشعر عن الاتساع منذ تلك اللحظة وهو يعطي اليوم لونًا خاصًا من ألوان المعرفة بل بعدًا من أبعاد الوجود[١١].

٢ - مفهوم لغة الشعر:

لما كان الشعر فنًا وعلمًا من العلوم خُصَّ بنوع من النظم أنتجه أسلوب سبك الكلام وحبكه فيه؛ وتنوع أغراضه وألوانه، والموضوعات التي طرقها الشعراء، وعلى خلاف ما أعرب عنه القدماء أبدع المحدثون والمعاصرون من الشعراء أشكالاً من الشعر زادت في تطور لغة الشعر، وفيما يأتي نقدم لمحة عن لغة الشعر.

"لغة الشعر هي الألفاظ التي تخص الشعر، أو يكثر استعمالها فيه بخلاف النثر وقد أشار ابن رشيق إلى أن للشعراء ألفاظًا معروفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها(...) وقد يرجع هذا إلى أثر التركيب لا إلى أن اللفظة خاصة بالشعر أو النثر، وهو ما تحدث عنه عبد القاهر الجرجاني في باب النظم فقال: إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع فيما تراها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[١٢]. ومن الأمثلة التي عرضها في بيان ذلك ما ورد حول لفظة "الأخدع" في قول الصمة بن عبد الله:

تَـلَـفَّـتُ نحو الـحـي حتى وَجدتني

وَجِعتُ من الإصْـغـاءِ ليتًا وأخْدعا

وقول البحتري:

وإنـي وإن بلغتني شـرف الغنى

وأعتقت من رق المطامع أخدعي

وقد جاءت اللفظة في البيتين جميلة حسنة، أما في بيت أبي تمام:

يـا دهـر قــومٍ مــن أخـدعيـك فقد

أضـجـجـت هــذا الأنـــام مــن خـرقك

فقد فقدت ذلك الحسن والجمال، (...) وذكر ابن الأثير أن بعض الألفاظ تستعمل في الشعر ولا تستعمل في النثر، وانتهى إلى قاعدة هي: "إن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من الألفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم، وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور"(١٣).

نفهم مما سبق أن لغة الشعر هي لغة تميزها طريقة رصف المفردات وتركيب الألفاظ فيما بينها عما سواها من اللغات الخاصة وعن اللغة العادية. لكن ما هو رأي الشعراء والنقاد فيها؟

"يجمع أغلب الشعراء والنقاد على أن للشعر لغة تختلف عن اللغة العادية المستعملة في الكلام والحديث العادي؛ ذلك أن الشاعر يحرص على لغة أسمى وأرفع وأفصح، لغة مختارة لا ابتذال فيها ولا عامية ولا حوشية ولا غرابة ولا اشتراك في المعاني.

وأثناء ممارسة النقد على الشعر نبه النقاد إلى ضرورة مراعاة ذلك في لغته، وهي تعود إلى ما يتصل بالمعنى، فالابتذال والاشتراك في معاني الألفاظ يهجنها ويخرج بها عن سبيلها السوي الذي قصد الشاعر إلى معانيها ومدلولاتها العامية، ويهبط بالشعر إلى مستوى العامية الذي يبعده عن عالم الخيال والغموض.

كذلك الاشتراك والحوشية والغرابة عيوب تدخل لغة الشعر فتفقدها التناسق والتسلسل، وحسن التأني والرونق؛ لأنها تعوق الفهم المتدفق. وهناك عيوب أخرى لا تتصل بالمعنى وحسب بل تتصل بالموسيقى والـوزن؛ وهـي تتعلق بالتصرف في ألفاظ اللغة تصرفًا يخرجها أحيانًا عن صورتها المعروفة إلى صورة يلائم فيها الشاعر بين بنائها ومواتاته لموسيقى الوزن."(١٤)

ويهتم أصحاب نظرية اللغة الشعرية بالفروق بين لغة الشعر بما تحمل من انحرافات وبين اللغة القياسية؛ لأنهم يرغبون في أن يجعلوا تعبيرهم هو الأصـل؛ لأنه يحوي الدلالة النفعية التي يحرص عليها أصحاب نظرية اللغة القياسية كما يحوي دلالة جمالية تُفْتَقَد في لغة القياس.

وقد أقر "فرديناند برونو" بأن اللغة الشعرية لا يمكن إخضاعها لقوانين اللغة العادية بقوله: إن القوانين التي تحكم التوصيل العادي للفكر لا ينبغي أن تفرض على الشاعر... وإلاَّ أصبحت استبدادًا غير محتمل، فالشاعر الذي يتجاوز حـدود الأشكال المقبولة للغة ويحدث أشكالاً شخصية من التعبير الحدسي، وهو متروك له أن يستخدم هذه القوانين وفقًا لحدسه الإبداعي وبدون قيود أخرى أكثر من تلك التي يفرضها إلهامه.(١٥)

والشاعر في اختياره ألفاظه يلجأ إلى إيثار بعضها على بعض، تقديم كلمة على أخرى وحذف هذه وإثبات هذه...، ومن ناحية أخرى يختار من الألفاظ والعبارات أقدرها على نقل الإحساس فينتقي من الكلمات أدقها في أداء المعنى الذي يجول في نفسه، فقد تتقارب الكلمات في أداء المعنى لكن بعضها أدل على إحساس الشاعر من غيرها، وبناء على ذلك يتعين على

الشاعر أن يفرز من المفردات أحفلها بظلال الدلالة والإيحاء والتصوير حتى يستطيع التأثير في متلقيه وينقل له تجربته.(١٦)

٢- الفرق بين لغة الشعر ولغة العلم:

لعل الوقوف عند الفروق الجوهرية بين لغة الشعر ولغة العلم بدقة يستوجب منا تتبع جملة من النقاط؛ تجسد في مجموعها التباين بين لغة الشعر ولغة العلم نوضحها فيما يأتي:

٢-١)- هناك فرق بينهما من حيث منزلة القديم والجديد في الشعر والعلم:

في الشعر نجد روائع القصائد والمقطوعات تعيش عصورًا طويلة، والجديد منها لا يستبعد قديمها، ولا يقلل من روعتها، والرائع منها لا يكاد يموت بمضي الزمان، ذلك أن الأدب لا يغني حاضره عن ماضيه بوصفه يجري فينا فياضًا متجددًا مع كل شاعر عبقري في كل عصر من العصور، يشبع بهجة القارئ ويثير متعة السامع ويهز المشاعر ويريح الأعصاب.

والأمر يختلف عن ذلك في حالة العلم فمعلوم إغفال العلماء والناس لماضيه؛ لأن تاريخ العلم مختلف عن العلم نفسه. وفي هذا الصدد يقول "ليون روبان" في كتابه" الفكر الإغريقي وأصول روح العلم": إن ماضي العلم هو الجزء الميت الفاني من المحاولات التي قام بها العلماء ابتغاء التوصل إلى الحقيقة، أو هو الجزء الذي أدركه النسيان بعد أن بلغ أصحابه الغاية المطلوبة، وهذا الماضي يشبع رغبة الطامع في التوسع في المعرفة ولا يتجاوز هذا الحد، وفي وسع دارس تاريخ العلم أن يقنع بعرفة النتائج التي انتهت إليها بحوث سابقيه من العلماء دون الرجوع إلى تطور التفكير الذي أسلم إليها؛ ولهذا فإن العالم يبدأ بحوثه من حيث انتهى سابقوه من العلماء، وينظر إلى الأمام ولا يلتفت وراءه، وقوانين العلم يلتقي عندها العلماء جميعاً(١٧).

نفهم من هذا أن قبول القديم في الشعر يتماشى مع ما يطرحه الجديد، وبصفة الشعر فن يثير أريحية لدى المتلقي يحافظ على مكانة الروائع القديمة، بينما في حالة العلم يُعد تجاوزًا للقديم، وقد يطرح ما يلغيه بوصفه مبنيًا على تجارب في ظروف معينة وفرضيات قد تأتي في زمن آخر منافية للفرضيات القديمة ومنه تلغي حتى النتائج والنظريات القائمة عليها.

٢-٢)- من حيث ذاتية لغة الشاعر وموضوعية لغة العالم:

إذا ما لاحظنا لغة الأدب عامة والشعر خاصة وجدنا أن قوامها الذاتية؛ ذلك أن منبع الشعر عند الشاعر هو انفعالاته الشخصية مع عالمه، وهو تصوير لما يختلج في نفسه من شعور تجاه قضايا وأمور تشغل باله، عما يسري تعبيرًا عن أخيلته وخواطره.

أما بالنسبة للعالم فالشأن غير ذلك، إذ يكون ملزمًا بالالتزام بالموضوعية، وعدم فتح المجال للذاتية في بحوثه. فالمنظر الطبيعي الواحد يصوره مجموعة من الشعراء في قصائد رائعة متباينة، تتضمن فوارق في تعبيراتها الأدبية وصورها الفنية، كما أنها تعبر عن عبقرية أصحابها. في حين أن الظاهرة الطبيعية الواحدة

إذا عرض العلماء لدراستها توصلوا بشأنها لنتائج واحدة؛ لأن سبيلهم المعتمد في الدراسة هو الملاحظة الحسية، التي تستهدف وصف الظاهرة وبيان خصائصها، ثم إجراء التجربة وتكرارها حتى يمكن التأكد من نتائج الدراسة، وفي حالة اختلافهم يتم العودة إلى الواقع ومعاينة التجربة مجددًا حتى يتم حسم الخلاف بصددها.(١٨)

٢-٣)- صدق الشاعر ونزاهة العالم:

بداية نعود لمفهوم العلم عند "ألدوس هكسيلي" والذي نص فيه على أن: "العلم هو الملاحظة النزيهة، البصيرة، والممارسة دون تحيز، وهو الاستدلال الصبور ضمن نظام من المفاهيم المترابطة منطقيًا"(١٩).

قياسًا على هذا التعريف نلمح أهمية شرط نزاهة العالم، وهنا صاحبه ربطه بالملاحظة والممارسة أيضًا؛ فالعالم عليه الالتزام باحترام مبدأ النزاهة بداية من الملاحظة التي يقدمها عن الظاهرة المدروسة حتى فراغه من معاينة الظاهرة والوصول إلى نتائج حولها.

"كما نجد عند النقاد أن معيار تقييم الأدب المتميز شعرًا أو نثرًا هو صدق صاحبه في التعبير الفني عن مشاعره وخواطره، بينما في لغة العلم فإن من أخص خصائص العالم وأهمها أن يكون نزيهًا ويقصد بالنزاهة Disinterestedness" إماتة الذات self-mortification، أو تنحية الذات وإبعادها عن مجال البحث Self-elimination؛ أي طرح الهوى والتزام الحياد واستبعاد الاعتبارات الشخصية وغير هذا مما ييسر للباحث الكشف عن هدفه من غير عائق، وحيث على العالم ألا يُخضع بحثه لمصلحة شخصية أو شهوة فردية، أو عقيدة دينية أو نظرية علمية أو فكرة قومية... إلى الحد الذي تنتفي فيه أمانته في تقصي الحقيقة، وعليه أن يجرد نفسه من أهوائها ونزواتها وميولها ما مكنته طبيعته البشرية من ذلك. كما تقتضي النزاهة أيضًا إنكار الذات self-denial والعزوف عن استغلال العلم لمآرب شخصية، ومن دلالات النزاهة أن العالم قد يتوخى دعوة الآخرين إلى نقد وإثبات خطئه إذا صدر عنه في بحوثه.

٢-٤)- من حيث وسيلة التعبير في لغة الشعر ولغة العلم:

بالإمعان في لغة الشعر نجد بأن الشاعر يتخذ اللغة أداة إثارة وتأثير وإقناع(٢٠)، ووسيلة للتعبير عن مشاعره وخواطره في صور فنية تثير في قارئه المتعة والراحة وطالما اللغة هي<< كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالإشارات والأصوات والألفاظ، وهي ضربان طبيعية كبعض حركات الجسم والأصوات المهملة ووضعية، وهي مجموعة رموز وإشارات أو ألفاظ متفق عليها لأداء المشاعر والأفكار>>(٢١)، فإنه يلجأ إلى الضرب الثاني منها غير أنها تخضع لديه لاستعمال خاص يتماشى مع المعنى الذي يريده، ومع التعبير عن عواطفه وما يختلجه، كما أنه باستعمالاته لها يساهم في كشف جمالياتها، ويبدع في صناعة مصطلحات جديدة فيها.

ويدعم قولنا هذا ما ذهب إليه **"نعمة عبد الرحيم العزاوي"** في كتابه **فصول في اللغة والنقد**؛ إذ يقول: الخليل ابن أحمد الفراهيدي

أول لغوي أدرك دور الشاعر في كشف النقاب عن جماليات اللغة، وشق الستور عن أوجه عبقريتها، فذهب إلى اعتبار الشعراء أمراء الكلام يُحتج عليهم به ولا يُحتج به عليهم، وذهب حمزة بن حسن (ت ٤٦٠هـ) مذهب الخليل أيضًا فأقر أن: الشاعر المبدع يؤثر في اللغة ويكون سببًا في نمائها وعاملاً من عوامل إغنائها بالجديد من الصيغ و الأساليب، واعتبر المولد للجديد فيها هو قرائح الشعراء الذين هم أمراء الكلام وذلك من خلال الضرورات التي تمر بهم في المضايق التي يدفعون فيها إليها عند حصر المعاني الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة[٢٢].

والشأن يختلف بالنسبة للعالم فلغته ليس الهدف منها توليد أو إنتاج مصطلحات جديدة تثري القاموس اللغوي، واللغة تستغل من طرف العالم لصياغة قوانين وإنتاج نظريات تحول فيها الكيفيات، وتوصف فيها الظواهر الطبيعية والقضايا المدروسة إلى رموز وأرقام قابلة للقياس والتجريب، وتعبر تعبيرًا رياضيًا عنها، وفي هذا الصدد يقول "سليفان" في كتابه "أسس العلم الحديث": "إن أقصى غاية للعلم أن يقدم لنا وصفًا رياضيًا شاملاً للظواهر في عبارات تضم أقل عدد ممكن من المبادئ والحقائق العقلية، إن الرياضيات هي اللغة الوحيدة التي يستخدمها العلم، ونقول هنا مكررين دون أن نمل التكرار، وبعد إن كانت الملاحظة الحسية أهم ركن في منهج البحث العلمي، احتل مكان الصدارة في عصرنا هذا رد الوقائع إلى أرقام تقرأ على مراقم ومقاييس وأصبح الاتجاه الحديث الآن هو ترجمة الظواهر الطبيعية إلى رسوم بيانية ولوحات فوتغرافية، وباستخدام اللغة بتعبير رمزي أصبحت وقائع الحس في لغة العلم رموزًا رياضية وصياغات رمزية، والقوانين مجرد دلالات رياضية..."[٢٣]

وبملاحظتنا لاستعمال الشاعر والعالم للغة كوسيلة للتعبير عن ميدان كل منهما نلمس التباين بين لغة العلم ولغة الشعر، نجد في الأولى منهما اللغة تستخدم لإنتاج نسق رمزي رياضي لصوغ الظواهر المدروسة في قوانين علمية، بينما لغة الشعر تستعمل فيها اللغة بتعبير فني، ينتج صورًا أدبية فنية، ومصطلحات جديدة بواسطة التعبير الإبداعي، والمعاني التي تحملها كثافة الكلمات.

٢-٥)- من حيث استعمال الخيال في لغة الشعر ولغة العلم:

باختلاف ميدان الشاعر والعالم يختلف استعمال الخيال عند كل منهما، وقد يتبادر إلى الأذهان أن العالم لا يستعمل الخيال؛ بحكم طبيعة ميدانه التي قد يتهيأ للبعض أنها تصرفه عن استعمال الخيل والاستناد إليه في بحوثه، غير أن الأمر على خلاف ذلك.

فالشاعر يستعمل" الخيال، ودوره هام في لغته، وهو عنصر أساسي في أسلوبه الفني، وفي توليد صوره البيانية، وانزياحاته اللغوي التي يخالف بها بناء اللغة العادية؛ حيث يستخدمه في إنتاج صور أدبية تمنح الألفاظ في تعبيراته مفاهيم جديدة تثير متعة القارئ، وتجذب السامع لشعره."[٢٤]

لغة التخصص: لغة العلم ولغة الشعر- دراسة مقارنة

وتقديرًا لأهمية الخيال في لغة الشعر وإمازته عن استعماله في حقول معرفية أخرى وميادين لغوية مختلفة عن الشعر، اعتبر **"ميخائل نعيمه"** في كتابه **الغربال "خيال الشاعر حقيقة"**(٢٥) واعتبر أن من يستحق أن يقال عنه شاعرًا هو ذلك الشاعر الذي "لا يكتب ولا يصف إلاَّ ما تراه عينه الروحية ويختمر به قلبه حتى يصبح حقيقة راهنة في حياته ولو كانت عينه المادية أحيانًا قاصرة عن رؤيته. ذاك لا يعني أن الشاعر يقدر أن يدعو الأسود أبيض والأحمر أصفر- أي أن يعري الأشياء الحقيقية عن مميزاتها الطبيعية ويعطيها صفات من عنده داعيًا ذاك خيالاً"(٢٦).

وإذا كان الخيال مهمٌ في عمل الشاعر، فالعالم كذلك يحتاج له في عمله، غير أنه يأخذ منعرجًا آخر غير ذاك الذي نجده عند الشاعر، ودليل ذلك أن العالم مضطر لاستخدامه بعد الملاحظة والتجربة في وضع الفرضيات التي يتمَثلُ فيها حلاً يتخيله مناسبًا لتفسير الظاهرة؛ حتى يتوصل بعد ذلك إلى قانون لتفسيرها، والخيال عند العالم يستعمل وسيلة لكشف حقيقة ما، ولارتباطه بالواقع فنتائجه تندمج في الواقع إلى درجة أن العالم لا يتردد في التضحية بجمال الحقيقة متى ثبت له بالتجربة بطلانها، في حين الشاعر والأديب الفنان يستعين بالحقيقة وسيلة لكشف الجمال؛ ولذلك يهدف الشاعر بتوظيف خياله تحريك مشاعر متلقيه حتى يتجاوب معه.(٢٧)

ولأن العلم قبل كل شيء فعالية نقدية وتحليلية، والعالم بكل استعلاء رجل يبحث عن أدلة قبل أن يدلي بفكرة ما، وقلما ترضيه الأدلة التي يتوصل لها، وما المخيلة سوى مجرد عامل وسيط تستطيع أن تسرع بالتفكير لكنها لا تستطيع أن تبدأه أو توجهه؛ ولذلك كان لزامًا وفي كل الأحوال على الباحث أن يخضع خياله دائمًا لرقابة الفكر المتعود على الشك، والبعد عن الهوى والهيام الذاتي الذي يدفعه للغرور.(٢٨)

وحسب ما يراه "وردزورث" فإن المخيلة الخلاقة في العلم تمكن أفرادًا نادرين من تحقيق ما لا نفقه نحن إلاَّ بالجهد الجهيد في ممارسة صناعة التحليل. وهناك رأي ينص على أن كل تقدم في الفهم العلمي يبدأ بمغامرة تأملية أو بتصور سابق لمفهوم" يمكن أن يكون صحيحًا" وهذا التصور يبتعد قليلاً أو كثيرًا عن الاعتقاد السائد؛ إنه ابتكار عالم ممكن أو جزء منه بعد ذلك يعرض هذا التصور للنقد كي يُرى ما إذا كان قريبًا هذا العالم المتخيل من العالم الواقعي، وبناء على ذلك فالتفكير العلمي في كل مستوياته تفاعل داخلي بين حالتي تفكير، أو حوار بين صوتي المُتَخيل والنقدي، بل لعله حوار بين الممكن والواقعي أو بين المقترح والمعروض.(٢٩)

واستنادًا إلى دور الخيال في كل من لغة الشعر ولغة العلم يمكن أن نتقصى التباين في أوجه استعماله عند الشاعر وعند العالم، لكن مع ذلك نشير إلى أن الخيال مهم عند الشاعر لكونه وسيلة جوهرية في إبداعه الفني، والشاعر ليس مضطرًا لمساءلة ما توحي له به مخيلته من دلالات ومفهومات تُكثف بها الألفاظ، وغير محاسب إن جاء بصور بلاغية متعارف عليها أو

من خَلْقِ مخيلته، لكن العالم ملزم بنقد الفروض التي يضعها اعتمادًا على خياله حتى يصل لقانون علمي حول موضوع بحثه.

٢-٦)- الفرق بينهما من حيث معيار التقييم في لغة الشعر ولغة العلم:

إذا ما أقررنا بأن لكل مجال لغته الخاصة ومصطلحاته الخاصة؛ فمن البديهي أن نعترف بأن هناك اختلاف أيضًا في معيار التقييم في كل مجال. وإذا ما تحدثنا عن الشعر كفن والعلم كميدان للمعرفة مختلف عنه نلفي ذلك التباين في معيار التقييم في كليهما.

وبالإمعان في "لغة الشعر نجده كفن يعتمد على التعبير الفني الجميل الصادق عن إحساس الشاعر وانفعالاته، فإن معيار جماله يتأسس على الذوق الفني الراقي عند صاحبه وقارئه وقدرة الشاعر عن التعبير عن أحاسيسه وجعلها تتخطى الزمان والمكان، وذلك بأن لا تكون مجرد صدى لبيئته أو روح عصره وإلاّ مات إنتاجه بتغير معالم الزمان والبيئة... وليس ثمة مقياس يقاس به جمال الشعر لا يعتمد فيه على شاعرية الشاعر وتوفر شعره على الشعرية التي تجعل منه فنًا مستساغًا لدى المتلقي، وأهم ما في الأمر اتسام شعره بالإنسانية."[٣٠]

أما لغة العلم فمن المقاييس التي يستعملها العلماء في تقييم اكتشافات ومنجزات زملائهم، والتفسيرات التي يشرحون بها الظواهر والقضايا المدروسة في بحوثهم ما يأتي:

١)- **القيمة التفسيرية:** ويركز من خلالها على مدى شمول الاكتشاف ولياقته، ورتبته في مملكة التفسيرات الواسعة.

١)- **القيمة التوضيحية:** ويهتم فيها بدرجة قدرته على حل المشكلات المربكة.

٣)- **مقدار الأصالة:** التي يضمنها البحث وتفوق الحل يقود إليه، ويهتم فيه أيضًا برشاقة الحل في اقتصاده بالفكر والعمل، ثم مقدار صعوبة التفسير ككل؛ أي حجم العقبات التي تجاوزها وتجنبها العالم قبل أن يصل إلى الحل، ولا يهم الصفاء والفائدة رغم أهميتهما في تقييم الاكتشاف والمكافأة عليه.[٣١]

وأهم معيار في تقييم العلم هو إمكان التثبت من صحة القوانين التي يتوصل لها العالم بالرجوع إلى الواقع واستفتاء الخبرة والملاحظة الحسية في أمرها، ولا مجال في لغته للاعتماد على ذوقه أو إحساسه أو غير ذلك من أدوات اختبار الصدق كما في حالة الفنون، أو الاستناد إلى ما لا يدخل في وسائل الإثبات العلمي.

وبالمقارنة بين الصدق في الشعر والعلم نجد بأنه في الشعر يختلف باختلاف الأفراد وذوقهم الفني وروح عصرهم، وفي العلم يتسم الصدق بالثبات مهما اختلف الأفراد والجماعات زمنًا ومكانًا، كما أن أحكام العلم لا تتأثر بالوجدان الشخصي أو الأحكام الذاتية أو الأهواء الشخصية، وتستبعد التحيز وتتوخى النزاهة العقلية.[٣٢]

٢-٧) الفرق من حيث الحقيقة في لغة الشعر ولغة العلم:

في عرض الحقيقة في بين الشعر والعلم يقول محي الدين صبحي:<< حين تستعمل كلمة الحقيقة في نص علمي تدل دائمًا على شيء له صلة بالواقع، فالشيء حقيقي حين يكون في الواقع حقيقيًا- هذه هي القضية وهذه هي الحقيقة التجريبية-... إن هذه الصلة بالواقع هي الاختبار الذي تخضع له جميع النظريات العلمية مهما كان شأنها"[٣٣] ويعتبرها هذا الباحث هي نقطة البداية في البحث العلمي، وهي الاتجاه الذي يتحرك بموجبه التفكير العلمي، ويترتب عن ذلك أنه لا يمكن التمييز بين الاعتبارات الخيالية للعالم في العلم والشعر بحسب أصولها. فهي تبدأ متوازية وتبدو كذلك لكن كل منهما ينحو نحوه الخاص في مرحلة متأخرة.

ولم يكن اختلاف الحقيقة الشعرية عن الحقيقة العلمية أمرًا مسلمًا به دائمًا، وفي ذلك يقول السير فيليب سدني[٣٤]: " الشاعر لا يؤكد شيئًا لذلك فهو لا يكذب أبدًا. ذلك أن الكذب هو أن تؤكد صحة شيء زائف، غير أن الشاعر لا يؤكد"[٣٥]. ويذهب "محي الدين صبحي" إلى أنه إذا تساوت الأشياء كان الاختيار بين ما يتصل بالحقيقة وما يهجرها وبالضرورة سيقع الاختيار على الحقيقة، وإذا كان الاختيار بين ما هي عليه الأشياء وما يجب أن تكون عليه فإن الأولى اختيار ما يجب أن تكون عليه- في حالات الاستعمال والتعلم- إن العالم مقيد بمسألة خاصة، وكل مفهوم يصدر عن هذا الأمر الخاص ليس له إلاَّ قوة " المشابهة الظنية" وليس له إلاَّ قوة الحقيقة الشعرية.

وهناك رأيان عن الحقيقة الشعرية. أولهما يرى بأن الحقيقة الشعرية كشف عن المثالي- أو ما يجب أن يكون- وتعود جذوره إلى أرسطو عندما قال " الشعر أعمق فلسفة وأرفع من التاريخ"؛ لأن الشعر يكشف عما يجب أن يكون على ضوء الفهم الصحيح لنوايا الطبيعة وليس لأعمالها التي تأتي فجة ناقصة. فالشاعر يتبنى الهدف الذي تعمل من أجله الطبيعة ولا تنجزه بدقة، وتبعًا لذلك الشاعر امرؤ فوق الطبيعة وهو الناطق عن أعمال لم تفلح في إنجازها.

والرأي الثاني في الحقيقة الشعرية يعتبرها حقيقة ليست علوية بل من نوع آخر، فهي تحمل مفهومًا بديلاً أو مجموعة من البدائل تعني فهمنا للعملي بأن تجعلنا نندفع ونفكر في مجال أوسع من العملي.[٣٦] والعالم يقرر نظريته ويبرهن على رأيه، ولا يكاد ينتهي من تقريره البرهان حتى تخرج الحقيقة من نفسه إلى نفوس سامعيه، وتظهر آراؤه لدى تلاميذه جلية واضحة ومنهم تنتقل إلى غيرهم، وتدخل في عديد النفوس، وتملأ رؤوس مَنْ يطالعونها ومَنْ يسمعون بها كما تلفظ بها الأستاذ الأول، ولا تؤثر فيها نفس أخرى، ولا تغيرها آثار الناس. ونضرب مثالاً على ذلك بالقضية القائلة: "إن مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين" و"إن الاحتكاك يولد حرارة" فهي حقيقة ثابتة- كما قالها مَنْ توصل لها- عند كل إنسان سمع بها.

أما في الشعر فالأمر على خلاف ذلك فأثر الشاعر يجب أن يكون ظاهرًا في شعره، وهو ما

يميزه عن أشعار غيره، وما يميز ذوقه عن أذواق الآخرين، وهو ما يكسب شعره رونقًا وجمالاً، أو يجعلها ثقيلة على النفوس كما أن ذوق الشاعر لا يتفق مع أذواق متلقيه، ولا يفهم بطريقة واحدة، لاختلاف الأذواق في طرق الإدراك التي يُرجع إليها في الحكم على الفنون وفي تذوق الجمال ، وبناء عليه يختلف الناس في تقدير وقبول البيت والقصيدة من الشعر.[٣٧]

ويتضح مما تم عرضه حول الفرق بين لغة الشعر ولغة العلم التباين الجوهري الذي يمكن ملاحظته لاستعمال اللغة، لكن ننوه بأننا لا نعضد الرأي القائل بأفضلية لغة العلم عن لغة الشعر لكونها مختصرة ودقيقة وتحيل على المغزى بصيغ رمزية مقتصدة، وهي لغة العصر والعولمة، ولغة الشعر أدبية لا يمكن أن تضاهي لغة العلم في القيمة المعرفية، وهي لغة تجاوزها الزمن بوصفها تعبر عن الخيال والعواطف والانفعالات...إلخ.

وحسبنا في موقفنا أن نجاري الباحث "ماريو باي" في قوله: << إنه ليس حكمًا ذا قيمة أن تصف لغة ما بأنها تحتل مكانًا عمليًا عظيمًا أكثر من غيرها إذا أخذت في الاعتبار العوامل الموضوعية، (...)، وليس حكمًا ذا قيمة كذلك أن تدعي أن لغة ما- في الوقت الحاضر- تفوق غيرها ثقافيًا إذا كانت ثمرات الثقافة تتحقق بصورة واضحة في شكل نتاج عقلي وأدبي وعلمي. وأخيرًا فليس حكمًا ذا قيمة أن تدعي أن شكلاً معينًا من أشكال اللغة تستعمله الجماعة كلها، ويجري على ألسنة الطبقة المثقفة أن تدعي أنه أفضل من شكل آخر يتصف بالمحلية ويستعمل بين طائفة من الأميين أو أنصاف الأميين.>>[٣٨] ونتفق مع محي الدين صبحي عندما ذهب إلى التنويه بضرورة الاتصال والمناقشة بين أعضاء المجتمع الثقافي لنتفادى الهوة بين العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية، ونتيح لكل فئة أن تحافظ على تفوقها في مهنتها واختصاصها، وتتعمق معرفتها بمادتها مع المحافظة على شرف موقفها، أضف إلى ذلك أننا بحاجة إلى أن ننفتح على بعضنا بعضًا لكي نعيش حياة فاضلة لا يشوبها ازدراء الآخرين كما يحدث اليوم بين العلوم الرياضية والطبيعية.[٣٩]

٤)- الهدف من لغة العلم ولغة الشعر:

انطلاقًا من جملة الفروق التي وقفنا عندها في لغة الشعر ولغة العلم يتجلى وجود فرق بينهما كذلك في الهدف المنشود في كلتيهما على حد سواء. أمّا الهدف من لغة العلم ففيه رأيان:

أحدهما نصت عليه فلسفة اليونان، وتبعًا لها العلم في كل صوره يكون هدفه العلم؛ أي الكشف عن الحقيقة بباعث من اللذة الفعلية دون نظر إلى ما يحتمل أن يترتب عن ذلك من خدمة في حياتنا العملية، أو إشباع لعواطفنا الدينية، كما كان الحال في حكمة الشرق القديم.

وثانيهما وهو أعم وأشيع، يربط بين نتائج البحث العلمي ومطالب الحياة الدنيا، وإن كان النظر يسبق العمل، ولعل أكبر مَنْ مهد لهذا الاتجاه من الأوروبيين المحدثين فرانسيس بيكون(ت١٦٢٦م).[٤٠]

لغة التخصص: لغة العلم ولغة الشعر- دراسة مقارنة

وأمَّا هدف لغة الشعر ففيه أيضًا رأيان: رأي يرى أن الشعر يصدر عن صاحبه كما يصدر النور عن الشمس، أو الخضرة عن النبات، وأما توجيهه إلى تحقيق أهداف أو أغراض بعينها فهو إتلاف لطبيعته الفنية و إفساد لروحه، وليس للأدب هدف مباشر يقصد إلى غير تحقيق الجمال.

والرأي الآخر انبثق عن كارل ماركس ويذهب أتباعه إلى أن الأدب يُسخر وغيره من الفنون لخدمة الإنسان في حياته الدنيا والشأن ذاته بالنسبة للشعر؛ فيعالج الآفات الاجتماعية في مجتمعه، ويقوم المبدع فيه بتشخيص أغراضها وطرق علاجها، ونتيجة لذلك يصبح الأدب شعرًا ونثرًا دعوة إلى تعبئة الجهود وتكتل القوى لرفع مستوى الشعب والنهوض به في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية بوجه عام.[٤١]

ويذهب صاحب الغربال إلى وجود قولين في غاية الشعر، قول يرى أصحابه أن غاية الشعر محصورة فيه ولا يجب أن تتعداه وقد تبنته مدرسة الفن للفن، وهناك قول آخر يرى أصحابه أن الشعر يجب أن يكون خادمًا لحاجات الإنسانية، وأنه زخرفة لا ثمن لها إذا قصر عن هذه المهمة، ويذهب ميخائيل نعيمه للقول بأنه على الشاعر أن لا يكتفي بقول ما يحبه قومه، ولا يجب أن يكون عبدُ زمانه ورهين إدارة قومه، ينظم ما يطلبونه منه فقط ويتفوه بما يروقهم.[٤٢]

ونفهم بالاستقراء أن هذه الفروق التي تباين لغة العلم عن لغة الشعر هي فروق صورية في جوهرها تمايز بين العلم- وهو ميدان تحكمه قوانين ومتعلق بتجارب وفروض، ولغة رمزية ورياضية تتفق عليها، وتسري مسلمة إن لم نعتبرها مصادرة بيننا، خلا تفوق أهل الاختصاص عن العامة في المعرفة بها ودرجة فهمها- والشعر وهو فن تتباين فيه الأذواق والتجارب ودرجات الإبداع لدى الشعراء، وحتى استجابة متلقيه تختلف من فرد لآخر، وهو إبداع لا تحكمه قواعد رياضية، ويبقى فوق كل اعتبار صيغة للتعبير عن ما يخالج نفس مبدعه، وما يعيشه مجتمعه، وفن للكتابة عن الهموم والآمال والطموحات بلغة راقية وإنسانية مؤثرة، لغة ليست كعدسة الكاميرا، وهي من الوصف بين الدقة المتناهية والقامة المكثفة بدلالات ومعان تخرج بها إلى العدول عن اللغة العادية وعن لغة العلم.

خاتمة:

ونستنتج من خلال ما تضمنته المقارنة بين لغة الشعر ولغة العلم النتائج الآتية:

١)- هناك فرق بين استعمال اللغة الشعر والعلم، وإن لكل من لغة الشعر ولغة العلم قيمة في حقلها المعرفي، وفي تقديم معارف للإنسان وإن كانت متباينة باختلاف هدف الشعر والعلم وموضوع كل منهما.

٢)- يمكن القول إن الهدف من اللغة العلمية هو أيضًا إنتاج نظريات وقوانين لتفسير ظواهر وأمور مبحوثة في العلم، بينما الشاعر يبدع وينتج ألفاظ ومعاني جديدة في اللغة، وينتج كذلك عوالم من الخيال

تثري القاموس اللغوي بتراكيب جديدة، وتكثف معاني الكلمات لتخرج بذلك من الاستعمال العادي إلى استعمال فني يولد بالانزياح عن المألوف ذوقًا جنيدًا في درجات الجمال الإبداعي.

٣)- معايير التقييم في العلم يمكن أن تكون صارمة وقد نتفق عليها جميعًا، لكن الأمر غير ذلك في الشعر لاختلاف أذواقنا، ولاختلاف فهمنا لمعاني الشاعر؛ وبخاصة أن المعنى اللغوي لا يمكن القبض عليه وإخضاعه لقوانين التجريب، ومقاييس تقديرنا لشعرية الشاعر قد تختلف باختلاف العصر، واختلاف تجاوبنا مع شعره وربما حتى باختلاف ثقافتنا في تلقي الأثر الشعري.

٤)- هناك مغالطة تنتشر في العرف العامي وأصبحت قناعة حتى لدى المثقفين والأكاديميين يجب أن ننبه إليها ومفادها أن اللغة العربية لا تصلح لغة للعلم، هنا ننبه إلى أنها كانت اللغة التي بحث بها الخوارزمي وابن سينا وابن الهيثم وابن رشد...إلخ؛ وأخرجوا بها معارف استفادت منها الأمم سابقًا ولازالت دراساتهم وعلومهم حتى الآن تدرس في الجامعات العربية والغربية في تخصصات الرياضيات والطب والفلك والفيزياء...، ومن الحيف في حق لغتنا النظر إليها بأنها لغة تلائم الإبداع الأدبي، وإقصائها من حقل اللغات التي تستعمل في التخصصات العلمية؛ بحجة أنها غير كفيلة بالتعبير عن الصيغ العلمية، وبأنها لا توصل المعنى العلمي، واستثقالها حد الغرابة والازدراء من الذين يستعملونها في العلوم العلمية والتقنية، كفى بلغتنا أنها لسان محكم التنزيل، ومادامت هي لغة قادرة على تحقيق التواصل، وإفهام المتلقي حتى تجاوبه مع الباث، فهي لغة قادرة على الوفاء بحق التخصصات العلمية والتقنية والتكنولوجية، والخلل فينا وفي تصوراتنا وتمثلاتنا الذهنية عنها التي صورتها لغة قاصرة، وكذا في اقتناعنا بأن تعريب العلوم العلمية والتقنية ينقص من قيمة معارفنا وإدراكنا لها، ويجعلنا بعيدين زمنيًا عن الأمم الغربية التي تستعمل لغات أجنبية غير لغتنا العربية.

٥)- من واجبنا تغيير البرمجة السلبية التي تتوارث في المجتمع العربي؛ والتي تلقن النشء بأن المعارف والخبرات العلمية والتقنية التي نكتسبها بعد التعريب ضعيفة، ولا تجدي نفعًا في زمننا المعاصر الذي نعيشه برهانات وتغيرات منقطعة النظير. وبالفعل نقر بأننا في زمن رقمي، وعلينا مجارات الشعوب معرفيًا في سبيل تقدم وطننا العربي وبناء صرح حضارتنا؛ لكن هذا لا يعطينا الحق أن نجعل من لغتنا عقدة للنقص تحول دون تطورنا، بل بالعكس يتعين علينا أن نفتخر بها ونثبت جدارتنا في التقدم باستخدامها، ونكف عن تصورها حاجزًا عن ولوج باب التكنولوجيا والتقنيات والطب وغيرها من الميادين.

الحواشي

(١) بطرس البستاني، محيط المحيط، مادة [علم]، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، (د.ط)، ١٩٩٨م، ص ٦٣٨.

(٢) ينظر: توفيق الطويل، بين لغة الأدب ولغة العلم، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون

المطابع الأميرية والمطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ع ٥٦، ١٩٨٥م، ص ٩١- ص ٩٢.

(٣) محي الدين صبحي، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورية والعلم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (د. ط)، ١٩٨٨م، ص٦٨.

(٤) ينظر: أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ٩٣- ص٩٤

(٥) ينظر: عبد السلام بن عبد العالي ومحمد سبيلا، اللغة، دار توبقال-المغرب،(د.ط)، (د.ت)، ص ٥٤- ص ٥٥.

(٦) ينظر: توفيق الطويل، بين لغة الأدب ولغة العلم، ص ٩٢.

(٧) عبد السلام بن عبد العالي ومحمد سبيلا، اللغة، ص ٥٥.

(٨) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص٩٥.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، [مادة شعر]، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ط)، ص ٢٢٧٣- ص ٢٢٧٤.

(١٠) ينظر: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط١، ١٩٨٩م، ص ٦٦- ص٦٧.

(١١) ينظر: جون كوين، النظرية الشعرية- بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ط٤، ١٩٩٩م، ص ٢٩.

(١٢) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ص ٢١٧- ص٢١٨.

(١٣) معجم النقد العربي القديم ، ص ٢١٨- ص ٢١٩.

(١٤) ينظر: محمد زعلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، دار المعارف، الإسكندرية- مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص ٥٩- ص٦٠.

(١٥) ينظر محمود محمد عيسى، السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية، كلية التربية جامعة المنصورة، (د.ط)، ٢٠٠٤م، ص١٠٦- ص١٠٧.

(١٦) ينظر محمد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ١٧٩ص-ص ١٨١.

(١٧) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص ٩٢- ص٩٣.

(١٨) بين لغة الأدب ولغة العلم، بتصرف، ص ٩٣.

(١٩) النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، محي الدين صبحي، ص ٥٦.

(٢٠) ينظر: بين لغة الأدب ولغة الشعر، ص٩٤- ص٩٥.

(٢١) مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص ٣١٨.

(٢٢) نعمة رحيم العزاوي، فصول في اللغة والنقد، المكتبة المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، بتصرف، ص ١٨٩.

(٢٣) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص ٩٥- ص ٩٦.

(٢٤) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم،، ص ٩٦.

(٢٥) ميخائيل نعيمه، الغربال، نوفل للنشر والتوزيع، بيروت، ط١٥، ١٩٩٩م، ص ٨٢.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٨٣.

(٢٧) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص ٩٦.

(٢٨) ينظر: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص ٦٨- ص٦٩.

(٢٩) ينظر: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص ٥٦.

(٣٠) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص٩٧.

(٣١) ينظر: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص ٧٥.

(٣٢) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص ٩٧.

(٣٣) النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص ٥٨- ص ٥٩.

(٣٤) ينظر: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص٥٩.

(٣٥) المرجع نفسه، ص٥٩.

(٣٦) ينظر: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص ٦٠.

(٣٧) ينظر: أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط١، ١٩٢١م، ص ٧٧.

(٣٨) ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨م، ص ٦٧.

(٣٩) ينظر: النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، ص ٥٣.

(٤٠) ينظر: بين لغة الأدب ولغة العلم، ص ٩٧.

(٤١) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(٤٢) ينظر: الغربال، ص ٨٣- ص٨٤.

قائمة المصــادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، [مادة شعر]، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د.ط).

٢- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.

٣- أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، مطبعة السفور، القاهرة، ط١، ١٩٢١م.

٤- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط١، ١٩٨٩م.

٥- بطرس البستاني، محيط المحيط، مادة [علم]، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، (د.ط)، ١٩٩٨م.

٦- توفيق الطويل، بين لغة الأدب ولغة العلم، مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية والمطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ع ٥٦، ١٩٨٥م.

٧- جون كوين، النظرية الشعرية- بناء لغة الشعر، تر: أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ط٤، ١٩٩٩م.

٨- عبد السلام بن عبد العالي ومحمد سبيلا، اللغة، دار توبقال - المغرب، (د.ط)، (د.ت).

٩- ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨م.

١٠- مجدي وهبه وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

١١- محمد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموازنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

١٢- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، دار المعارف، الإسكندرية- مصر، (د.ط)، (د.ت).

١٣- محمود محمد عيسى، السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية، كلية التربية جامعة المنصورة، (د.ط)، ٢٠٠٤م.

١٤- محي الدين صبحي، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورية والعلم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (د.ط)، ١٩٨٨م.

١٥- ميخائيل نعيمه، الغربال، نوفل للنشر والتوزيع، بيروت، ط١٥، ١٩٩٩م.

١٦- نعمة رحيم العزاوي، فصول في اللغة والنقد، المكتبة المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

عبادة بن ماء السماء القرطبي (ت422هـ) حياته وما تبقى من شعره وتوشيحه

جمع وتوثيق ودراسة

د. آزاد محمد كريم الباجلاني

جامعة طرميان – الجمهورية العراقية

مقالات

القسم الأول

عبادة بن ماء السماء القرطبي، دراسة في حياته ونتاجه الأدبي:

١ـ حياته (الهوية والمكونات المعرفية):

هو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح بن الحسين بن يحيى بن سعد بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، يُكنّى أبا بكر، ويُلقَّب بابن ماء السماء.[١] ولقّب (بنو ماء السماء) لقب العائلة أيضًا[٢]. أديب شاعر مشهور وهو فحلٌ من فحول الشعراء وعَلمٌ من أعلام الأدباء كما يثني عليه أغلب من ترجم له وأورد اسمه بين الأعلام[٣].

تلقى عبادة العلم على نَفَرٍ من العلماء لم تذكر المصادر سوى واحدٍ منهم وهو أبو بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ)[٤]، وأنه روى عن أبيه عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح الشعر[٥]. وقد أخذ عنه العلم والأدب نفر كثر لكن المصادر لا تذكر إلا اسم اثنين منهم وهما: (أبو محمد غانم بن وليد المالقي)[٦]، و (أبو محمد يحيى بن أزهر)[٧].

أما بالنسبة لمؤلفاته فلا تذكر المصادر له سوى مصنف في الشعر تحت عنوان (أخبار شعراء الأندلس)[٨]، الذي يذكره المقري ويشيد بأنه(كتاب حسن)[٩]، لكن وللأسف كحال كثير من تراث الأندلس لم يصل إلينا هذا الكتاب، وقد اكتفت بعض المصادر بذكر الاسم أو النقل والأخذ من طياته، كما فعل المقري في نفح الطيب وابن سعيد في المغرب.... وكذلك تذكر بعض المصادر أنه خلف ديوان شعر[١٠]، أو أن له شعر كثير[١١]، لكن لم يصل إلينا هذا الديوان، أو من هذا الشعر الكثير إلا القسم القليل الذي قمنا بجمعه في هذه الدراسة.

ولسنا نعرف شيئًا واضحًا عن نشأته إلا ما ذكره من ترجم له، من أنه تلميذ أبي بكر الزبيدي

الذي أخذ العلم عن أبي علي القالي النحوي المشهور، وأن موهبته الشعرية تفتحت منذ نعومة أظفاره إذ يذكر ابن بسام عن عبادة نفسه حديثه عن أول شعرٍ قاله (أوّل شعرٍ قلتهُ أنّي وقفتُ على هدف الرّمي بعُدْوَة النّهر بقرطبة، وثَمّ غلمانٌ من أبناء العبيد ينتضون)[١٢] و (يرمون على المنارة، فقلت)[١٣]:

وما راعني إلاّ سهامٌ رواشقٌ
إلى هدفٍ يَنْحوهُ كلُّ يديْ ظبي
أقاموه كي يرموا إليه فلم يكنْ
لهم غرضٌ حاشا فؤاديَ في الرّمي[١٤]

وبسبب هذه الموهبة التي ظهرت عليه في نظم الشعر اصبح مقربًا من الحاجب المنصور ابن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) الذي أُعجِب به وأسبغ عليه جوائزه، وسُجّل اسمه في ديوان الشعراء وأُعليَتْ مرتبته فيه وأعلى عطاؤه، وصار رأس الشعراء في الدولة العامرية[١٥]، وعبادة بدوره قد أكثر من مدائحه في المنصور يقول في إحداها:

لنا حاجبٌ حازَ المعالي بأسرها
فأصبح في أخلاقه واحدَ الخَلْقِ
فلا يغترِرْ منه الجهولُ ببشرِهِ
فمُعظَمُ هوْلِ الرَّعدِ في أثَرِ البرقِ[١٦]

ومن ثمّ اتصل بالدولة الحمودية ومدح رجالها، وفي مديحه لهم إظهار لتشيعه ومديح أئمتهم. وهو من الشعراء الذين أخلصوا لرجال الدولة الحمودية وكاد يقتصر عليهم في شعره، وقد أشار المؤرخون إلى أنّه كان قد تشيّع، وافتخر بذلك في شعره فقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن حمود:

فما أنا ذا يا ابنَ النُبُوَّةِ نافثٌ
من القول أرْيًا غير ما ينفثُ الصّلُّ
وعندي صريحٌ في ولائكَ معْرِقٌ
تَشيّعهُ مَحْضٌ وبيعتُه بَتْلُ
ووالى أبي قيسٌ أباكَ على الغُلا
فخيمٌ في قلبِ ابنِ هندٍ له غِلُّ[١٧]

وهو يشير في البيت الأخير إلى عراقته في التشيع، إذ أن جده قيس بن سعيد بن عبادة الخزرجي كان من أكبر مناصري علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو الذي ولى له مصر.[١٨]

ما قيل في شاعريته:

أشاد أكثر القدماء ممن ترجموا له بشاعريته وتقدمه في نظم الشعر، وقد شهدوا بفحولته وتقدمه وعلمه، قال فيه ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) إنه (كان شاعرًا مقدمًا)[١٩]، وشهد كل من الحُميدي (ت ٤٨٨هـ) والضبي (ت ٥٩٩هـ) بأنه (من فحول شعراء الأندلس، متقدّم فيهم مع علمه)[٢٠]، وكذلك وصفه ابن خاقان والمقري بأنه (من فحول الشعراء، وأئمتهم الكبراء، كان منتجعًا بشعره، مسترجعًا من صرف دهره، فقل ما أفاد، ولا تجاوز الإرفاد، وكانت له همة أطالت همه وأكدت كمده وغمه)[٢١]، ويذكره ابن خميس (ت٦٣٩هـ) بأنّه (الأديب الشاعر المشهور فحل من فحول الشعراء وعَلَمٌ من أعلام الأدباء، آدابه مشهورة ومحاسنه مذكورة)[٢٢]، وأما ابن بسام فقال: (كان أبو بكر في ذلك العصر شيخ الصناعة، وإمام الجماعة، سلك إلى الشّعر مسلكًا سهلاً، فقالت له غرائبه: مرحبًا وأهلاً)[٢٣]،

وقيل فيه بأنه (شاعر الأندلس ورأس الشعراء في الدولة العامرية)[٢٤].

وفاته:

اختلف أكثر من ترجم لعبادة في سنة وفاته، فقد ذكرت بعض المصادر أنه (مات في شوال سنة تسع عشرة بمالقة، ضاعت منه مائة دينار، فاغتمَّ عليها غمًّا كان سبب منيته)[٢٥]، وهذه الرواية التي يرويها الحميدي عن أبي عامر بن شهيد يتكرر في أكثر من مصدر[٢٦]. لكن يعود الاختلاف في تحديد السنة للظهور في نفس هذه المصادر فأغلب من ترجم له وقع في حيرة من أمره في تصديق أو ترجيح رواية على أخرى. فالرواية الثانية تقول بأنه كان حيًا في سنة (٤٢١هـ)، فالحميدي نفسه يعود ويقول (أخبرنا أبو محمد بن حزم، قال: في صفر من سنة إحدى وعشرين وأربعمائة كان البرد المشهور خبره، وكان أمرًا مستعظمًا ما شوهد مثله، وفيه قال عبادة بن ماء السماء، ويصف هَوْله)[٢٧]:

يا عِبْرَةً أُهديت لِمُعْتَبِرِ
عشية الأربعاء من صفر
أقبلنا اللهُ بأس منتقمٍ
فيها وثَنَّى بعفو مقتدر
أرسل مِلءَ الأكفِّ من بَردٍ
جلامدًا تنهمي على البشر[٢٨]

وقد أورد الحميدي وابن بسام والضبي الروايتين دون ترجيح إحداهما على الأخرى غير أنّهم ذكروا أن محمد بن حزم أعلم بالتواريخ وأحفظ للتقييد[٢٩]. والذي نرجحه بأنه توفي بعد سنة (٤٢١هـ) وهذا ما يذكره لنا صاحب كتاب فوات الوفيات، إذ يقول بأنه (توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة)[٣٠].

٢_ الشعر: (الأغراض والسمات الموضوعية)

يأتي شعر عبادة على شكل مقطعات[٣١]، تراعي الفكرة البسيطة واللفظة المناسبة، وكما هي القصائد، تستوعب هذه المقطعات الأغراض الشعرية كافة. وقد جاءت مقطعات عبادة الشعرية في أغلب الأغراض المعروفة والمشهورة بين مقطعات الشعراء الأندلسيين وغيرهم. والوصف كان أول هذه الأغراض وأكثرها وفرة وقد تناول أمور الحياة العامة، وبعض أدوات الكتابة، وأشياء أعجب بها فوصفها في شعره وصفًا بديعًا، ولاسيما الطبيعة برياضها وما تحويه من حدائق وأزهار وأشجار وثمار...، إذ يعد وصف الطبيعة من أكثر الموضوعات الشعرية التي تطرق إليها عبادة في شعره الذي وصل إلينا، وأجاد فيها، كقوله في وصف سحابة:

ولعوبٍ عشِقَتْ روضَ الثرى
فَهْيَ تأتيه على طول البَعَدْ
فيرى الروض إذا ما وصلت
أرِجَ العَرْفِ من الطيب الجسدْ
عطرًا مُلْتبِسًا ملتحفًا
في سرابيل من الحسن جُدُدْ
كمحب زار محبوبًا له
فتحلَّى للقاه واستعدْ
وإذا ما ودَّعتْ أبصرتها
في نحول العاشق الصّبِّ الكَمِدْ

تلحظ النَّورَ بلحظ فاترٍ
مثل جفنٍ حائرٍ فيه رمدْ
وجفون النَّوْرِ تهمي بالبكا
كجفون الصّب من فقد الجَلَدْ
فهما في حيرة عند النوى
كمُحِبَّيْن أحسّا بالبَعَدْ[٣٢]

فهو يصف تواصل هذه السحابة مع الروض وما فيها من جمال قد تزينت به، وهما قد تجملا لبعضهما بأجمل ما يكون كالحبيبين حال اللقاء، فالسحابة بقربها من الروض تعطي الحياة والرونق كما هو فعل اللقاء، وإذا ابتعدا عن بعض ذهب الجمال والعطر والرونق وعاد النحول والضمور في الحب، وأصبحت الحيرة والهجران والدموع هي السائدة.

وأما المدح؛ فكان ثاني الأغراض الشعرية التي جاءت في شعر عبادة. وقد مدح رجال الدولة الحمودية بما يناسب مقامهم، من علو وسمو ورفعة وشجاعة، مسبغًا عليهم بعضًا من الصفات الدينية، وكثيرًا من الأخلاق الحميدة التي تناسب مقامهم، وتحفظ لهم مكانتهم العليا، ومنزلتهم التي أراد عبادة وضعهم فيها، ولاسيما مدحهم بنسبهم الذي أوصله إلى آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كقوله في مدح علي ابن حمود الحسني:

أطاعتك القلوب ومن عصيُّ
وحزب الله حزبك يا عليُّ
فكلُّ من ادَّعى معك المعالي
كذوبٌ مثل ما كذب الدَّعيُّ[٣٣]

وقد مزج عبادة بين المدح وذكر الحرب والفخر بالحموديين الذين خاضوا غمارها، في عدد من المقطوعات التي وصلتنا، كما في مدحه لابن حمود الذي جعل من قيادته للمعركة السبب في النصر بل أن يد الله (الجبار) هي التي تقارع عنه، يقول:

أبسلّ عليك الماءُ حتى يشوبه
دم والكرى حتى تُقَضّ المضاجعُ
وأيُّ يدٍ تنوي قراعك بعدما
رأينا يدَ الجبّارِ عنك تقارِعُ[٣٤]

ولعبادة ممدوحون آخرون، فقد مدح الحاجب المنصور بن أبي عامر[٣٥]، والوزير أبا عمر أحمد بن سعيد بن حزم[٣٦]، وصاحب الشرطة أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الشرفي[٣٧]، والقائد أبا موسى والد ابن بقِيّة[٣٨]، والأديب أبا العباس أحمد بن قاسم المحدث[٣٩]. وهؤلاء - مما لا شكّ فيه - ليسوا جُلّ ممدوحيه بل الذين وصلنا أسماؤهم والأشعار التي قالها فيهم فقط.

أما الغزل فكان ثالث الأغراض من حيث الكثرة فيما وصلنا من شعره، وغزله بالمؤنث والمذكر على حدّ سواء، حسي صريح، كقوله وهو يتخيل ضمّ خصر محبوبته الذي امتاز بالنحول:

ورأيتُ خصركِ يشتكي ما أشتكي
فضممتُهُ ضمَّ النحيل نحيلا
فكأنما قُلِبَ الفراقُ تلاقيًا
بالجزعِ أو حُسِبَ البكا تنويلا[٤٠]

ويستخدم في شعره الغزلي مفردات سهلة

بأسلوب بسيط دون تكلف لذلك فهو يُدخل قلب من يسمعه، كقوله:

سقى الله أيامي بقرطبة المنى
سرورًا كريّ المنتشي من شرابه

وكم مُزجت لي الرّاح بالرّيق من يدي
أغرَّ يريني الحسن ملءَ ثيابه

أوان عذاري لم يَرعْ بمشيبه
شبابي ولم يوحش مطارُ غرابه

تُعلّلني فيه الأماني بوعدها
وهيهات أن أروى بورد سرابه

سلِ العَنَم البادي من السجف دانفًا
لتعذيب قلبي هل دمي من خضابه[41]

فهو مبهور بجمال صاحبته وجمال أناملها التي شبهها بالعّناب، وهو يذكر أيام شبابه الماضية بقرطبة، ويدعو لها أن تُسقى سرورًا ترتوي به وتنتشي كانتشاء صاحب الخمر من شرابه. ويتساءل هل خضاب أناملها البادي من الستر لتعذيب قلبه من دمه؛ لأنه قتيل هواها وهي التي سفكت دمه وعلق منها بالأنامل.

أما الرثاء فلم يصل منه سوى مقطوعتين، الأولى في رثاء أبي بكر والد الوزير أبي الوليد ابن زيدون[42]، والثانية في رثاء علي بن حمود التي مزجها بمديح أخيه القاسم الذي تولى الأمر بعده، يقول فيها:

صلّى على الملك الشّهيد مليكُه
وسقاه في ظلّ الجنان الكوثرُ

مولىً دهته عبيدُه، وغضنفرٌ
تركته أيدي العفْرِ وهو معفّرُ[43]

وله شعر في الإخوانيات، وكانت متنوعة في المجاوبة أو المراجعة، أو الدعوة لحضور مجالس الأنس والطرب، لِمَا لابن ماء السماء من مكانة في نفوس الشعراء وذوي الشأن، فمن الطبيعي أن يكتبوا له _ فهو الشاعر الأديب _ وأن يكتب لهم، مراجعًا ومجاوبًا ومذيّلاً. فقد أورد ابن بسام في ذخيرته أن الأديب أبا عبد الله ابن سراج المالقي قال: اجتمعنا يومًا بمجلس أنس، وكتبنا إلى أبي بكر عبادة، وكان تائبًا عن الشرب:

نبيذك المحكم يدعوكا
مستشعرًا شوقًا إلى فيكا

فامنُنْ بإقبالٍ وإلاّ مضى
جميعنا دُمْتَ لناديكا

فراجعنا بقوله وجاء لوقته:

قصدي بودّ ليس مشكوكًا
فيه وعهد ليس متروكا

من حقِّ ناديكم على شاكر
غدا لكم صنوًا ومملوكا

وكيف صبري عن نديٍّ أرى
فيه دمّ الكرمة مسفوكا[44]

(خصائص شعره الفنية)

بما أننا لم نعثر لعبادة بن ماء السماء على قصائد في شعره الذي وصلنا، فحديثنا عن خصائص شعره الفنية ستدور حول البيت اليتيم والنتفة والمقطوعة، وقد استوفى شروط النظم في هذه البنى ففي البيت اليتيم كانت الوحدة الموضوعية من سماته، وقد قيل في فكرة معينة،

أوفاها حقَّها وما أراده من البيت، وكذلك في النتفة التي استطاع من خلالها عرض فكرة مبسطة بلفظ سهل. أما في المقطعة، فقد جمع عبادة بين براعة النظم، ودقة الوصف، ورشاقة اللفظ فجاءت مقطوعاته موافية الفكرة، مستوعبة الصورة التي أريد لها ولاسيما وصف الطبيعة أو مجالس الأنس وما فيها من أمور.

وقد انمازت ألفاظه بالسهولة والسلاسة والرقة والعذوبة بعيدًا عن غريب الكلام ووحشيه، فالقاعدة العامة للغة الشعر الأندلسي تبقى تميل إلى الرقة والسهولة خلا بعض الأغراض كالمديح والرثاء. وذلك ربما يعود إلى طبيعة البيئة التي عاشها الشاعر الأندلسي[٤٥]. أما من حيث البنية المضمونية (المعاني)، فعبادة ركز على المعاني الأصلية لمدلولات ألفاظه، ولم نر في معانيه تكرارًا مقيتًا، أو دلالة سقيمة، فكلها وافقت البنية الشكلية لمقطوعاته، وانسجمت مع الجانب النفسي أو الجانب الفني الذي نظمت عليه.

أما الصورة الفنية، فعبادة _ على قلة ما وصل إلينا من شعره _ شاعر مصوِّر، وقلنا إن غرض الوصف كان أكثر أغراضه التي نظم عليها مقطوعاته. وقد تداخل مع الأغراض الأخرى التي وردت في شعره كالمديح والغزل والإخوانيات. .. وهذا ما جعل صوره بسيطة مألوفة حسية (مرئية) تستغرق المشهد الموصوف، وتسبغ عليه الجدة والأصالة لتبرزه إلى المتلقي بأحسن وجه أدبي وأتمه. ورأيت أن أهم فنون البيان التي رسمت صور عبادة الشعرية هو التشبيه ولاسيما الحسي بالحسي، واستخدم في رسم صوره التشبيهية الأدوات والأفعال كافة، ولاسيما الأداة (كأن) التي كانت لها الصدارة في أغلب الأحيان، يقول عبادة مستعملاً هذه الأداة واصفًا رجلاً قصير القامة ومشبهًا إياه بقصر يومه مع معشوقه:

وصاحبٌ لي كأن قامته
أقصرُ من يومِ وصلِ معشوقي[٤٦]

أما الاستعارة فكانت قليلة في رسم صوره، وكذلك قلت الكناية في صوره أيضًا.

وقد ورد في شعره بعض السرد القصصي، ولاسيما في نصوصه الشعرية ذات الموضوع الوصفي، أو الموضوع الغزلي، وهذان الموضوعان يسمحان للشاعر بهذا السرد، وهو سرد متخيل من أنواع الخيال التأليفي الذي يلجأ إليه الشاعر لنكتة، أو لعبرة، وعبادة كان مجيدًا في هذا النوع من السرد في مثل هذين الموضوعين.

أما بخصوص الموسيقى والأوزان، فالطويل كان في مقدمة البحور التي نظم عليها عبادة، (فليس هناك ما يضارع الطويل في نسبة شيوعه)[٤٧]، ثم تلاه الكامل وهذه من البحور التي دائمًا ما تنافس الطويل على المرتبة الأولى في الاستعمال، فالمنسرح، وهذا البحر مما قلّ النظم عليه قديمًا وحديثًا[٤٨]. فالسريع، وهذا بحر من أقدم بحور الشعر العربي، غير أن نسبته لدى الشعراء قليل قديمًا وينفر منه الشعراء حديثًا، لاضطرابٍ في الموسيقى لا تستريح إليه الآذان إلا بعد مران طويل[٤٩]. وقد تناول في شعره البحور الشعرية الأخرى - بنسبة أقل - كالخفيف والرمل والمتدارك والبسيط والوافر والمجتث، وكذلك المجزوء من البحور (كمجزوء الكامل، ومخلع البسيط).

أما بخصوص القوافي؛ فقد نظم عبادة في نوعي القافية: المقيدة والمطلقة، واستخدم حروف الروي الشائعة بكثرة كحرف: الدال، واللام، والميم، والراء. كما إنّه استخدم بعض الحروف القليلة أو النادرة الاستخدام كحرفي: الضاد، والتاء. ولعبادة موسيقى داخلية رائعة متناغمة الأصوات أسهمت فنون البديع التي كثُرَتْ في ترك شعره وألفاظه في إيقاع مطرب، ونغم رخيم.

التأثيـر و التأثر ببقية الشـعراء واختراع المعاني:

من المظاهر الأخرى التي يمكن الإشارة إليها أو بالأحرى التي أشار إليها بعض ممن ترجموا له _ وبالأخص ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة _ مسألة التأثير والتأثر مع بقية الشعراء، وكذلك اختراع المعاني التي أشاروا إليها أيضًا. وهذا أمر وارد مع الجميع لكن باختلاف درجاته، وما أشار أولئك إلى هذا إلا لإحساسهم بشدة التأثير والتأثر، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

ولـقـد هممت بـه ورُمــتُ حـرامـهُ

فـحـمـانـي الإجــلالُ دون حـلالـه

وحـبـبـتُـه حُــبَّ الأكــارمِ رغـبـةً

فـي خُـلْـقـه لا رغـبـةً فـي مـالـهِ(٥٠)

علّق ابن بسام على هذه القطعة قائلاً: (وهذا ينظر إلى قول المتنبي)(٥١):

وأغـيـد يـهـوى نفسه كـلُّ عـاقلٍ

عفيفٍ ويهوى جسمه كلُّ فاسقِ(٥٢)

ومن مظاهر التأثر الأخرى ما أورده ابن بسام أيضًا (٥٣)، في قوله:

ولــه مــن الـسّـعـد الـمـتـاح مُـعـدّلٌ

يُغني أخـا التّنجيم عن تعديله(٥٤)

وهذا كقول المتنبي:

يُـقـرُّ لــه بـالـفـضـل مـن لا يــودُّهُ

ويقضي له بالسّعد من لا يُنَجّمُ(٥٥)

وأبين منه قول ابن شرف القيرواني:

ونــجــومُ آمــالــي طــوالــعُ بالمنى

والـسّـعـدُ يستغني عن التّقويم(٥٦)

وكذلك من مظاهر التأثر التي ذكرها ابن بسام(٥٧)، قوله:

كـم يـبـعـثُ الـبـاغـون رسـلـهـم إلـى

مـن كـتـبـه مـن زُرقـــهِ ونـصـولـهِ

وزعَ الإلــــه بـبـأسـهِ وعـقـابـه

مـا لـم يَــزَعْ بـالـنّـصّ مـن تنزيله

هـذا عـلـيّ نـاصـرُ الـديـن الـذي

نُظمتْ له غُـرَرُ السّنا بحجوله(٥٨)

والبيت الأول كقول المعري:

ولا قولَ إلاّ الضّربُ والطعنُ عندنا

ولا رُسْـلَ إلاّ ذابـلٌ وحـسـامُ(٥٩)

ومعنى البيت الثاني منها نظمه من قول الحسن بن البصري: (يزعُ اللهُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)(٦٠).

أما بالنسبة لمظاهر التأثير فقد أشار ابن بسام إلى ذلك(٦١)، في قوله:

لم يَثْنِ عزُّ المُلكِ عنه منونه
فسمتْ له من حيث لم يكُ يحذرُ
ختلَتْهُ سرًّا والقبائل دُرَّعٌ
تحميه لكنَّ المنايا جُسَّرُ
ولو انّها رامته جهْرًا لانثنتْ
والبيض تُقْرَعُ والقنا يتكسرُ[62]

وأخذ هذا المعنى عبد الكريم التميمي فقال يرثي صاحب خراج المغرب، وكان تناول دواءً فمات بسببه:

سنايا سددت الطُرُقَ عنها ولم تدع
لها من ثنايا شاهقٍ متطلّعا
فلمّا رأت سور المهابة دونها
عليك ولمّا لم تجدْ لك مطمعا
فجاءتك في سرّ الدَّواءِ خَفيّةً
على حين لم تحذر لداء توقُّعا[63]

وأخذ أيضًا هذا المعنى أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون، فقال من قصيدة يرثي بها أحد الوزراء:

ثارت إليه المنايا من مكامنها
سرًّا على غفلةِ الحراس والسمرِ
أولى لهنَّ وأولى لو هَمَمْنَ به
والمنع ذو راحةٍ والدَّفع ذو حذر[64]

أما اختراع المعاني فكان لبعض من ترجم له قول في ذلك، فمنهم من علق وأثنى على أبيات قالها بالابتكار والاختراع والإجادة، فابن بسام مثلاً يورد أربعة أبيات له في وصف الخمرة وشاربها معلقًا في نهايتها بقوله: إنّها من معانيه المخترعة وألفاظه المبتدعة، يقول عبادة:

فهل ترى أحسن من أكؤسٍ
يقبّل الثغرُ عليها اليدا
يقول للسّاقي: أغثني بها
وخُذْ لجينًا وأعدْ عسجدا
أغرِقَ فيها الهمُّ لكن طفا
حَبابُها من فوقها مُزْبدا
كأنّما شيّبها شاربٌ
أمسكها في كفّهِ سرمدا[65]

وعلق ابن بسام على البيت الأخير قائلاً: (وهذا البيت أراه اخترع معناه)[66].

وقد أورد الصفدي هذه الأبيات مع تعليق ابن بسام إلا أنه يورد تعليقًا ودفاعًا عن المعنى الذي أورده عبادة في البيت الثاني، يقول الصفدي(نقلت من خطِّ جمال الدين علي بن ظافر هذه القطعة، وقال بعدها: القسم الأخير من البيت الثاني معكوسٌ؛ لأن النديم يردّ للساقي الكأس فارغةً فتكون حينئذ باللجين أشبه، ثم يأخذها ملأى فتكون بالعسجد أولى، والصواب أن تقول: وادفع لجينا ثم خذْ عسجدا أو: أقول للساقي .. ولعل الكاتب غلط أو الراوي. قلت: الصحيح أنه: أقول للساقي .. ويصحُّ المعنى وهو أحسن مما قاله ابن ظافر)[67].

ومن الملاحظ المهمة التي يمكن الإشارة إليها هي قدرة عبادة على استنباط المعاني وابتكارها واختراعها وابتداعها، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مقدرة هذا الشاعر ومكانته.

٢_ توشيحه:

لقد اشتهر عبادة بالتوشيح في الأندلس، إذ كان من أوائل من نظم الموشح بل من أحدث التغيير والتجديد فيها كما يقول ابن بسام: (وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها، غير مرقومةِ البُرود، ولا منظومة العُقود، فأقام عبادةُ هذا منآدَها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم تُسمعْ بالأندلس إلاّ منه، ولا أخذت إلاّ عنه، واشتهر بها اشتهارًا غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته)[٦٨]. ثم تحدث _ ابن بسام _ عن عمل الوشاحين الأوائل، فقال: إن مخترع الموشحات (كان يصنعها على أشطار الأشطار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان. ... ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المركز، يضمن كل موقفٍ يقف عليه في المركز خاصة. ...ثم نشأ عُبادةُ هذا فأحدث التضفير، وذلك أنه اعتمد مواضعَ الوقف في الأغصان فيضمنها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز)[٦٩]. بهذا اعطى ابن بسام فضل تطوير الموشح لعبادة. وهناك اضطراب في نسبة الموشحات لهذا أو ذاك، إذ لم يصلنا سوى موشحتين تنسبان لعبادة بن ماء السماء، فالموشحة التي أولها:

مَنْ ولي في أمة أمرًا ولم يُعْزَلِ

إلاّ لحاظُ الرشأ الأكحلِ

نسبها ابن شاكر في فوات الوفيات لعبادة بن ماء السماء[٧٠]، بينما نسبها الصفدي في الوافي إلى عبادة القزاز[٧١]، إلا أنّه _ الصفدي _ يعود في كتابه (توشيع التوشيح) وينسبها لعبادة بن ماء السماء[٧٢]، ويذكر الدكتور محمد زكريا عناني أن ابن المواعيني في (ريحان الألباب) يذكرها منسوبة لعبادة بن ماء السماء[٧٣]، وعلى هذا فلا تبقى من موشحات عبادة إلا موشحة واحدة ذكرها ابن شاكر ايضًا _ لا خلاف عليها _ فإن صحت نسبتها له كانت أقدم أنموذج من الموشح وصلنا. ومعنى هذا أن أول موشحة لدينا تعود إلى أوائل القرن الخامس، ومطلع هذه الموشحة:

حبُّ المّها عباده

من كل بسَّام السِّرارِ

منهج المحقق وعمله:

- جمعت نتاج عبادة بن ماء السماء (الشعر، والتوشح) من شتيت المظان وكتب الطبقات والتراجم التي ترجمت لحياته وأوردت شيئًا من نتاجه.
- أعطيت لكل نص شعري رقمًا يسّهل عملية الرجوع إليه في التخريج والدراسة.
- رتّبت هذا الشعر على القوافي حسب الحروف الأبجدية.
- اثبتُ البحر الشعري لكل نص من نصوص عبادة الشعرية.
- رقّمت أبيات النصوص الشعرية، وأحلت

عليها في اختلاف الروايات بين المظان المختلفة.

- أشرت للشعر متدافع النسبة بينه وبين الشعراء الآخرين.
- اعتماد رواية المصدر الأقدم الذي روى أكبر كمية من شعره مع مقابلته بالتخريج، والشرح، والاختلاف مع رواية المصادر الأخرى وكمية شعرها.
- عرّفت بالمفردات اللغوية الصعبة التي وردت في شعره قدر المستطاع.
- تصدير المجموع الشعري بدراسة عن حياة الشاعر وشعره من حيث الأغراض الموضوعية، والسمات الفنية بما يقتضي الدراسة، وما يستحق الشاعر، ومن الله الإصابة.

الهوامش

(١) ينظر ترجمته في: التشبيهات: ٣٠٩، والذخيرة: ٣٦١/١، والصلة: ٢/ ٦٥٥، وأدباء مالقة: ٢٨٦، وتاريخ الإسلام: ٩ / ٣٠٧، و الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢١، و أزهار الرياض: ٢ / ٢٥٣، و تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ: ٤/ ٤٤٧.

(٢) ينظر: التكملة: ٢/ ٢٣٥.

(٣) ينظر: أدباء مالقة: ٢٨٦.

(٤) ينظر: الصلة: ٢/ ٦٥٥، وتاريخ الإسلام: ٩/ ٣٠٧.

(٥) ينظر: التكملة: ٢ / ٢٣٥، وفي التشبيهات، ينشد شعراً لأبيه، ينظر: ٤٨.

(٦) ينظر: الصلة: ٢/ ٦٥٥، وتاريخ الإسلام: ٩/ ٣٠٧، وينظر ترجمته في: جذوة المقتبس: ٢ / ٥١٨.

(٧) ينظر: جذوة المقتبس: ٢ / ٥٩٦.

(٨) ينظر: التشبيهات: ٣٠٩، وجذوة المقتبس: ٤٦٣/٢، والبغية: ٢/ ٥١٧، ونفح الطيب: ٣ / ١٧٣، ومعجم الأدباء: ١٤٨٠/٤، أما صاحب كتاب تاريخ الإسلام فيورد عنوان الكتاب (شعراء الأندلس) دون ذكر لفظة (أخبار)، ينظر: ٩ / ٣٦٤.

(٩) نفح الطيب: ٣ / ١٧٣.

(١٠) ينظر: هدية العارفين: ١ / ٤٣٦، ومعجم المؤلفين: ٥٨/٥. وقد جمع الدكتور محمود محمد العامودي ضمن كتابه شعراء أندلسيون قسماً من شعره. ينظر: شعراء أندلسيون: ٤.

(١١) ينظر: أدباء مالقة: ٢٩١.

(١٢) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٦.

(١٣) ينظر: أدباء مالقة: ٢٧٨.

(١٤) مجموع شعره: النص رقم (٧٠).

(١٥) ينظر: الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢١-٦٢٢، و فوات الوفيات: ٢ / ١٤٩.

(١٦) مجموع شعره: النص رقم (٤٠).

(١٧) مجموع شعره: النص رقم (٥١).

(١٨) ينظر: جمهرة الأنساب: ٣٤٦.

(١٩) الصلة: ٢ / ٦٥٥.

(٢٠) جذوة المقتبس: ٤٦٣/٢، وينظر: البغية: ٥١٧/٢.

(٢١) القلائد: ٣ / ٧٦٥، وينظر: المطمح: ١٦٠، ونفح الطيب: ٤ / ٥٢.

(٢٢) أدباء مالقة: ٢٨٦.

(٢٣) الذخيرة: ١ / ٣٦١.

(٢٤) الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢١-٦٢٢ ، و ينظر: فوات الوفيات: ٢ / ١٤٩.

(٢٥) جذوة المقتبس: ٢ /٤٦٤.

(٢٦) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٣، و الصلة: ٢ / ٦٥٥، و البغية: ٢ / ٥١٧، وأدباء مالقة: ٢٩١، و الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٥،٦٢٢ ، و فوات الوفيات: ١٤٩/٢، ١٥٣.

(٢٧) جذوة المقتبس: ٢ /٤٦٣، وينظر: الذخيرة: ٣٦٢/١، و البغية: ٢ / ٥١٧، وتاريخ الإسلام: ٣٦٤/٩، و مسالك الأبصار: ١٦ / ٢٧٨، و الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٢.

(٢٨) مجموع شعره: النص رقم (٢٦).

(٢٩) ينظر: جذوة المقتبس: ٢ /٤٦٤، و الذخيرة: ٣٦٣/١، والبغية: ٢ / ٥١٧.

(٣٠) فوات الوفيات: ٢ / ١٤٩.

(٣١) المقطعات هنا ما دون عشرة ابيات. ينظر: العمدة: ١ / ١٨٩.

(٣٢) مجموع شعره: النص رقم (١٧).

(٣٣) مجموع شعره: النص رقم (٦٩).

(٣٤) مجموع شعره: النص رقم (٣٣). .

(٣٥) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٦.

(٣٦) ينظر: جذوة المقتبس: ٢ / ٤٦٤، والبغية: ٥١٨/٢.

(٣٧) ينظر: جذوة المقتبس: ١ / ٢٣٤، والبغية: ٢٦٠/١.

(٣٨) ينظر أدباء مالقة: ٢٨٧.

(٣٩) ينظر: الذخيرة: ١ / ٦٨٥.

(٤٠) مجموع شعره: النص رقم (٤٨).

(٤١) مجموع شعره: النص رقم (٥).

(٤٢) ينظر: نفح الطيب: ٤ / ٢٣، وترتيب المدارك وتقريب المسالك: ٧ / ٢٨٥.

(٤٣) مجموع شعره: النص رقم (٢٤).

(٤٤) مجموع شعره: النص رقم (٤٥).

(٤٥) ينظر: اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. نافع محمود: ٢٢٧.

(٤٦) مجموع شعره: النص رقم (٣٩).

(٤٧) موسيقى الشعر: ٦٩.

(٤٨) ينظر: م. ن: ١٠٧.

(٤٩) ينظر: م. ن: ١٠١-١٠٢.

(٥٠) مجموع شعره: النص رقم (٥٢). .

(٥١) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٦.

(٥٢) شرح ديوان المتنبي: ٣ / ٦٢.

(٥٣) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٧ .

(٥٤) مجموع شعره: النص رقم (٥٦).

(٥٥) شرح ديوان المتنبي: ٤ / ٧٣ .

(٥٦) النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف، عبد العزيز الميمني: ١١٢ . .

(٥٧) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٧.

(٥٨) مجموع شعره: النص رقم (٥٧). .

(٥٩) شروح سقط الزند: القسم ٢ / ٦١٢ .

(٦٠) الذخيرة: ١ / ٣٦٨.

(٦١) ينظر: م، ن: ١ / ٣٦٩.

(٦٢) مجموع شعره: النص رقم (٢٤). .

(٦٣) ينظر: الذخيرة: ١ / ٣٦٩ -٣٧٠ .

(٦٤) ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري: ١٦٠.

(٦٥) مجموع شعره: النص رقم (١٣) .

(٦٦) الذخيرة: ١ / ٣٦٥.

(٦٧) الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٣ -٦٢٤.

(٦٨) الذخيرة: ١ / ٣٦١ ، وينظر: ادباء مالقة: ٢٨٦.

(٦٩) الذخيرة: ١ / ٣٦٢.

(٧٠) ينظر: فوات الوفيات: ٢ / ١٥١.

(٧١) ينظر: الوافي بالوفيات: ٣ / ١٨٩ .

(٧٢) ينظر: توشيع التوشيح: ١١٣.

(٧٣) ينظر: الموشحات الأندلسية، د. محمد زكريا عناني: ٨٩.

القسم الثاني

ما تبقى من شعر عبادة بن ماء السماء وتوشيحه

(أ) الشعر:

قافية الهمزة(١)

قال عبادة بن ماء السماء في الخيري النمام، مغزى دقيق ومعنىً رقيق: (من الخفيف)

١- وكأنَّ الخيريَّ في كتمِهِ الطِّيـ
بَ فقيهٌ مُغرى بطولِ رياءِ

٢- يُظهِرُ الزُّهدَ بالنَّهارِ ويُمسي
فاتكاً ليلَهُ معَ الظُّرفاءِ

التخريج و التوثيق: البديع في وصف الربيع: ١١١.

قافية الباء(٢)

قال عبادة بن ماء السماء في وصف القوس والنبال: (من السريع)

١- بكفِّهِ نشَّابةٌ أذكرتْ
في قبضها من قلبيَ الناشبِ

٢- كأنَّ يُمناه على ناظرٍ
منه ويُسراهُ على حاجبِ

٣- كأنَّما تعمِدُ في وترِهِ
تسعاً وستين يدا حاسِبِ

التخريج والتوثيق: التشبيهات: ٢٠٥.

(٣)

قال عبادة بن ماء السماء في فاطمي: (من السريع)

١- منْ ذا يجاريكَ إلى غايةٍ
مِنْ طامعٍ في المجْدِ أو راغِبِ؟

٢- يا سَيِّدَ الأَمْلاكِ منْ هاشمٍ
ومُنتهى الطَّالبِ والرَّاغِبِ

٣- وأنتَ بَدْرٌ في سماءِ العُلى
يمْحو ضياءَ الكوْكبِ الثَّاقِبِ

٤- أَنتَ عَليُّ بنُ نبيِّ الهُدى
وابنُ عليِّ بن أبي طالبِ

٥- في دِمَنِ المَحْلِ كَصَوْبِ الحَيا
وفي الوَغى كالأَسدِ الغاضبِ

التخريج والتوثيق: قلائد العقيان: ٣ / ٧٦٦.

(٤)

قال عبادة بن ماء السماء: (من المجتث)

١- كتمتُ سرَّكَ حتى
كأنَّهُ منْ عيوبي

٢- فما دراه عليمٌ
حاشا عليمِ الغيوبِ

التخريج والتوثيق: التشبيهات: ٢٧٥.

(٥)

قال عبادة بن ماء السماء: (من الطويل)

١- سقى اللهُ أيامي بقرطبة المنى
سرورًا كريَّ المنتشي من شرابه

٢- وكم مُزجتْ لي الرّاح بالرِّيق من يديْ
أغرَّ يريني الحُسن ملءَ ثيابه

٣- أو ان عذاري لم يَرعْ بمشيبه
شبابي ولم يوحش مطارُ غرابه

٤- تُعلّلني فيه الأمـانـي بوعدها
وهيهات أن أروَى بـوردِ سرابه

٥- سلِ العَنَم البادي من السجف دانفاً
لتعذيب قلبي هل دمي من خضابه؟

التخريج والتوثيق: الذخيرة: ١ / ٣٦٤-٣٦٥. والورد: الماء الذي يرده الناس، وقد أضافه إلى السراب تخيلا. العنم: الخضاب الأحمر وأراد به الأنامل. السجف: ستر الخيمة بجانب بابها. دالفا: مقبلا.

(٦)

قال عبادة بن ماء السماء في الجود: (من الكامل)

١- حيـرانُ مِـنْ فـقْـدِ الـعُـفـاةِ كـأنَّـهُ
مـن آلِ عُــذْرَةَ قـد أغـبَّ حبيبا

٢- يُعطي ويُدنيـه الـحـيـاءُ كـأنَّـهُ
قـد يَـسْـتَـقِـلُّ نـوالـهُ الـموهـوبـا

التخريج والتوثيق: التشبيهات: ٢٥٠.

(٧)

قال عبادة بن ماء السماء في فتى يرقص: (من الطويل)

١- ألا رُبَّ ظَبـيٍ قد تثنّى قوامه
فأخجل في حالاته الغُصْنَ الرطبا

٢- إذا يستوي أو ينثني وهو لاعبٌ
فطوْراً ترى عَيْنًا(١) وطوراً ترى قلبًا

التخريج والتوثيق: أدباء مالقة: ٢٨٩. وأعلام مالقة: ٢٨٤.

١- في أعلام مالقة (**سيفاً**) بدل (**عيناً**).

قافية التاء(٨)

قال عبادة بن ماء السماء في أترجة أهداها له محبوبه: (من مخلع البسيط)

١- أتـرجّـة إنْ أتـتـك بــرًّا لا
تَـقْـبَـلـنْـهـا وإنْ بَـــرَرْتـا

٢- لا تــهْــدِ أتــرجــةً لأنــي
رأيــتُ مـقـلـوبـهـا ((هــجــرتــا))

التخريج والتوثيق: أدباء مالقة: ٢٩٠. وأعلام مالقة: ٢٨٤-٢٨٥.

١- في أعلام مالقة (**فإنّي**) بدل (**لأني**).

قافية الجيم(٩)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الشعر وسواده وشقرته: (من الخفيف)

١- كلما مِسْتِ في الـرِّداءِ تـوارَتْ
بـقـنـاع غـزالــةُ الأبــراجِ

٢- او تمشت بحاسرِ الـرأس أوفى
مـلـك لـلـمـلاحِ مـن غـيـرِ تـاجِ

٣- وكــأنَّ الـتـفـافَ شـعـركِ جَـعـداً
فَـوْقَ وجـهٍ يضيءُ ضوء السراج

٤- طَبـقٌ مُكفَأٌ من الـتِّـبْـرِ محضاً
تـحـتَـهُ لـلـعـيـونِ لُـعْـبَـةُ عـاج

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ١٢٥. والغزالة: الشمس وهي التي تحلي الأبراج.

قافية الدال (١٠)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الأنهار والجداول والمياه الجارية: (من الطويل)

كأنما أديمَ الماءِ دُرٌّ مُذابُهُ
يُصافِحُ مِنْ خُضْرِ الرياضِ زُمُرُّدا

التخريج والتوثيق: التشبيهات: ٦٦.

(١١)

قال عبادة بن ماء السماء في نارٍ تبدو في الظلام ثم يخمدها الريح: (من الطويل)

١- وقفت على علياء والجزع دوننا
لأنظر من نارٍ على البُعْدِ توقَدُ

٢- تقوم بطول الرمح ثمّ يخونها
هبوبُ الصَّبا عند الصَّباح فتُفْقَدُ

٣- فشبهتها في الحالتين كقارئٍ
إذا اعترضتْهُ سجدةٌ ظلّ يسجدُ

التخريج والتوثيق: أدباء مالقة: ٢٩١. وأعلام مالقة: ٢٨٥.

١ - في أعلام مالقة

(وقفت على عليا الجُذُوعِ ذُؤابَةً
لأَنْظُرَ في نارٍ على البُعْدِ تُوقَدُ).

٢- في أعلام مالقة (**الريح**) بدل (**الرمح**).

(١٢)

قال عبادة بن ماء السماء في قمري: (من السريع)

١- مُطوَّقٌ جوَّد في شدْوِهِ
كأنما طُوِّقَ إذ جَوَّدا

٢- مال على الخُوطِ فَشَبَّهْتُهُ
بشاربٍ لمَّا انتشى عربدا

٣- كأنما الطلُّ على طوقِهِ
دمعٌ على عِقْدِ فتاةٍ بدا

التخريج والتوثيق: التشبيهات: ٥٧. والخوط: الغصن.

(١٣)

قال عبادة بن ماء السماء: (من السريع)

١- فهل ترى أحسن من أكؤسٍ
يقبّلُ الثغرُ عليها اليدا

٢- يقولُ للسّاقي: أغثني بها
وخذْ لُجيْناً وأعدْ عسجدا

٣- أغرقَ فيها الهمُّ لكنْ طفا
حَبابُها من فوقها مُزبدا

٤- كأنّما شيّبها شاربٌ
أمْسكَها في كفِّهِ سَرمدا

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٥، ورايات المبرزين: ٧٨، و مسالك الأبصار: ١٧ / ٢٧٩، والوافي بالوفيات: ٦٢٣/١٦، وفوات الوفيات: ١٥٠/٢.

١- البيت الأول لم يذكر في: رايات المبرزين، و مسالك الأبصار. وفي فوات الوفيات (**وهل**).

٢- صدر البيت الثاني في رايات المبرزين يروى هكذا (**أقول للساقي ابتكرْ بكْرَها**)، وفي مسالك الأبصار (**يقول لي السّاقي اغتبِقْ لي بها**)، وفي الوافي بالوفيات و فوات الوفيات

عبادة بن ماء السماء القرطبي (ت٤٢٢هـ) حياته وما تبقى من شعره وتوشيحه جمع وتوثيق ودراسة

(يقولُ لي الساقي).

٣- البيت الثالث لم يذكر في: رايات المبرزين. وفي فوات الوفيات **(حبابه)**.

٤- البيت الرابع لم يذكر في: فوات الوفيات. والشيب هنا يراد به ما يعلوه من حبب وزبد.

(١٤)

قال عبادة بن ماء السماء في الياسمين: (من مخلع البسيط)

١- انظر إلى عرش ياسمينٍ

لم يرد الوردُ وهو وارد

٢- كأنّه عدةً ولوناً

أكفّ صَبٍّ بلا سواعِدْ

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٩٠. وأعلام مالقة: ٢٨٤.

(١٥)

قال عبادة بن ماء السماء في سكين: (من الكامل)

١- أهديتُ نحو معذّبي عَضْبَ الظبا

مِنْ طرْفِهِ الفتّاك أحسب حدَّهُ

٢- وفِرِندُهُ المُغْشي لعيني مُذْكرٌ

من خطِّ عارضِهِ المليحِ فِرنْدَهُ

٣- وكذاك يحكي باصفرار نقوشهِ

من عاشقٍ مثلي نحيلٍ خدَّه

٤- ولذاك أُهديه إليه تفاؤُلاً

للقائنا فكأنّما أنا عندهُ

٥- أفْرَدْتُهُ من غِمدِهِ إذْ لم أرَ

إلا فؤادي خوفَ صدِّك غِمْدَه

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٤١.

(١٦)

ولعبادة بن ماء السماء من قصيدة غير منقوطة في المديح: (من الطويل)

١- عطاؤك سمحٌ ما لإدراكه مدى

ولو عُدِّد الرَّمْلُ المركَّمُ عُدّدا

٢- وصارمك المسلول سلّم مسلماً

ودمّر أعداء وألحد ملحدا

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٨. وأعلام مالقة.

(١٧)

قال أبو بكر عبادة بن ماء السماء في وصف سحابة: (من الرمل)

١- ولعوبٍ عشِقَتْ روضَ الثرى

فَهْيَ تأتيه على طول البَعَدْ

٢- فيرى الروض إذا ما وصلت

أرِجَ العَرْفِ من الطيب الجسدْ

٣- عطراً مُلْتبِساً ملتحفاً

في سرابيل من الحسن جُدُدْ

٤- كمحبٍ زار محبوباً له

فتحلّى للقاه واستعدْ

٥- وإذا ما ودَّعتْ أبصرتها

في نحول العاشق الصّبِ الكَمِدْ

٦- تلحظ النَّورَ بلحظ فاترٍ
مثل جفنٍ حائرٍ فيه رمدْ
٧- وجفون النَّوْرَ تهمي بالبكا
كجفون الصَّب مِنْ فقد الجَلَدْ
٨- فهما في حيرة عند النوى
كمحِبَّيْن أحسَّا بالبَعَدْ

التخريج والتوثيق:

البديع في وصف الربيع: ١٦ -١٧.

(١٨)

اجتاز عبادة على حصن قرطبة فنزل بها عند الفقيه أبي سفيان بن حجر، فأخرج له أقداحًا بزبد وعسل، وأكلتها بالليل الكلاب، فقال في ذلك: (من المنسرح)

١- ما منْ سبيل الوفاء والعَهْدِ
أنْ تطلقوا كلبكم على زبدي
٢- لو شبع الكلب في كفالتكم
لم يتبع مني إلى الزبد(١)
٣- عليكم أرش ما جنى ولكُمْ
نَسْخُ ملام القبيح بالحدّ(٢)

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٧. وأعلام مالقة: ٢٨٢.

١- في أعلام مالقة يروى العجز (لمْ يَتَتَبَّعْ مخالِيَ الزُّبْدِ).

٢- في أعلام مالقة (بالحَمْدِ) بدل (بالحد).

(١٩)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الرايات والتجافيف والطبول: (من الكامل)

١- هذي وفودُ الرومِ نحوكَ بدَرَتْ
أَمَّ القطا للمنهلِ المورودِ
٢- وصلوا على مثل الصراطِ إليك من
هولٍ، وأنفسهم بلا مَجلود
٣- في جحفلٍ كالرَّوضِ في ألوانه
يهفو بأعلاهُ سحابُ بنود
٤- وكأنما الحيّاتُ فاغرةٌ به
تومي إلى الأَعداءِ بالتهديد*
٥- وكأنما العقبان في نَفْحِ الصَّبا
تَهْوي إلى صيدِ الكماة الصيد
٦- والأرضُ تحسبها سلوكاً سطَرَت
فيها لآلئ عُدَّةٍ وعديد

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢١٠. * يتحدث في هذا البيت عن الحيات وفي الذي يليه عن العقبان ويعني بها البنود ذات الصور الرائعة، وكانت تمثل وحدة خاصة في العرض في الاحتفالات الأندلسية.

(٢٠)

قال عبادة في دخول جسد ابن فرذلند في تابوت *: (من الكامل)

١- فَرَّقْتَ بين دماغِهِ وفؤادِهِ
وجمعت بين غرابِهِ والسِّيد
٢- فكأن رأس بلالٍ أظماهُ الردى
فدنا من الوادي رجاءَ ورود

٣- وكأن بطْنَ أخيه ظهْرُ الشيَّهم

الـضَّـاحـي أو الملقى مـن العنقود

٤- وكأنما الـتـابـوتُ حَـنَّـطَ شِـلْـوَهُ

فـأتـاك فـوق الـظـهـر فـي ملحود

٥- أكلت وديـعـتَـهُ الـوغـى وكأنَّما

رُفِـــعَ الــذي أبـقـتْـهُ فـي سفُّـود

٦- رأسٌ أُميـلَ عقوبةً إذ لم يدِن

لـــلـــه فـــي أيَّـــامـــهِ بـسـجـود

٧- طـمـحَـتْ إلـيـه عيونُنا فكأنَّما

رصـــدَتْ بـصـلـعـتـهِ هـلال الـعـيد

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢١٩ -٢٢٠. * يعني غرسية بن فرذلند، الذي أسر عام (٣٨٥هـ) زمن المنصور ابن أبي عامر وتوفي بعد أسره بأيام. ينظر: التشبيهات: ٢١٩.

١-أي أن الغراب والسيد اجتمعا على جثته.

٣-الشيهم: ذكر القنافذ، والضاحي الذي أصابته الشمس.

٥-الوديعة: ما أودع في رأسه أي دماغه، السفود: حديد الشواء.

قافية الراء(٢١)

قال عبادة بن ماء السماء في باب السماء والنجوم والقمرين: (من الطويل)

١-كـأنَّ الـسـمـاء قـبـةٌ مـن زُمـرُّدٍ

وفيها الـدراري من عقيقٍ مَسامرُ

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ١٩.

(٢٢)

قال عبادة بن ماء السماء في باب شواذ تقل نظائرها: (من الطويل)

١- بسطتَ لنا خرقاءَ كالأُفقِ وُصِّلتْ

بـخـمـسٍ{.............................}

٢- يقبلُ ركـنَ البيتِ منها مُسلِّمٌ

ويـصـدرُ عنها صـائـمٌ وهـو مُفطرُ

٣- ألـظَّـتْ بها الأفـواه حتى كأنَّها

خـواتـمُ فـيـهـا أو عـلـيـهـا تُـقـدَّر

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٨٤.

١- البياض في عجز البيت من المصدر.

٢- ألظت به: لزمته.

(٢٣)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الدواة والقلم والصحيفة: (من المنسرح)

١- أقـلامُـهُ تنثني الـسـيـوفُ لها

إذا عـلـيـهـا دمُ الـــدُّويِّ جـرى

٢- كـأنـمـا عـــادَ ريـقـهـا ديَـمـاً

فـأنـبـتـت فـي كـتـابِـهِ زهـــرا

٣- فـأورقـت حين صافحت يـدَهُ

فـانـبـاع مـنـهـا كـلامـه ثـمـرا

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٣٧. الدوي: جمع دواة، انباع: انطلق.

(٢٤)

قال عبادة بن ماء السماء يرثي علي بن حمود الحسني، ويهنئ أخاه القاسم بالخلافة: (من الكامل)

١- صلى على الملكِ الشَّهيدِ مَليكُه
وسقاه في ظلِّ الجنان الكوثرْ

٢- مولىً دهَتْه عبيدُه، وغَضنْفرٌ
تركته أيدي العُفْرِ وهو مُعفَّرُ

٣- كانت تَهيَّبُه الأسودُ فغاله
في قصره مُستضعف مُستحقَر

٤- لم يثنِ عزُّ المُلكِ عنه منونه
فسمتْ له من حيثُ لم يكُ يحذرُ

٥- خَتَلتْه سراً والقبائل دُرّعٌ
تحميه لكنَّ المنايا جُسّرُ

٦- ولو انّها رامته جَهْراً لانثنت
والبيض تُقْرعُ والقنا يتكسرُ

ثم خرج إلى المدح فقال:

٧- ما غاب بدرُ التّم إلاّ ريثما
جَلّى الدّجى عنّا الصباحُ الأزهرُ

٨- إن يَهْوِ من أفْق الخلافةِ نَيّرٌ
يهدي السبيلَ فقد تلاه نَيّر

٩- بالقاسمِ المأمونِ أفرخَ روعنا
فالقَسْمُ وافٍ والنّصيبُ موفّر

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٩. وقوله (ختلته سراً) البيت مع الذي يليه، معنىً قد طوي ونشر.

(٢٥)

وزاد في المُهْدى له أُتْرُجّةً: (من الكامل)

١- أهدى لهُ أحْبابُهُ أُتْرُجَّة
فبكى وأشفق من عيانة زاجرِ

٢- خاف التلوّن إذْ أتته لأنّها
صنفان باطنها خلافُ الظاهِرِ

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٩٠. وأعلام مالقة: ٢٨٥.

(٢٦)

قال أبو محمد بن حزم: في صفر من سنة إحدى وعشرين وأربعمائة كان البرد المشهور خبره، وكان أمرًا مستعظمًا ما شوهد مثله، وفيه قال عبادة بن ماء السماء، يصف هوله: (من المنسرح)

١- يا عِبْرَةً أُهديتْ لِمُعْتَبِرِ
عَشِيةَ الأربعاء من صَفَرِ

٢- أَقبلنا اللهُ بأس منتقمٍ
فيها وثنىَّ بعفو مُقتدر

٣- أرسل مِلْءَ الأكُفُّ من بَرَدٍ
جَلامداً تنْهمي على البَشَرِ

٤- فيالها آيةً وموعظةً
فيها نذيرٌ لكل مُزْدَجِرِ

٥- كاد يُذيبُ القُلوبَ منظرُها
ولو أُعيرت قساوةَ الحَجَرِ

عبادة بن ماء السماء القرطبي (ت٤٢٢هـ) حياته وما تبقى من شعره وتوشيحه جمع وتوثيق ودراسة

٦- لا قــدَّر الـلــه فــي مشيئته

أن يـبـتـلـيـنـا بـســيِّءِ الـقـدر

٧- وخَـصَّـنـا بـالـتُّـقـى ليجعلنا

مـن بـأسـه الـمُـتَّـقـى عـلـى حَـذَر

التخريج والتوثيق:

جذوة المقتبس: ٢ / ٤٦٣، والبغية: ٥١٧/٢، والذخيرة: ١ / ٣٦٣، و تأريخ الإسلام: ٣٦٤/٩-٣٦٥، ومسالك الأبصار: ١٧ / ٢٧٨، والوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٤.

١- البيت الأول لم يذكر في: مسالك الأبصار.

٢- البيت الثاني لم يذكر في: الذخيرة، و الوافي بالوفيات.

٣- في تاريخ الإسلام **(رسل)** بدل **(أرسل)**.

٤- البيت الرابع لم يذكر في: مسالك الأبصار، والوافي بالوفيات.

٥- في تاريخ الإسلام **(كادت)** بدل **(كاد)**.

٦- البيت السادس لم يذكر في: الذخيرة، ومسالك الأبصار، والوافي بالوفيات.

٧- البيت السابع لم يذكر في: الذخيرة، ومسالك الأبصار، والوافي بالوفيات.

قافية السين (٢٧)

قال عبادة بن ماء السماء: (من الكامل)

١-اجْـلُ المدامةَ فهي خيرُ عروسٍ

تجلو كُــرُوبَ الـنّـفـسِ بالتّنفيسِ

٢-واستغنمِ اللذاتِ في عهدِ الصِّبا

وأوانِـــهِ، لا عِـطْـرَ بـعـدَ عـروسِ

التخريج والتوثيق:

الذخيـرة: ٣٦٤/١، ومســالك الأبصــار: ٢٧٩/١٧، والوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٣، فوات الوفيات: ٢ / ١٥٠.

(٢٨)

وله -عبادة -وقد وجه الأمـراء بنو حمّود وراءه في يوم أُنس وأحدُ فتيانهم يرقص، فعند دخوله طلبوا منه وصفه، فقال ارتجالاً: (من الكامل)

١- ومنوَّعِ الحركات يلعب بالنّهى

لبس المحاسن عند خلع لباسهِ

٢- مـتـأوِّدٌ كالغصن عـنـد كثيبه

مـتـلاعـبٌ كـالـظـبـي عـنـد كناسه

٣- بالعقل يلعب مـدبـراً أو مقبلاً

كـالـدهـر يلعبُ كيف شـاء بناسهِ

٤- ويـضـمّ للقدمين مـنـه رأسـه

كـالـسـيـف ضُـمَّ ذبـابُــهُ لـريـاسـه

التخريج والتوثيق:

أدبـاء مالقة: ٢٨٩. وأعـلام مالقة: ٢٨٤. وهناك اختلاف في نسبتها، إذ يعود صاحب كتاب أدباء مالقة وينسبها لعلي بن خروف ويقول: (وهذه الأبيات نسبها ابن أبي العباس في كتابه لعبادة، والصحيح أنها لابن خروف، لأنه لم يكن ممن ينتحل شعر غيره ونسبه لنفسه، والله أعلم)، ينظر: ٣٢٦.

قافية الشين (٢٩)

قال عبادة بن ماء السماء في تحويرة أبنوس: (من المنسرح)

١ـ مطويّة في الخطوب كالحنشِ
كـأنّـمـا أطـرقـتْ عـلـى نَـهَـشِ
٢ـ تـمـزج أريـا بـسمّـهـا فمتى
تُـحِـطْ أسـيـر الـردى بـهـا يَعشِ
٣ـ تُـرْضِـعُ أبـنـاءهـا مجاجتها
فـي ريّـهـا لا تـدرّ فـي العطش
٤ـ مـكـرمـة لـم تـهـن عـلـى أحدٍ
تـنـزل عـنـد الـمـلـوك فـي الـفُرُشِ
٥ـ زنـجـيـة فـضّـضـتْ كـواكـبـهـا
فـهـي تُـبـاهـي كـواكـبَ الـغَـبَـشِ

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٨. وأعلام مالقة: ٢٨٢.

وهذه الأبيات منسوبة في كتاب التشبيهات للشاعر سليمان بن بطال البطليوسي، ينظر: التشبيهات: ٢٣٧-٢٣٨.

قافية الصاد (٣٠)

قال عبادة بن ماء السماء في ميمون بن الغانية وكان وسيمًا: (من الكامل)

١ـ قمرَ المدينةِ كيف منك خلاصُ
أو أيـن عنك إلـى سـواك مَـنـاصُ ؟
٢ـ ما أنـت إلاَّ دُرَّةُ الحُسْنِ التي
قلبي عليها فـي الـهـوى غَـوّاص
٣ـ والشادنُ الأحوى الذي في طَرْفه
سـحـرٌ يُـصـادُ بـسَـهْـمـه الـقـنّـاص
٤ـ أمِنْ جفونك من مَغَبَّةِ ما جَنَتْ
فينا فليس على الـمـلاح قصاص

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٦.

قافية الضاد (٣١)

قال أبو بكر عبادة الشاعر في رثاء أبي بكر والد الوزير أبي الوليد بن زيدون: (من الخفيف)

١ـ أيُّ ركـنٍ مـن الـريـاسـةِ هيضا
وجُـمُـومٍ مـن الـمـكـارم غيضا
٢ـ حملوه مـن بـلـدةٍ نحو أخـرى
كـي يـوافـوا بـه ثـراهُ الأريـضـا
٣ـ مثل حملِ السحابِ ماءً طيبياً
لـتـداوي بـه مـكـانـاً مـريـضـا

التخريج والتوثيق:

نفح الطيب: ٢٣/٤، وترتيب المدارك وتقريب المسالك: ٢٨٥/٧.

١ـ في ترتيب المدارك (**من السيدة**) بدل (من الرياسة)، و(**حميم**) بدل (**وجموم**).

٣ـ في ترتيب المدارك يروى صدر البيت الثالث (**مثل حمل الرياح مزنا طيبياً**).

(٣٢)

قال عبادة بن ماء السماء في وصف راقصة: (من المنسرح)

١ـ تُـتـابِـعُ الـدَّسْـتَ لا تخالفهُ
فـي رفـعـهـا تـارةً وفـي الـخـفـضِ
٢ـ وتـلـتـوي ثـم تـسـتـوي فترى
غصنًا مروحًا(١) منها على الأرض
٣ـ لـو وطـئـت مقلة بوقطتها(٢)
لـم تـمـتـنـع خـفّـةً مـن الـغـمـضِ

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٩. وأعلام مالقة: ٢٨٣.

١-في أعلام مالقة **(مُرُوعًا)** بدل **(مروحًا)**.

٢-في أعلام مالقة **(بِرَقْصَتِها)**. بدل (بوقطتها).

قافية العين(٣٣)

وقال عبادة من قصيدة يمدح بها ابنَ حمود: (من الطويل)

١- أبسْلٌ عليكَ الماءُ حتى يشوبَه
دَمٌ والكرى حتى تُقَضّ المضاجعُ

٢- أجِمَّ جياداً أدمَنَ الغزوُ نَهْكها
فمنها حسيرٌ في الجهاد وظالع

٣- وأغمدْ سيوفاً تشتكيك جفونها
كما تشتكي نُجلَ العيونِ البراقعُ

٤- وسكّنْ عجاجَ الرَّكضِ شيئاً فقلّما
يُرى الجوُّ ممّا هجتهُ وهو ناصع

٥- وآنسْ قُصوراً طال إيحاشُها به
فقد أشفقتْ ممّا صنعتَ المصانع

٦- وهل ضرَّك الباغي بسهمِ مَكيدةٍ
وأنت بواقي عصمة الله دارعُ ؟

٧- وأيُّ يدٍ تنوي قراعَك بعدما
رأينا يدَ الجبّارِ عنك تُقارعُ ؟

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٦-٣٦٧.

قافية الغين(٣٤)

قال عبادة بن ماء السماء متغزلاً: (من الطويل)

١- إذا رمتُ قطفَ الوردِ ساورني الصُّدغُ
بعقرب سحرٍ في فؤادي له لَدْغُ

٢- غزالٌ بجسمي فترةٌ من جفونه
وفي أدمعي من لون وجنته صِبْغُ

٣- زيارتُه أخْفى خفاءً من السُّها
ودون فراغي من محبّته الفَرْغُ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٣.

قافية الفاء (٣٥)

قال عبادة بن ماء السماء في وصف جارية ترقص: (من المنسرح)

١- راقصةٌ لا تُحَسُّ وطأتُها
كأنّها في الهبوب كالطيْفِ

٢- تنقل أقدامها على عجل
كأنّما رقصها على سَيْفِ

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٩. وأعلام مالقة: ٢٨٣.

١-في أعلام مالقة **(الخُفُوفِ)** بدل **(الهبوب)**.

(٣٦)

قال عبادة بن ماء السماء في باب العناق والوداع: (من المنسرح)

١- لم أر عَجْمَ البُكاءِ يأْخذُه
إذ قام عند العناقِ كالألِفِ

٢- كأنَّهُ في وجيز خَطْرَتِهِ
خيالُه إذْ سَرَى فلم يَقِفِ

٣ـ كـأنـمـا الـحـبُّ كـان أسلَفَنـي

نـفـسـي فـثـمَّ اسـتـردنـي سَـلَـفـي

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ١٥٢.

(٣٧)

قال عبادة بن ماء السماء في مدح إبراهيم بن محمد الشرفي من قصيدة طويلة: (من المنسرح)

١ـأحْـلِـفُ بـالـلـه حِـلْـفَ مُجتهدٍ

والـحِـلْـف بـالـلـه غـايـةُ الـحَـلِـفِ

٢ـلو كان إجماعُنا بفضلِكَ في الْـ

مِـلَّـةِ لـم تُـمْـتَـحَـن بـمُـخْـتَـلِـفِ

التخريج والتوثيق:

جذوة المقتبس: ١ / ٢٣٤، و البغية: ١: ٢٦٠.

(٣٨)

ومن قول عبادة بن ماء السماء في الخصر: (من السريع)

١ـ يـشـد. ...... خـصـراً له

يـكـاد أن يـنـقـد مـن نـصـفـه

٢ـ كـأنـمـا أبـصـره مـشـتـه

فـشـده خـوفـاً عـلـى ضعفـه

التخريج والتوثيق:

الصلة: ٢ / ٦٥٥.

قافية القاف (٣٩)

قال عبادة بن ماء السماء في القَصر: (من المنسرح)

وصـاحـبٍ لـي كـأن قـامـتـهُ

أقـصـرُ مـن يـوم وصـلِ معشوقي

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٦٠.

(٤٠)

قال عبادة في الحاجب ابن أبي عامر: (من الطويل)

١ـ لنا حاجبٌ حاز المعالي بأسرها

فأصبح في أخلاقه واحدَ الخَلْقِ

٢ـ فلا يغتررْ منه الجهولُ ببِشْرِهِ

فمُعظَمُ هوْلِ الرَّعدِ في أثرِ البرقِ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ٣٦٦/١، ومسالك الأبصار: ٢٧٩/١٧، والوافي بالوفيات: ٦٢٤/١٦.

١- في مسالك الأبصار (لنا صاحبٌ) بدل (لنا حاجبٌ).

٢- في الوافي بالوفيات (فمعظم هذا الرعد) بدل (فمعظم هول الرعد).

قافية الكاف (٤١)

قال عبادة في تشبيه سكين في غمدٍ أسود: (من الكامل)

١ـ أنا صارمٌ في جوفِ غمدٍ لم يَزَلْ

بـذْلُ الأكـفُّ الـمـلـكـانـي مالكي

٢ـ فكأنني طَـرْفُ الحبيب مُحيّراً

قـد نـام فـي جـوفِ الـظـلامِ الحالكِ

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٤١.

(٤٢)

قال عبادة بن ماء السماء يستهدي سكيناً: (من الخفيف)

١- ليس يبريه غيرُ عضبٍ طريرٍ
فعلُه فيه قطعةٌ من فعالك

٢- حملَ الصبحَ في غرارٍ منير
ودُجى الليلِ في نصابٍ حالك

٣- ونبتْ لي أقلامُ صدقٍ كأني
كنت كلَّفتُها انتساخَ مقالِك

٤- فتفضَّلْ من المُدى لي بشيءٍ
فأنا منتمٍ إلى أفضالك

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٤١-٢٤٢. العضب: القاطع، الطرير: الحاد.

(٤٣)

قال عبادة بن ماء السماء متغزلاً: (من المنسرح)

١- ما مرّ يومٌ عليَّ لم أرِكِ
إلاّ وجدت الضّميرَ صَوَّرَكِ

٢- ولا مبيتي وأنتِ لستِ معي
إلاّ مبيتُ القطاةِ في الشّرَكِ

٣- أمّا أنا فالبعادُ غيّرني
وأنتِ خَوْفُ الرّقيبِ غيَّرَك

٤- يا لُعبَةً صُوّرتْ لسفك دمي
غطّي بفضلِ النقابِ مَحْجرك

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٣-٣٦٤. ، وأدباء مالقة: ٢٨٨. وأعلام مالقة: ٢٨٣.

١- في أدباء مالقة **(إلاّ وطرف)** بدل **(إلاّ وجدت)**. ٢- في أدباء مالقة **(ما منيتي)** بدل **(ولا مبيتي)**. وفي أعلام مالقة **(وما مبيتي)**. ٣- في ادباء مالقة و أعلام مالقة تقديم وتأخير بين البيت الثالث والرابع.

٤- في أدباء مالقة يروى هكذا:

(يا ظبية أولعت بسفك دمي
غُضّي بفضل النقاب محْجَرَك)

وفي أعلام مالقة:

(يا لعبة أولعت بسفك دمي
غُضّي بفضل النقاب محْجَرَك).

(٤٤)

قال عبادة بن ماء السماء: (من الكامل المجزوء)

١- لا تشكُوَنَّ إذا عثرْ
تَ إلى خَليطٍ سوءَ حالكْ

٢- فيريك ألواناً من الـ
إذلالِ لم تخطُرْ ببالك

٣- إيّاكَ أن تدري يميـ
نُك ما يدورُ على شمالك

٤- واصْبرْ على نُوَبِ الزّما
نِ وإن رمَتْ بك في المهالكْ

٥- وإلــى الــذي أغنــى وأقْــ

نـى أضـرَعُ وسَـنَـهُ صـلاح حـالـكْ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١/٣٦٣، والوافي بالوفيات: ٦٢٣/١٦، وفوات الوفيات: ٢ / ١٤٩-١٥٠.

١- في الوافي بالوفيات (إلى صديقٍ) و فوات الوفيات (إلى صديقك). ٢-في فوات الوفيات (فيريك أنواعاً).

(٤٥)

قال الأديب أبو عبد الله بن السّرّاج المالقي*: اجتمعنا يومًا بمجلس أُنس، وكتبنا إلى أبي بكر عبادة، وقد كان تاب عن الشراب ويساعدُ في النّبيذ:

نـبـيـذُكَ الـمـحـكـمُ يـدعـوكـا

مـسـتـشـعـراً شـوقـاً إلـى فيكا

فـامـنـن بـإقـبـالٍ وإلاّ مضى

جـمـيـعـنـا دُمْـــتَ لـنـاديـكـا

فراجعنا بقوله وجاء لوقته: (من السريع)

١- قـصـدي بـود لـيـس مشكوكاً

فـيـه وعـهـد لـيـس مـتـروكـا

٢- مـن حق - ناديكم على شاكر

غـدا لـكـم صـنـواً ومـمـلـوكـا

٣- وكـيـف صـبـري عـن نـديٍّ أرى

فـيـه دم الـكـرمـة مـسـفـوكـا

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٦٦٣. *

(٤٦)

قال عبادة بن ماء السماء متغزلاً: (من الرمل)

١- إنـمـا الـفـتـحُ هِـلالٌ طـالـعٌ

لاحَ مـن أزراره فـي فَـلَـكِ

٢- خَـدُهُ شـمـسٌ، ولَـيْـلٌ شعرُهُ

من رأى الشمس بَـدَتْ في حَلَكِ

التخريج والتوثيق:

الخريدة: القسم الرابع، ٢ / ٤٤، و نفح الطيب: ٤ / ١٠٩. البيتان في الخريدة منسوبان لعبادة القزاز.

قافية اللام (٤٧)

قال عبادة بن ماء السماء في باب تشبيهات السماء والنجوم والقمر: (من الخفيف)

١- رُبَّ لـيـلٍ سـهـرتُ فـي قمرٍ

مـدَّ مـن فَـرْحـةٍ عليه حُلى

٢- والـثـريـا كـأنـهـا سُـئِـلَـتْ

فـأجـابـتْ عـن الـحـبـيـبِ بلا

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٠.

(٤٨)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الخصور والأرداف: (من الكامل)

١- ورأيتُ خَصْرَكِ يشتكي ما أشتكي

فـضَمَمْتُهُ ضمَّ النـحيلِ نحيلا

٢- فكأنما قُلِبَ الـفـراقُ تلاقياً

بـالـجزعِ أو حُسِبَ البكا تنويلا

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ١٤٦-١٤٧.

(٤٩)

قال عبادة بن ماء السماء: (من المنسرح)

١- وليلةٍ للسرورِ كان لها
بحسن ساقٍ كحسنِ خَلْخالِ

٢- قصيرةٍ أقصرَ الغرامُ بها
كأنّها مُستهلٌّ شوّال

٣- ناوَلني الكاسَ بدرُها بيدٍ
عُنّابُها من طريف أنقال

٤- يَعُلُّني ريقةَ الحياةِ فَمٌ
قضى بتعطيلِ كلّ عَلالِ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٤.

(٥٠)

أنشد أبو بكر عبد الله بن حجاج الإشبيلي لعُبادة بن ماء السماء إلى الوزير أبي عمر أحمد ابن سعيد بن حزم بديهة، يستأذن عليه ويسأله الوصول إليه: (من السريع)

١- يا قمراً ليلة إكْماله
ومُغْرقي في بحر أَفْضالِهِ

٢- عبدُ أَياديك وإحسانها
يسألك المَنَّ بإيصاله

٣- فإنْ تفضَّلت فكم نعمةً
جُدتَ بها مُصلحَ أحواله

٤- وإن يكُن عُذرٌ فيكفيه أن
عَرَّفَ مولاه بإقباله

التخريج والتوثيق:

جذوة المقتبس: ٤٦٤/٢، والبغية: ٥١٨/٢. ومعجم الأدباء: ١٤٨٠/٤. وفيها **(لصلح)** بدل **(مصلح)**.

(٥١)

وكان عبادة يُظهر التشيّع في شعره، من ذلك قوله في يحيى بن حمود: (من الطويل)

١- فها أنا ذا يا ابنَ النُبُوَّةِ نافثٌ
من القول أرْياً غيرَ ما ينفثُ الصّلُّ

٢- وعندي صريحٌ في ولائكَ مُعْرِقٌ
تَشيُّعهُ مَحْضٌ وبيْعتُه بَتْلُ

٣- ووالى أبي قيسٌ أباك على العُلا
فخيّم في قلبِ ابنِ هندٍ له غل

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٨.

(٥٢)

قال عبادة بن ماء السماء متغزلاً: (من الكامل)

١- مُتَجبّرٌ لا يطبّيهِ بالرّضى
أحدٌ ولا يجري الوفاءُ ببالِهِ

٢- دارتْ دوائرُ صُدْغهِ فكأنّما
حامتْ على تقبيل نُقطةِ خالِهِ

٣- رَشاٌ توحَّشَ من مُلاقاة الورى
حتى تَوَحّشَ من لقاء خيالِهِ

٤- فلذاك صار خياله لي زائراً

إذ كنتُ في الهجران من أشكالِهِ

٥- ولقد هممتُ به ورُمتُ حرامَهُ

فحماني الإجلالُ دون حلالِهِ

٦- وحبَبْتُه حُبَّ الأكارمِ رغبةً

في خُلْقه لا رغبةً في مالهِ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٥-٣٦٦، الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٤، و فوات الوفيات: ٢ / ١٥٠.

١- البيت الأول لم يذكر في:الوافي بالوفيات، و فوات الوفيات.

٢- في الوافي بالوفيات (فكأنها) بدل (فكأنما).

٦- البيت السادس لم يذكر في: الوافي بالوفيات، و فوات الوفيات.

(٥٣)

قال عبادة بن ماء السماء في الكتاب: (من الخفيف)

١- ذو معانٍ مُعَشَّقاتٍ حوى كلَّ

جسيمٍ منها كتابٌ ضئيلُ

٢- كهوىً غارَ مَنْ يُحبُّ عليه

فطواهُ وقد طواهُ النحولُ

٣- فكأن الكتابَ مِسْكٌ فتيتٌ

نمَّ فيه على الحبيب دليل

التخريج والتوثيق: التشبيهات: ٢٣٧. (٥٤)

قال عبادة بن ماء السماء مادحًا: (من الطويل)

١- لكَ الخير خيرانُ مضى لسبيله

وأصبح ملكُ الله في ابن رسولِهِ

يقول فيها:

٢- وفُرِّقَ جمعُ الكفر واجتمع الورى

على ابنِ حبيبِ الله بعد خليله

٣- وقام لواءُ الجمعِ فوق ممنعٍ

من النصرِ جبريلٌ أمام رعيله

٤- وأشرقتِ الدنيا بنورِ خليفةٍ

به لاح بدرُ الحق بعد أُفوله

٥- من الهاشميين الذين بمجدهمْ

تعوَّدَ شخصُ المجدِ جرَّ ذيولِه

٦- فلا تَسَلِ الأيامَ عما أتت به

فما زالت الأيامُ تأتي بسُولِه

٧- ولما دعا الشيطانُ في الخيلِ حزبَهُ

وأقبلَ حزبُ اللهِ فوق خيوله

٨- كتائبُ من صنهاجةٍ وزَنَاتةٍ

تضايقُ في عرْضِ الفضاء وطوله

٩- تقدَّمَ خيرانُ إليها بزعمِهِ

ليدركَ ما قد فاته من ذُحولِهِ

١٠- فلمّا التقى الجمعانِ عاود رأيَهُ

فخلَّى لبعضِ الهَوْلِ جُلَّ فضوله

١١- فأحجم تحت النقع والخيل تدَّعي

كما ازدلف الليث الهزبر لقيلِهِ

١٢- وولى وأبقى منذراً من ورائهِ

يقيمُ لأهلِ الغَدْرِ عُذرَ نكوله

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٥٠، والبيان المغرب: ١٣٠/٣، ونفح الطيب: ١ / ٤٨٦.

١- في نفح الطيب (**أمرُ**) بدل (**مُلكُ**). وهذا البيت الوحيد الذي يذكر في نفح الطيب وهي منسوبة لعبادة. أما في الذخيرة فهذه القصيدة منسوبة لابن الحناط قالها في أبي القاسم بن حمود يصف خيران الصقلبي وقتل المرتضى المرواني. وفي البيان المغرب لم ينسب لأحد.

٢- البيت الثاني لم يذكر في: البيان المغرب.
٣ - في البيان المغرب (**الدفع**) بدل (**الجمع**).

٥+٦ -لم يذكرا في البيان المغرب. ٨-في البيان المغرب (**تضايقن**) بدل (**تضايق**).

١١ - لم يذكر هذا البيت في: الذخيرة.

(٥٥)

قال عبادة بن ماء السماء في الرماح: (من الكامل)

١- وذوابــلٍ صـمٍّ الـكعوبِ تعدَّلت
منها الـمـتـونُ وحكمُها لـم يـعـدِلِ
٢- قد قُـوِّمـتْ فكأنما امتثلت بذا
ك الـفـعلِ فـي تـقـويـم كـلّ مُميل

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ١٩٩.

(٥٦)

قال عبادة بن ماء السماء في مدح ابن حمود: (من الكامل)

١- صلّى عليكَ اللهُ يا ابنَ رسوله
وولـيّــه الـمـخـتـصّ بـعـد خليله

ومنها:

٢- ولـه من السّعدِ المتاحِ مُـعَـدّلٌ
يُـغـنـي أخـا الـتّـنـجـيـمِ عـن تعديله

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٧.

(٥٧)

قال عبادة بن ماء السماء مادحًا: (من الكامل)

١- كم يَبعثُ الباغون رُسْلَهُمُ إلى
مـن كـتـبُـه مـن زُرْقـــهِ ونُـصـولِـهِ
٢- وزَعَ الإلـــهُ بـبـأسـهِ وعقابه
مـا لـم يَـزع بـالـنّـصّ مـن تنزيله
٣- هـذا علـيّ نـاصـرُ الـديـن الـذي
نُـظـمـتْ لـه غُـرَرُ الـسّـنـا بحجوله

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١: ٣٦٧.

قافية الميم (٥٨)

قال عبادة بن ماء السماء في باب شواذ تقل نظائرها: (من الطويل)

١- ولما رأيـت الـدهـرَ ينفذُ حكمهُ
بـعـدوانِ مـعـشـوقٍ قـنـعـتُ بحتمِهِ
٢- كـأنـيَ صـبٌّ وهـو إلـفـي فكلما
تـيـمـمَ بـي ظـلـمـاً صـبـرتُ لظلمهِ

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٨٣.

(٥٩)

إن أبا بكر عبادة كان يمدح القائد أبا موسى والد ابن بقية، فسافر أبو موسى، وشاع أنه قد مات ثم إنّه قَدِمَ مالقة، فأنشده قائمًا بين يديه: (من الوافر)

١ـ نعيٌّ زاد فيه الدهرُ ميما
فأصبح بعد بؤساه نعيما

٢ـ أما شككت في هذا لأنّي
رأيت الشمس تشرق والنجوما

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٧. وأعلام مالقة: ٢٨٢.

١ ـ في أعلام مالقة (صُبْحاً) بدل (ميما).

٢ ـ في أعلام مالقة (وَمَا) بدل (أما)، و(تغْرُبُ) بدل (تشرق).

(٦٠)

ولعبادة بن ماء السماء في وصف راقصة: (من المنسرح)

١ـ يُعجِبني أن تقوم قُدَّاما
تفتل قَبْلَ الجُفون أكماما

٢ـ كأنّها في اعتدالها ألِفٌ
ترجعُ عند انعطافها لامَا

التخريج والتوثيق:

أدباء مالقة: ٢٨٩، وأعلام مالقة: ٢٨٣، وتحفة القادم: ١٣١، والوافي بالوفيات: ١٢: ٢٣٧.

١ ـ في الوافي بالوفيات (بفتل) بدل (تفتل).

(٦١)

قال عبادة مخاطبًا الأديب أبا العباس أحمد بن قاسم المحدث أيام مقامه بالأشبونة: (من الخفيف)

١ـ يا منيفاً على السّماكين سامِ
حُزتَ فَضْلَ السّباقِ من بسّام

٢ـ قد خَبرتُ الوَرى فلم أُلفهم إلاَّ
ثقالَ الأفهامِ والإفهامِ

٣ـ وتأمّلتُ منك نُكتةَ بغدا
دَ لُبابَ العِراقِ معنى الشآم

٤ـ شك ذهني في أن يرى بَصري مثـ
ـلَكَ حتى لخِلتني في المنام

٥ـ إن تَحُكْ مِدْحةً فأنت زُهيرٌ
أنسيباً فعروةُ بنُ حِزام

٦ـ أو تُباكِرْ صَيْدَ المها فابن حُجرٍ
أو تُبكّي الدِّيار فابنُ خِذام

٧ـ أو تَذُمّ الزّمان وهو حقيقٌ
فأبو الطّيِّبِ البعيدُ المرامي

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١: ٦٨٧-٦٨٨.

(٦٢)

ولأبي بكر عبادة بن ماء السماء قطعة بديهية في وصف الربيع: (من البسيط)

١ـ أما ترى باكر النور الذي نجماً
كأنه آئب من غيبة قدما

٢ـ والقَطْر ساق له والبرق يُعْجِبه
سُقْياه فعْلة داعي الشّرب بالنُّدما

عبادة بن ماء السماء القرطبي (ت٤٢٢هـ) حياته وما تبقى من شعره وتوشيحه جمع وتوثيق ودراسة

٣- كأنه سِلْكُ دُرٍّ حُلَّ أو كَلِفٌ
بكى فلما دنا محبوبه ابتسما

٤- كأن مُبْدِئه في الأُفْق مُنتثِراً
أعاده في أنيق الروض مُنتظِما

٥- فلا تَرُدَّ على الساقي حكومَتَهُ
فإن دين الهوى راضٍ بما حَكَما

التخريج والتوثيق:

البديع في وصف الربيع: ١٧. أشار إلى حسن الساقي في آخر بيت.

(٦٣)

قال عبادة بن ماء السماء: (من المنسرح)

١- اشرَبْ فعهدُ الشّباب مُغْتَنَمُ
وفُرصةٌ في فواتها نَدَمُ

٢- وعاطنيها بكفّ ذي غَيَدٍ
ألحاظُه في النفوسِ تحتكم

٣- كأنها صارمُ الأمير وقد
خَضَّب حدَّيْهِ من عداهُ دم

٤- واحدُ بتَذْكارهِ الكؤوسَ فما
يَلَذُّ نُقْلاً سوى ثَناهُ فَمُ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٤، ومسالك الأبصار: ١٧ / ٢٧٩، والوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٥، وفوات الوفيات: ٢ / ١٥٠.

١- في مسالك الأبصار **(وفرصة من)** بدل **(وفرصة في)**.

٢- البيت الثاني لم يذكر في: مسالك الأبصار، والوافي بالوفيات. فوات الوفيات يروى **(من كفٍّ)** بدل **(بكفّ)**.

٣- في مسالك الأبصار **(خديه)** بدل **(حديه)**.

٤- البيت الرابع لم يذكر في: الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات. وفي مسالك الأبصار يروى **(واسْقِ بتذكاره)** بدل **(واحد بتذكاره)**، ويروى العجز: **(يكدُّ نقلاً سِوى ثناءِ فَمُ)**.

(٦٤)

قال عبادة بن ماء السماء من قصيدة طويلة في يحيى بن علي بن حمود الفاطمي: (من الطويل)

١- يُؤرّقني الليلُ الذي أنت نائمُهْ
فتَجهل ما أَلقى وَطْرفِيَ عالمُهْ

٢- أَفي الهودج المرقوم وجهٌ طَوَى الحَشَا
على الحزن واشِي الحُسن فيه وَراقِمهْ

٣- إذا شاءَ وَقفَ الرَّكب أَرْسل فَرْعَه
ضَلَّلهم عن مَنهج القَصد فاحِمُهْ

٤- أظلماً رَأَوْا تَقْليده الدُّرَّ أم نَوَوْا
بتلك الَّلآلي أنهنَّ تمائِمُهْ

٥- وهل شَعر الدَّوْح الذي في قِبائهم
تماثيلُه أنَّ القُلوب كمائِمُهْ

التخريج والتوثيق:

جذوة المقتبس: ٢ / ٤٦٤، ومطمح الأنفس: ١٦١، والقلائد: ٣ / ٧٦٦، والبغية: ٢ / ٥١٨، وأدباء مالقة: ٢٩٠. وأعلام مالقة: ٢٨٤ ، ونفح الطيب: ٤ / ٥٣.

١- في مطمح الأنفس ونفح الطيب **(أنا**

نائمه) و(وطرفك)، وفي أدباء مالقة (وأرقني)، (وطرفك). وفي أعلام مالقة (وطرفك).

٢- في مطمح الأنفس ونفح الطيب (وفي الهودج) ويروى العجز (على الحزن فيه الحُسن قد حار راقمهُ)، وفي القلائد (ظبي) بدل (وجه). وفي أدباء مالقة (أتى الهودج) و(الحق) بدل (الحسن).

٣- البيت الثالث لم يذكر في: أدباء مالقة، وأعلام مالقة. ويروى في مطمح الأنفس ونفح الطيب (اذا شاء وقفا أرسل الحسن فرعه *** يضلهم. ..).

٤- في مطمح الانفس ونفح الطيب (زَرَوا) بدل (نووا) ويروى في قلائد العقيان والبغية (راوا)، و(الليالي) بدل (اللآلي).

٥- البيت الخامس لم يذكر في: مطمح الانفس، وقلائد العقيان، وأدباء مالقة، وأعلام مالقة، ونفح الطيب.

قافية النون (٦٥)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الثقلاء والكذبة: (من مجزوء الكامل)

١ـ مـذ كـنـتَ لا تـنـفكُّ تخـ
بِـرُ عـن حـديـثٍ لـم يكن

٢ـ فـكـأنـمـا غُـذِّيـتَ طفـ
لاً بـالـكـذابِ مـع الـلَّـبنْ

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٥٩.

(٦٦)

ولعبادة إلى صديق له يستهديه سُوسنًا أبياتٌ وصفه فيها وصفًا مستحسنًا: (من البسيط المخلع)

١ـ دُمْـتَ بـإنـعـام وإحْـسـانْ
إنْ أنـتَ أنـعـمْـتَ بِـسُـوسـانْ

٢ـ لـو كـان نـفْـساً حـيـوانـيَّـةً
مـا كـانَ إلا نُـفـس إنْـسـانْ

٣ـ كـأنَّـهُ أنْـمُـلُ حَـسْـنـاءَ لَـمْ
تَـخْـضِبْ يـديـهـا خَـوفَ غـيْـرانْ

البديع في وصف الربيع: ١٣٤.

(٦٧)

قال عبادة بن ماء السماء في باب الثقلاء والكذبة: (من الخفيف)

صِـرتَ مُـستثـقـلي كـأنـك أرضٌ
وكـأنـي عـلـيـك ثـقـلُ الأمـانـهْ

التخريج والتوثيق:

التشبيهات: ٢٥٩.

قافية الياء (٦٨)

ولعبادة بن ماء السماء في القاسم بن حمود: (من البسيط)

١ـ ما ضيَّع الله مُلْكاً أنت راعيهِ
ولا أبـاح ذِمـاراً أنـت حـاميهِ

٢ـ لله درُّكَ مـن مـولىً عـوارفُـه
لم تُبْقِ في الأرض إلاَّ من يواليهِ

٣ـ تَهديه والناسُ قد ضلُّوا كواكبُ من
آرائـه فـي سـمـاءٍ مـن مـعاليه

٤ـ مُـكـفَـلاً بـرضـاهُ هـمَّـةٌ أُنُـفـاً
ترمي إلى الغَرضِ الأقصى فتُصميه

٥- كانت خلافَتُنا في الغربِ مظلمةً
كـــأنّ أيـامـنـــا فـيـهـا لـيـالـيـــه
٦- سياسةٌ أبـرأتْ بالرّفق في مَهَلٍ
داءَ الـخـلافِ وقـد أعـيـا مـداويـه
٧- وحكمةٌ خضعتْ هامُ الملوك لها
عـــزّاً فـلا حُـرَّ مـوجـودٌ بـواديـه
٨- مـؤيّـدٌ جـاءت الـدنـيـا إلـى يده
عَـفْـواً ولـبّـتْـهُ مـن قُـرْبٍ أمانيه
٩- جلّت أيـاديـه حتى إنّ أنفُسنَا
ومـا مـلـكـنـاه جــزءٌ مـن أسـاديـه

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٥.

(٦٩)

ولعبادة بن ماء السماء في علي بن حمود الحسَني: (من الوافر)

١- أطاعتك الـقـلـوبُ ومـن عَصيٌّ
وحـــزْبُ الـلــه حـزبُـك يـا علـيُّ
٢- فكلُّ مـنِ ادَّعـى معك المعالي
كـــذوبٌ مـثـلَ مـا كـذب الـدَّعـيُّ
٣- أبى لك أن تُهاضَ عُلاكَ عَهْدٌ
هـشـــامـيٌّ وجَـــدٌّ هـاشـمـيٌّ
٤- ومـا سـمّـيتَ بـاسـم أبـيـك إلاّ
لـيَـحْـيـا بـالـسّـمـيّ لـه الـسّـمـيُّ
٥- فـإن قـال الـفـخـورُ أبـي فـلانٌ
فـحـسـبُـك أن تـقـول أبـي الـنّـبـيُّ

التخريج والتوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٨، و مسالك الأبصار: ٢٧٩/١٧.

١- في مسالك الأبصار **(ولا عصيٌّ)**. ٢-لم يذكر هذا البيت في مسالك الأبصار.

٣- في مسالك الأبصار **(من عُلاك جَدٌّ)**. ٥- لم يذكر هذا البيت في مسالك الأبصار.

(٧٠)

قال عبادة: أول شعر قلته أني وقفت على هدف الرمي بعُدوة النهر بقرطبة، وثم غلمانٌ من أبناء العبيد ينتضون، فقلتُ: (من الطويل)

١-ومـا راعنـي إلاَّ سـهامٌ رواشـقٌ
إلـى هَـدَفٍ يَـنْـحـوهُ كـلُّ يـديْ ظبي
٢-أقـامـوه كي يرموا إليه فلم يكنْ
لهم غرضٌ حاشا فؤاديَ في الرَّمْي

التخريج و التوثيق:

الذخيرة: ١ / ٣٦٦ ، وأدباء مالقة: ٢٨٧. وأعلام مالقة: ٢٨١-٢٨٢.

(٧١)

قال عبادة بن ماء السماء في علي بن حمود: (من الطويل)

١- أبـــوكـــم عــلـــيٌّ كـــان
ورثـتـم، وذا بالغرب أيضـاً سميّهُ
٢- فصلُّو عليه أجمعون وسلموا
لَـــهُ الأمـــر إذ ولاّه فيكم وَلـيّـهُ

التخريج و التوثيق:

نفح الطيب: ١ / ٤٨٤.

(ب) الموشح:

(١)

من وَلِي فــي أمّــةٍ أمراً ولم

يُعزَلِ إلاّ لحــاظَ الرشـأ الاكحلِ

جُرْتَ في حكمك مـن قتلي يـا مُسْرِفُ

فانصِـفِ

فواجبٌ أن ينصفَ المنصفُ

و ارأفْ فإنّ هذا الشوقَ لا يـرأفُ

عـلّـل قلبي بذاك الباردِ السّلْسلِ ينْجَـلِ ما بفؤادي من جوىً مُشْعلِ

إنمــا تبرزُ كـي توقـد نـارَ الفتـنْ

صـنـمـا

مصــوراً من كلّ شــيءٍ حسنْ

إن رمى لم يخْطِ من دونْ القلوب الجُنَنْ

كيف لي تخلّصٌ من سهمكَ المرسلِ فُصِـلِ واستبقــي حيّاً ولا تقتلِ

يا سنــا الشمس ويا أبهى من الكوكبِ

يا منى النفس و يا سؤلي و يا مطلبي

ها أنــا حلّ بأعدائِـكَ مــا حـل بــي

عُذّلــي من ألمِ الهجران في معزل والخلِي في الحبّ لا يَسأَلُ عمن بُلي

أنت قـدْ صيرتَ بالحبِّ(١) من الرشّدِ غيّ

لم أجدْ في طرقـي جسمك (٢)ذنباً علـيّ

فـاتـئـد وإن تشـأ قتلــي شيئـاً فشـيّ

أجمـلِ ووالني منكَ يَد المفضـل فهي ليّ من حَسَناتِ الزمنِ المقبلِ

ما اغتذى طـرفـيَ إلا بسنا نـاظـرَيْـك

وكـــذا في الحب ما بي ليس يخفى علَيْك

ولـــذا أنشـدُ والقلب رهينٌ لدَيْـك

يا علـي سلّطتَ جفنيكَ على مقتلي فابقِ لـي قلبي وَجُدْ بالفضل يا موئلي

(٢)

حـبٌّ المهـا عبادُه من كل بسّام السِرَارِ

قمرٌ يطلــع من حسن آفاق الكمـال حسنه الأبدع

لله ذات حســنِ مليحــة المحيّــا

عبادة بن ماء السماء القرطبي (ت٤٢٢هـ) حياته وما تبقى من شعره وتوشيحه جمع وتوثيق ودراسة

لها قوام غصنٍ وشِنفها الثريّا
والثغر حَبُّ مُزنٍ رُضابُه الحميّا
في (١) رشفه سعادَهْ كأنه صفو(٢) العُقارِ
جوهر رصع يسقيك من حلوِ الزلال طيّب المشرع
رشيقة المعاطف كالغصن في قوامِ(٣)
شهدية المراشف كالدّرِ في نظامِ
دعصيّةُ الروادفْ والحضرُ(٤) ذو انهضامِ
جوالة القلادة محلولةٌ عقدَ الإزارِ
حسنها أبدع من حسن ذياك الغزال أكحل المدمع
ليليّة الذوائب ووجهها نهارُ
مصقولة الترائب ورشفها عقارُ
أصداغها عقارب والخدّ جلنارُ
ناديت وافؤادَهْ من غادةٍ ذاتِ اقتدارِ
لحظها أقطع من حدّ مصقولِ (٥)النصال في (٦)الفتى الأشجع
سفرجل النهودِ في مرمر الصدور
يُزهَى على العقودِ من لِذَة البحورِ(٧)
ومقلة وجِيدِ من غادةٍ سَفُور
حبي لها عبادَهْ أعوذ من ذاك الفخارِ
بِرَشاً يرتع في روضِ أزهارِ الجمال كلّما أينع
عفيفة الذيولِ نقيةُ الثيابِ
سلاّبة العقولِ أرقّ من شراب
أضحى بها نحولي في الحبِّ من عذابي
في النوم لي شَرادهْ أو حكمها حكمُ اقتدارِ
كلما أمنع منها فإن طيفُ الخيالِ زارني أهجع

التخريج والتوثيق:

الوافي بالوفيات: ١٦ / ٦٢٦-٦٢٨، وفوات الوفيات: ٢ / ١٥٢-١٥٣، وديوان الموشحات الأندلسية: ١ / ٨-١٠.

١- في فوات الوفيات (من رشفه). ٢-في فوات الوفيات (كأنه صرفُ).٣-في فوات الوفيات (في القوام).
٤- في فوات الوفيات (والخصر).٥-في فوات الوفيات (مصقولة).٦-في فوات الوفيات (من الفتى).
٧ - في فوات الوفيات (من لذة النحور).

المصــادر والمراجع

- اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، نافع محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م.
- أدباء مالقة، أبو بكر محمد بن علي بن خميس المالقي (٦٣٩هـ)، تح: د. صلاح جرار، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، الأردن، ط١، ١٩٩٩م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
- أعلام مالقة، لابن عسكر و ابن خميس، تح: د. عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الأسلامي – بيروت و دار الأمان – الرباط، ط١، ١٩٩٩م.
- البديع في وصف الربيع، أبو الوليد إسماعيل بن عامر الحميري (٤٤٠هـ)، تح: هنري بيريس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي (ت٥٩٩هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تح: ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- تحفة القادم، أبو عبد الله بن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، أعد بنائه وعلّق عليه: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (٥٤٤هـ)، تح: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المغرب، ط٢، ١٩٨٣م.
- التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله بن الأبار (ت٦٥٨هـ)، تح: د. عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، أبو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب (ت ق٥هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦م.
- توشيع التوشيح، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تح: البير مطلق، (د. ن)، بيروت، ١٩٦٣م.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُميدي (ت٤٨٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م.
- جمهرت أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، نشر: ليفي بروفنسال، (د. ن)، القاهرة، ١٩٤٨م.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الأندلس)، للعماد الأصفهاني الكاتب، تح: عمر الدسوقي و علي عبد العظيم، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه، إعداد وتحقيق وتأليف: سليم التنير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
- ديوان الموشحات الأندلسية، تح: د. سيد مصطفى غازي، منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٧٩م.
- رايات المبرزين وغايات المميزين، ابن سعيد الأندلسي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: د. النعمان عبد المتعال القاضي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- شروح سقط الزند، تح: مصطفى السقا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.
- شعراء أندلسيون ، د. محمود محمد العامودي، مطبعة مقداد – غزة – فلسطين، ط١، ٢٠١٠م.
- الصلة، لابن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، الفتح بن خاقان (ت٥٢٩هـ)، تحقيق: د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٩م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ)، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- مطمح الأنفس ومسرح الأنس في مُلح أهل الأندلس، الفتح بن خاقان الأندلسي، تح: هدى شوكت بهنام، دار الغصون، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، ١٩٥٧م.
- معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تح: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.
- الموشحات الأندلسية، د. محمد زكريا عناني، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠م.
- النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف، عبد العزيز الميمني، (د. ن)، القاهرة، ١٣٤٣هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين عن كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تح: وداد القاضي، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، ط٢، ١٩٩١م.



التراث المعماري والعمراني الأندلسي

حدائق المساجد أنموذجًا

د. محمد هشام النعسان
حلب - سوريا

التراث المعماري والعمراني الأندلسي حدائق المساجد أنموذجًا

- ملامح تخطيط المدينة الأندلسية الإسلامية:

لقد خضع تخطيط المدينة العربية الإسلامية في الأندلس لقواعد عامة محددة برزت من بينها ثلاث قواعد:

- الأول: المسجد الجامع الذي أعطى للمدينة طابعها الإسلامي.

- الثاني: مقر الحكم وإدارة الدولة.

- الثالث: خطة المدينة التي تشمل توزيع استعمالات الأرض المختلفة داخل المدينة.

وأن التخطيط في المدن الإسلامية يعتمد بالدرجة الأساس على واحد من أربعة: القرآن الكريم، والسنة النبوية(١)، والفقه(٢)، والشريعة... فكان بناء مساجد الخطط إلزاميًا؛ حيث كان لها دور في إدارة المدينة، فقد كان فيه المجلس الذي يجتمع فيه الناس ويحكم بينهم ويعلمون أولادهم فيه، وكانت بعض المرافق العامة الخاصة بالخطة ملاصقة أو مجاورة لها مثل: السوق والحمام والخان والبيمارستان وغيرها.. كما كانت أوامر وتعليمات الخليفة أو الأمير للناس تصل إلى هذه المساجد أو المجالس(٣).

وكان للماء أثر حيوي في تصميم المدن الأندلسية وتنظيمها ووظائفها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٠).

وكان هناك خطتان معماريتان: الخطة الشريطية؛ أي امتداد بعض الأمصار على طول الأودية والسواحل (مثل مالقة وطريانة)؛ والخطة متعددة النوى، المتسمة بالتبرعم بفعل تفرع المدن بسبب تفرع المجاري المائية التي أقيمت عليها (مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة)، ومن الملاحظ أن تركز الأمصار الأندلسية الكبرى كان في وسط وجنوب البلاد "بفعل كثافة الأودية

والعيون الدائمة الجريان هناك".

وهناك صّلة متينة بين الماء وثقافة الازدهار لدى الأندلسيين؛ لأن مكوّنات المعمار المائي الحضري في الأندلس (من نافورات وسقايات وأحواض، وحدائق ومتنزهات، وحمامات) قد جمعت بين "المتعة" و"المنفعة"، وتحكمت فيها الأبعاد الجمالية. كما أن التمدين الذي عرفته الأندلس خلال القرنين (٧-٨هـ/١٣-١٤م) حوّل المنشآت العمرانية المائية إلى وعاء رمزي أفرغ فيه الإنسان الأندلسي أنماط سلوكه وتفكيره وأحاسيسه، كما أن الأساليب الهندسية والفنية التي صممت بها المرافق المائية داخل القصور والمتنزهات، والصيغ الجمالية التي رتبت بها التحف والتماثيل والزخارف المائية والنباتية، ومضمون القصائد التي قيلت باسمها، تنطوي على دلالات إيحائية معينة؛ فكانت قيم "الثروة" و"النفوذ" و"السلطة" أهم المقاصد الرمزية للمعمار المائي بالأندلس.

ـ جمال البيئة الأندلسية:

لقد أفاض المؤرخون والجغرافيون والشعراء والأدباء العرب في وصف بيئة وجمال طبيعة بلاد الأندلس الفاتنة وجناتها البهيجة، وملكت معاني هذا الجمال نفوسهم، فأصبحوا يرون فيها جنة الخلد بمائها وظلالها وأنهارها وأشجارها، يقول الشاعر ابن **خفاجة**:

يـــا أهْـــلَ أنـــدلــسٍ لــلّـــهِ دَرّكُـــمُ

مــــاءٌ وظِـــلٌ وأنــــهــــارٌ وأشــجـــارُ

مـا جَـنَّـةُ الـخـلـدِ إلاّ فـي دَيـارِكـمُ

ولـو تَـخَـيَّـرتُ هـذا كُـنْـتُ أخـتـارُ

لاتختَشُوا[٤] **بعدذا أن تَدْخُلوا سَقَرًا**

فَلَيْس تُـدخَـلُ بَـعدَ الجنَّـةِ الـنـارُ[٥]

ويذكر **المقري** بأن:"الأندلس من الإقليم الشامي، وهو خير الأقاليم، وأعدلها هواءً وترابًا وأعذبها ماءً وأطيبُها هواءً وحيوانًا ونباتًا، وهو أوسط الأقـاليـم.."[٦]. ويصف **الحميري** بلاد الأندلس فيقول:"والأندلس شآميةٌ في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في عِطْرِها وذكائها، أهوازِيةٌ في عِظَم جباياتها، صينيةٌ في جواهر معادنها، عَدَنيةٌ في منابع سواحلها"[٧]. وأما الوزير **لسان الدين ابن الخطيب** فقد استفاض بوصف تنوع طبيعتها وخيراتها بقوله:"خص الله تعالى بلاد الأندلس من الرَّيْعِ، وغَدَقِ السُّقيْا، ولذاذَةِ الأقوات، وفَراهة الحيوان، ودرور الفواكه، وكثرة المياه، وتبحُّرِ العُمران، وجَوْدَةِ اللباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصحة الهواء، وابيضاض ألوان الإنسان، ونُبْلِ الأذهان، وقبول الصنائع، وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك، وإحكام التمدن والاعتمار، بما حُرِمَهُ الكثيرُ من الأقطار مما سواها"[٨]...

- هندسة الحدائق:

هناك جزء مهم للغاية من الحضارة العربية الإسلامية تطور كثيرًا في بـلاد الأندلس لم يكتشف بعد هندسيًا وفنيًا وتقنيًا... ولم يتطرق له الباحثون كثيرًا...

وهذا لا يتجلى بوضوح في مجال هندسة الحدائق العامرة والبساتين الخلابة فقط، بل وفي بناء وتصميم النافورات الزخرفية والأحواض والبرك والعيون والمسطحات المائية...

إن معالجة التناسق بين العناصر: الماء والنبات والبناء في حدائق القصور والمساجد الأندلسية لهو ابتكار مستحدث من جميع النواحي لامثيل له، وأن الالتحام والتكامل بين عناصر علم التناسق والتداخل الحضري أكثر انفتاحًا من فن البستنة التقليدية العربية الإسلامية، فهو في ازدهار مُطرد.

ولم يقتصر وجود الحدائق في بلاد الأندلس على القصور والبيوت فقط بل امتدت إلى أفنية العديد من المساجد الأندلسية، فاختصت بزراعة أشجار البرتقال والنارنج على النحو الذي أحدثه الأمير عبد الرحمن بن معاوية عندما أمر المهندس عبد الله بن سلام سنة (١٩٢هـ/٨٠٨م) بغرس صحن جامع قرطبة الكبير بالأشجار والمعروف بفناء البرتقال، وتابع حكام الأندلس هذا التقليد، كما في جامع مالقة الكبير.

ويذكر الرحالة الألماني مونزاي Munzay الذي زار بلاد الأندلس سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م) أن جامع ألمرية كان مغروسًا أيضًا بأشجار الليمون والنارنج، وكذلك شأن جوامع: وادي آش وعمر ابن عيسى في أشبيلية، وحديقة البرتقال في مسجد أشبيلية، وجامع البيازين وجامع القصبة الكبير في غرناطة.

- حديقة جامع قرطبة الكبير:

ذكر **الإدريسي** جامع قرطبة فقال:"وفيها الجامع الذي ليس له بمساجد المسلمين مثيل، بنية، وتنسيقًا، وطولاً وعرضًا"[٩].

ويصف **الحميري** الجامع فيقول:"الجامع المشهور، من أجلّ مصانع الدنيا، كبر مساحة، وأحكام صنع، وجمال هيئة، وإتقان بنية، تهمّم به الخلفاء المروانيون، فزادوا فيه زيادة بعد زيادة، وتتميمًا إثر تتميم، حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف، ونصفه صحن بلا سقف..."[١٠].

• الموقع والوصف:

يقع جامع قرطبة الكبير على منحدر بسيط يشرف على نهر الوادي الكبير، وعلى امتداد الواجهة الشرقية لقصر الخلافة، وتحيط به ومن جوانبه الأربعة أزقة ضيقة. وقد بُني في عهد **عبد الرحمن الداخل**، وأضاف إليه الأمراء والخلفاء الأمويون من بعده أقسامًا عديدة، وعملوا على توسيعه وتحسينه كي يفي بالغرض الذي شيد من أجله[١١]، كما أضاف **الحكم المستنصر** إلى الجامع القنوات التي أجرى فيها الماء العذب إلى السقايات والميضأتين اللتين بناهما على جانبيه: شرقيه وغربيه، وقد أوصل الماء من عين في جبل العروس قرب قرطبة، خرق لها الأرض، وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء، محكمة الهندسة، أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من الدنس، وفي ذلك يقول الشاعر **محمد بن شخيص**: (البسيط)

وقدْ خَرَقتَ بُطُونَ الأرضِ عن نُطَفٍ

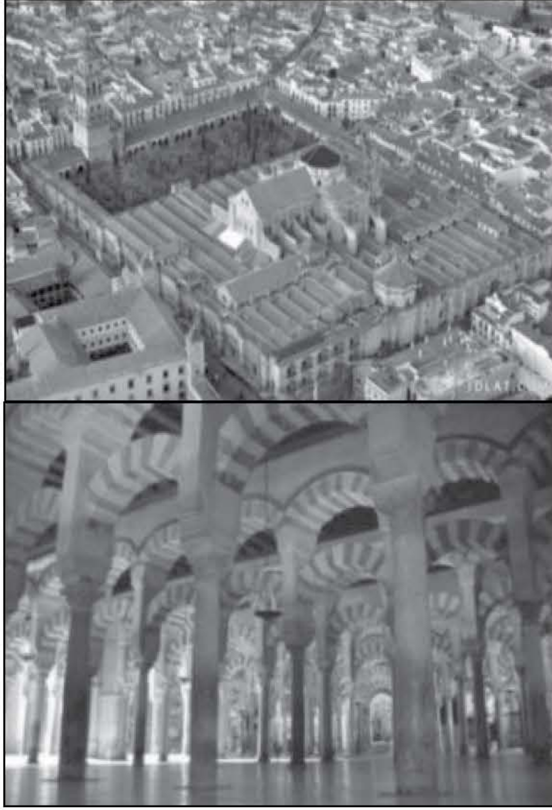
من أعذَبِ الماءِ نحوَالبَيْت نُجْريها[١٢]

الجامع مستطيل الشكل، حوله سور حجري فيه (٢١) بابًا (كبيرًا وصغيرًا) مزدانة ومطعمة بالفسيفساء، وطوله من الشمال إلى الجنوب (١٨٠م)، وعرضه من الشرق إلى الغرب (١٢٥م)[١٣]، ومساحته (٢٢,٥٠٠م٢)، فيه أضخم بيت صلاة بُني في الإسلام. والداخل إلى المسجد تأخذه الروعة، ويهيبه انتشار الأعمدة،

التراث المعماري والعمراني الأندلسي حدائق المساجد أنموذجًا

وكـان تعدادها (١٤٠٩) **عمودًا** من الرخام الجميل[١٤]، ويدهشه العناية الفائقة بالبناء، وتتعب عينيه وهو يتابع الأعمدة الداخلية[١٥] التي تمتد في خط مستقيم مع صفوف **الأشجار** الموجودة خارج الجامع، وبخاصة عندما يركز نظره في القاعات الفسيحة والنوافذ والأقـواس الدّائرة؛ يقول عنها **ديورانت**:"وكانت لكثرة عددها تحير الناظر وتوحي إليه بأن المسجد لاينتهي عند حد"[١٦].

وقامت على الجامع أربع قباب، **القبة الكبرى** فوق صحن الصلاة، أحيطت بساتر من الخشب محلاة بأبدع النقوش، وقبة **المحراب**[١٧] على هيئة نجمة مُثمّنة الـزّوايـا؛ وهي تحتوي في أعلاها على صَدَفَة، وعناصر زخرفتها نباتية محوّرة عن الطّبيعة ذات ألوان ذهبية فريدةً من نوعها، والقبة الثالثة عن يمينه، والقبة الرابعة عن شماله. ويتدلّى من السّقف المصنوع من خشب الأرز (٤٧٠٠) **مصباحًا** من الفضة فيه الزيت المعطر، لتضيء (١٩) رواقًـا طوليًا ذاهبة إلى جدار القبلة، وتتقاطع مع (٣٥) رواقًا عرضيًا موازيًا لجدار القبلة، أضخمها الثريا المعلقة في القبة الكبرى التي فيها المصاحف حيال المقصورة، وفيها (١٠٥٤) قنديلاً فقط. وكان **المنبر** يُعد أجمل منابر العالم طُرًا؛ فيه تسع درجـات، ويتألف من (٣٧,٠٠٠) قطعة صغيرة من العاج والأخشاب الثمينة: كالأبنوس، والأترج، والصندل الأحمر والأصفر، مثبتة كلها بمسامير من الذهب والفضة، ومطعمة بالجواهر. وزينت أرضية وجدران الجامع بالفسيفساء، وبعضها من الزجاج المطلي بالميناء الملون، وكثيرًا ماكانت تحتوي على قطع من الفضة والذهب والقاشاني، وفي الجهة الشمالية للجامع تقع **المئذنة** الشهيرة[١٨]، الشكل (١).



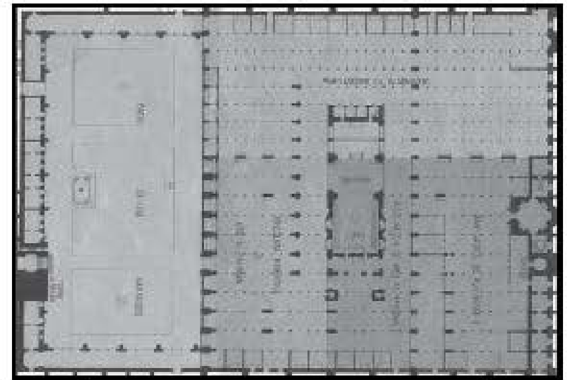
الشكل (١) يبين بعض مكونات جامع قرطبة من الخارج والداخل

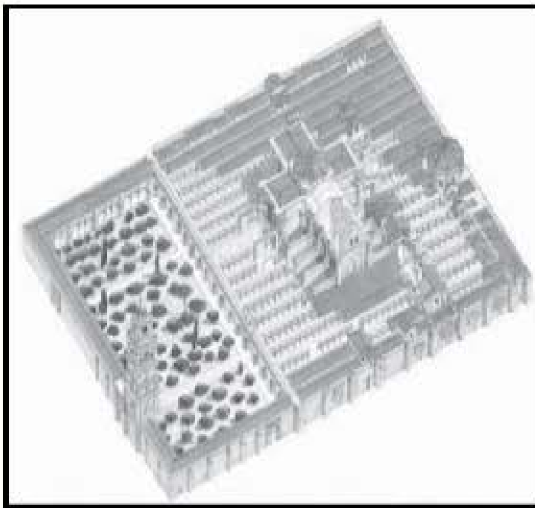
لا شك في أن الفكرة الأولى في ابتكار الشكل المستطيل للجامع وأعمدته، كانت فكرة حسابية هندسية، تركت المجال للخيال؛ حيث يخيل للإنسان أنه يتجول في غابة واسعة الأرجاء، رهيبة السكون، غرست أشجارها بنظام متقن ومحكم، وترتيب جميل، وكأن العقود والأقواس أغصان تترفع من جذوع الأعمدة الأشجار، وتلتوي في ارتقائها إلى القباب، وكأنها تعكس الضوء وتضيء الظلام. ولذلك وصفه أحد الكتاب الإسبان بأنه: مقطوعة رياضية.

• **حديقة الجامع:**

هي حديقة مستطيلة الشكل، وتبلغ مساحتها ثلث مساحة الجامع، ومرصوفة بالقرميد الملون، وتسمى: «**حديقة النارنج**" أو «**حديقة البرتقال**"[١٩]... وكان **عبد الرحمن الثاني** قد وسع الصحن الأصلي عندما بنى إضافاته، وأحاطه بأروقة على الجهات الأربع، وزرع فيه أنواعًا من أشجار الزيتون والسرو والغار. وقد عارضه بعض الفقهاء[٢٠]، واعتبروا وجود الأشجار في الصحن بدعة، ولكن فريقًا آخر أيده مستندًا إلى وجود نخلة في صحن مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

وتتوسط هذه **الحديقة**[٢١] **بركة كبيرة**، كانت مياهها تخرج من خلال فتحات صغيرة عبر قنوات حجرية لتسقي صفوف أشجار البرتقال المزروعة في أحواض حجرية مستديرة، وذات فتحات تتصل بالقنوات المكشوفة، تاركة مساحة كافية من الحديقة لاستعمال المصلين وإقامة فرائض الشريعة الإسلامية. وكان هناك **أربع برك** مزودة **بالنوافير** الجميلة نحتت كل منها من كتلة واحدة من المرمر الأصم بلغ من ضخامتها أن تطلب نقلها من المقلع إلى مكانها في الجامع (٧٠) ثورًا. الشكل (٢).



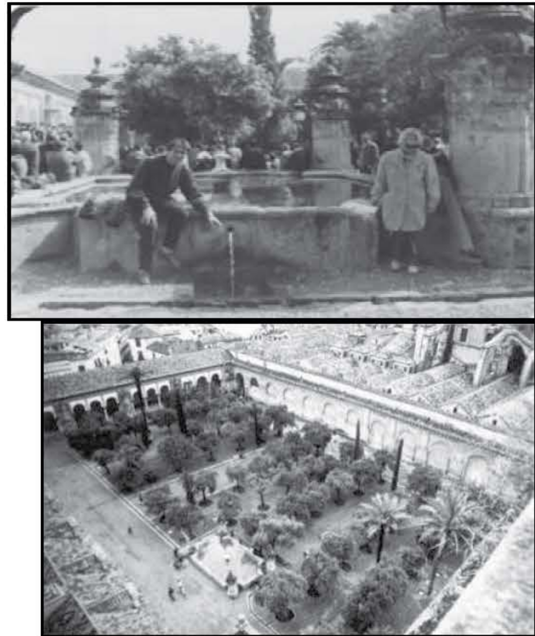


اللون البرتقالي: بناء الداخل، الزهري: توسعة الناصر، البني: توسعة المستنصر، الأزرق: توسعة المنصور، الأخضر: حديقة الجامع.
الشكل (٢) يبين مخطط ومجسم وبعض مكونات جامع قرطبة الكبير

وقد زار مدينة قرطبة سنة (١١٠٢هـ/١٦٩١م) الوزير المغربي محمد بن عبد الوهاب **الغساني** وزير المولى **إسماعيل** سلطان المغرب وسفيره إلى **كارلوس** الثاني ملك إسبانيا، فقال عن جامعها بأنه:"مسجد كبير جدًا في غاية الإتقان وحسن البناء، وبداخله ألف وثلاث مئة وستون سارية، كلها من الرخام الأبيض، بين كل سارية قوس فوق قوس آخر، وله من الأبواب الآن أربعة عشر بابًا، وقد سدّ كثير من الأبواب وغيرها، ومحرابه الإسلامي باق على حاله لم يتغير، ولهذا المسجد صحن كبير جدًا مشتمل، على خصة ماء في وسطه، ويدور بها في سائر الصحن من **أشجار النارنج** مئة وسبعة عشرة شجرة؛ ويقابل موضع المحراب من الصحن منار المسجد، وهو منار كبير بُني بالحجارة، وهذا المسجد هو أكبر مساجد الدنيا وأعظمها صيتًا"[٢٢].

وكان لجامع قرطبة دور علمي وفكري في مختلف عصوره، حتى تحول إلى جامعة حقيقية تضم مئات الآلاف من الكتب والمخطوطات التي وضعت في متناول الجميع. وقد ذكر المستشرق الهولندي **دوزي** (١٨٢٠/١٨٨٣م) النشاطات العلمية بالجامع وسماه «جامعة قرطبة"، وأشاد برعاية الحكم **المستنصر** للعلماء من مختلف الملل والنحل، وبيّن أن إغداقه على العلماء المسلمين الأندلسيين والأجانب النصارى - لم يعرف حدًا، بل كان يشجع الجميع بمن فيهم الفلاسفة الذين طرحوا آراءهم بكل حرية وجرأة. يقول **دوزي**: «أما جامعة جامع قرطبة فقد كانت يومئذ أشهر جامعات العالم، وتم فيها تدريس العلوم المختلفة - الدينية والطبيعية"[٢٣].

وكان عدد العاملين بالجامع والمتصرفين فيه (الإداريين والعلميين) من أئمة وخطباء ومقرئين ومؤذنين وسدنة وموقدين وخدم (١٥٩) شخصًا[٢٤]. الشكل (٣).





الشكل (٣) يبين بعض مكونات حديقة جامع قرطبة: البركة، القنوات، النباتات...

أما من الوجهة الفنية، فقد تعدى أثر هذا الجامع فنون الشرق إلى الغرب وترك على كثير من آثار العالم طابع الإسلام، وبقي صفحة ناصعة من الحضارة العربية الإسلامية لا يشوب وحدتها، إلا ما أصابه من الهدم والإضافة، عند احتلال قرطبة من قبل الإسبان، وعند إقامة كنيسة في وسط بيت الصلاة، بعد استئذان الملك الإسباني **كارلوس** الخامس سنة (١٥٢١م)، استدعى الأمر إزالة السقف الأندلسي، وحين زار الملك المذكور المسجد بعد انتهاء المشروع، ندم على موافقته وأبدى سخطه، وندم لما صرح به، واحتج على إقامة الهيكل في وسط هذا

الفراغ الرائع، وقال للمشرفين على الجامع:"لقد بنيتم هنا ما كان يمكن بناؤه في أي مكان آخر، وقد قضيتم بذلك على ما كان أثرًا وحيدًا في العالم"[٢٥]. وقد وصفه **بعضهم** بأنه: «**أشنع عمل همجي**»[٢٦]. ووصفه الأثري الإسباني **كونتر يراس** بأنه:"**تدنيس للفن**". وكان لجامع قرطبة أثر كبير في تفتح قريحة شعراء وكتّاب أندلسيين معاصرين، منهم الشاعر القرطبي انطونيو غالا، الذي قال:"لو كان عليّ أن أحدد النصب الأثري من بين المتواضع والرائع الذي أثرّ فيّ أكثر، لاخترت ودون تردد مسجد قرطبة، فلو أن حياتي لم تتفتح وتزهر في قرطبة، أو لو أن قرطبة لم تحتفظ بمسجدها لاختلفت حياتي كثيرًا"[٢٧].

إذن: جامع قرطبة[٢٨] فريد من نوعه، ما زال شاهدًا على الإبداع العربي الإسلامي في مجال الهندسة والعمارة والفن..، ولن نجد أثرًا مثله ينطق وحده تاريخ حضارة بأسرها[٢٩].

- حديقة جامع أشبيلية الكبير:

• التاريخ والوصف:

ظهرت فكرة بناء جامع أشبيلية لكي يوازي وينافس جامع قرطبة من حيث اتساعه وروعة زخارفه، ولهذا كان جامع قرطبة مثالاً احتذاه المهندسون الذين صمموا جامع أشبيلية. فقد أمر الأمير **عبد الرحمن** الأوسط سنة (٢١٤هـ/٨٢٩م) ببنائه[٣٠].

واشتمل بيت الصلاة على (١١) رواقًا وكان الأوسط أكثر ارتفاعًا من سائر الأروقة، وفي عام (٤٧٢هـ/١٠٧٩م) أصيبت أشبيلية بزلزال هدم القسم الأعلى من المئذنة، فرممها **المعتمد** بن عباد ودعم البناء.

وفي عام (٥٦٧هـ/١١٧٢م) شرع أبو **يعقوب** يوسف الموحدي (٥٥٩-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م) في توسعة الجامع، وأصبح يتكون من (١٧) رواقًا، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب باتجاه القبلة، وكانت أبعاده (١٥٠م)، وعرضه (١١٠م)، واتخذت السقوف أشكال هياكل هرمية، تتخللها ثلاث قباب مقرنصة؛ يعتقد أنها كانت قائمة فوق المحراب، وتتخلل صحن الجامع ثلاثة أبواب، الأول باب الغفران في مواجهة بيت الصلاة، وبابان جانبيان.

وبعد وفاة أبو يعقوب يعقوب بنى خليفته أبو يوسف يعقوب **المنصور** (٥٨٠-٥٩٤هـ/١١٨٤-١١٩٨م) المئذنة الشهيرة على الجدار الشمالي للجامع، بعدما أسند أعمال البناء إلى عريف العرفاء[٢٩](*) المهندس أحمد **بن باسُة**، ثم إلى المهندس إبراهيم **الغُماري** بعد وفاة الأول، فثابر الغماري على بناء المئذنة إلى أن تم بنيانها في أعقاب انتصار قوات المنصور الموحدي على جيوش قشتالة في موقعة الأرك الشهيرة سنة (٥٩١هـ/١١٩٥م).

ثم أمر **المنصور** بتركيب عمود ضخم في أعلاها كان يحمل أربعة تفافيح (تفاحات) مذهبة والتي بلغ من ضخامتها أن وزن طلائها الذهبي (٢٩,٥ كغ)، فرفعت بحضوره وركبت متوالية بعضها فوق بعض بالسفود الحديدي البارز في أعلى قبة المئذنة، ثم أزيحت عنها الأغشية التي كانت تغطيها خلال فترة الإعداد، فبهرت ببريقها عيون الحاضرين وأثارت إعجابهم؛ وكانت تتألق من بعيد، وتظهر في ضوء القمر وكأنها نجوم في الفلك. والمئذنة مربعة الشكل، ارتفاعها (٩٧,٥م)، وتتكون من طابقين:

التراث المعماري والعمراني الأندلسي حدائق المساجد أنموذجًا

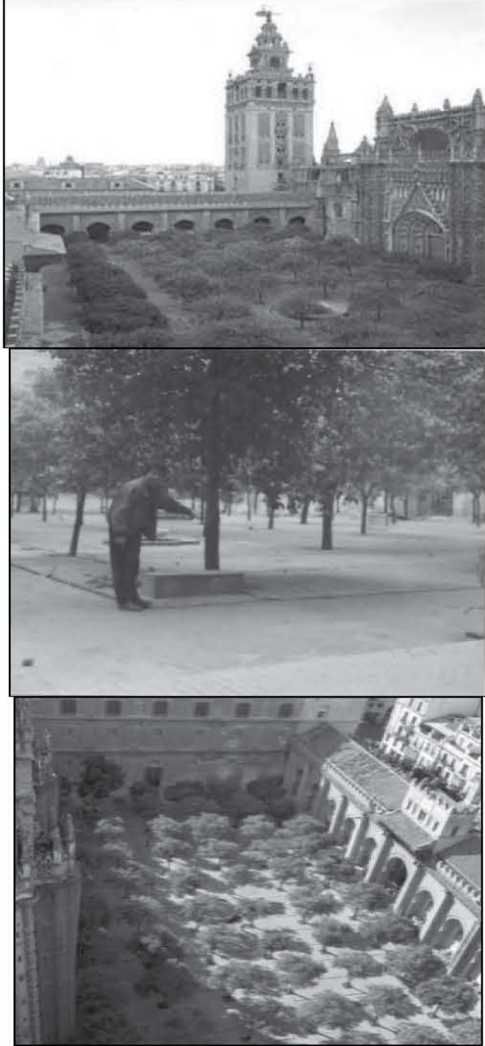
الأول: القسم الأكبر ينتهي بأفاريز أفقيةونقوش عربية إسلامية جميلة.

الثاني: برج صغير الحجم كان يعلوه قبيبة مقرمدةركبت فيها التفاحات المذهبة.

وقاعدة المئذنة مربعة الشكل طول ضلعه (١٣,٦٥م)، بداخله مربع أصغر طول ضلعه (٦,٢٥م)، ويدور حول هذا المربع فيما بينه وبين الجدران الخارجية طريق صاعد يؤدي إلى (٧) غرف مربعة الشكل الواحدة فوق الأخرى، ارتفاع كل غرفة ما بين (٥-٦م)، والممرّ داخل المئذنة منحدر ومـدوّر، ويبلغ عرضه حوالي (١,٥م)، وقد عـدّدت بنفسي الـدورات داخل المئذنة فوجدتها (٣٥) دورة، ومن خصائصها أنها لا يُصعد إليها بدرج بل بسطوح مائلة تتسع للدواب والناس والسدنة، وقد شوهت قمتها، بأن أزيلت وتوجت نهايتها بتمثال كبير، وفي قمة المئذنة (٢٥) ناقوسًا.

• حديقة الجامع:

يقع في الجهة الشمالية للجامع حديقة منتظمة رائعة ما تزال تحتفظ بشكلها وموقعها القديم، وتبلغ مساحتها ربع مساحة الجامع، وقد كسيت أرضيتها بالبلاط الحجري، وقد أقيم في وسطها **نافورة** عربية أندلسية جميلة، وغرست فيها **أشجار** البرتقال والنارنج، وتسمى اليوم: «حديقة البرتقال= حديقة النارنج". ومما يجذب الأنظار، تقنية **ري** الأشجار، فقد أنشئت قنوات مكشوفة ضيقة (١٥سم)، شقت ضمن البلاط الحجري، لتشكل نظامًا هندسيًا منتظمًا **للسقاية**، وتنتهي كل قناة ضمن مساحة مربعة الشكل تحيط بكل شجرة، طول ضلعها حوالي (١م)، وتستمد القنوات مياهها عن طريق قناة جانبية بالإضافة للماء الفائض عن البركة التي تتوسط هذه الحديقة. ويظهر في الجهتين الشمالية والغربية من حديقة لجامع بقايا بعض الأعمدة العربية[٣١]. الشكل (٤).



الشكل (٤) يبين بعض مكونات حديقة جامع أشبيلية: الأشجار، القنوات،.. ومئذنة الجيرالدا.

ـ حديقة جامع الزهراء الكبير:

في الثالث والعشرين من شعبان عام (٣٢٩هـ) اكتمل بناء مسجد الزهراء الكبير على يد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وذلك بعد أربع

سنوات ونصف من البدء فيه، وكان آخر ما وضع في المسجد منبر بديع في نهاية من الحسن، حوله مقصورة عجيبة الصنعة، وكانت أوّل جماعة صلّيت فيه صلاة المغرب، وكان الإمام وأوّل خطيب قاضي قرطبة أبا عبد الله محمد ابن عبد الله بن أبي عيسى (ت ٣٣٩هـ)[٣٢]، ومن الغد صلى الخليفة الناصر فيه للمرة الأولى يوم الجمعة التاسع من شعبان سنة (٣٤٠هـ). وتلاه على الخطبة والصلاة – بعد ابن أبي عيسى- العلامة محمد بن يوسف بن سليمان الجهني القَبْرِيّ (ت٣٧٢هـ)، قبل أن يحولها الناصر إلى القاضي المنذر بن سعيد البلوطي[٣٣].. والذي حضر مع الخليفة الناصر يومًا في الزهراء، فقام أبو عثمان بن إدريس فأنشد للناصر قصيدة منها:

سيشهد ما أبقيتَ أنّك لم تكن
مُضيعًا وقد مكّنت للدين والدنيا
فبالجامع المعمور للعلم والتّقى
وبالزهرة الزهراء للملك والعُليا

اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر بإنجاز سريع لجامع الزهراء في الجزء المنخفض من المدينة حتى يتمكن من الانتقال للزهراء قبل اكتمال البناء، وكان مخططه يطابق مخطط جامع قرطبة. تبلغ أبعاده (٥٠×٣٠م)، وتتوسط صحنه نافورة ينبثق منها الماء، وزرعت بحديقته أشجار النارنج بطريقة منتظمة، وفيه ممر (الساباط) المغطى الخاص لمرور الخليفة إلى الجامع، وهناك عدة بيوت لاستخدام العاملين فيه...

وقد أفاض المقري في وصف هذا الجامع وسرعة إنجازه فقال: "كان يعمل في جامعها حين شرع فيه من حذّاق الفعلة... كلّ يوم ألف نسمة.. منها: ثلاث مئة بنّاء.. ومائتا نجّار... وخمس مئة من الأجراء وسائر الصنائع، فاستتم بنيانه وإتقانه في مدّة من... ثمانية وأربعين يومًا، وجاء في غاية الإتقان من خمسة أبهاء عجيبة الصّنعة، وطوله من القبلة إلى الجوف – حاشا المقصورة - ثلاثون ذراعًا.. وعرض كل بهو من الأربعة المكتنفة لها اثنا عشر ذراعًا.. وطول صحنه المكشوف من القبلة إلى الجوف ثلاثة وأربعون ذراعًا.. وعرضه من الشرق إلى الغرب واحد وأربعون ذراعًا.. وجميعه مفروش بالرخام الخمري.. وفي وسطه فوّارة يجري فيها الماء.. فطول هذا المسجد أجمع من القبلة إلى الجوف – سوى المحراب – سبعة وتسعون ذراعًا.. وعرضه من الشرق إلى الغرب تسعة وخمسون ذراعًا.. وطول صومعته في الهواء أربعون ذراعًا.. وعرضها عشرة أذرع في مثلها.. وأمر الناصر لدين الله اتخاذ منبر بديع لهذا المسجد.. فصنع في نهاية من الحسن، ووضع في مكانه منه وحظرت حوله مقصورة عجيبة الصنعة.. وكان وضع هذا المنبر في مكانه من هذا المسجد عند إكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاث مئة.. ولما فرغ من بناء مسجد الزهراء على ماوصف كانت أوّل جماعة صلّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان، وكان الإمام القاضي أبا عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي عيسى، ومن الغد صلى الناصر فينا الجمعة، وأوّل خطيب بها القاضي المذكور"[٣٤]. الشكل (٥).





الشكل (٥) يبين آثار جامع الزهراء الكبير وحديقته في القسم الأسفل من المدينة

- حديقة جامع الحمراء الكبير:

يقع جامع الحمراء الكبير في وسط هضبة الحمراء جنوب حدائق الروضة، وقد أمر بتشييده السلطان **محمد الثالث** (٧٠٣-٧١٠هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م)، وجعله أفخم جوامع غرناطة. وقد بُني أبدع طراز وريازة عربية إسلامية، وكانت له حديقة كبيرة مزروعة بأنواع مختلفة من الزهور والورود والأشجار. ولما احتل القوط غرناطة تركوا الجامع على حاله فترة ثم هدم سنة (١٥٧٦م) في عهد **فيليب الثاني ابن شارلكان** وأقيمت مكانه مبنى كنيسة سانتا ماريا ذات البرج الشاهق الذي يعلو مباني الحمراء، ولم يبق من مخلفات هذا الجامع سوى مصباح برونزي بديع الشكل يحفظ الآن في متحف مدريد.

- حديقة جامع مالقة الكبير:

شيده الفقيه المحدث أبو عمرو معاوية بن صالح الحمصي واشتهر باسمه في قصبة المدينة. وكان يتألف من فناء واسع يتوسطه مسطح مائي كبير فيه نافورة رخامية وزرعت به أشجار النارنج المقصوصة، يقول **ابن بطوطة**: "ومسجدها كبير الساحة، **شهيرالبركة**، وصحنه لا نظير له في الحسن، وفيه **أشجار النارنج** البديعة"[٣٥]. وتحيط بالفناء أربع ظلات أهمها: ظلة القبلة المكونة من خمسة أروقة، وخمسة أبواب: بابان منها إلى البحر، وباب شرقي (باب القصبة)، وباب غربي (باب الـوادي)، وباب جوفي (باب الخوخة). وتشير المصادر التاريخية أن هذا الجامع حول بعد احتلال مالقة إلى كاتدرائية مالقة الكبرى Malaga´scathedral[٣٦].

- خاتمة:

يعجز الباحث وتعجز أدواته أمام نتاج رجل الحديقة العربي في العصر الأندلسي، ولا يملك الباحث عن فن الحدائق ورجاله سوى استنباط التراث المكتوب والمرسوم والمتجسد في بقايا الحجر، فقد تم التعرف على أنـواع النباتات وتشكيلاتها، كما تم اكتشاف المصادر الطبيعية للمياه وطرائق نقلها وتوزيعها، ونتج عن هذه المعرفة صيغ رفيعة المستوى عن تقدم فن وعلم الحدائق في العصر العربي الإسلامي الأندلسي.

لقد ذهب رجل الحديقة العربي المسلم بعيدًا فطوع النبات أشكالاً مختلفة كست الأرض والحيطان، كما طـوع الماء متدفقًا مستمرًا ومتقطعًا متناغمًا مع المخزون المائي، وجعل من عناصر النبات والماء أجمل الحدائق في الأندلس، ويقف الباحث احترامًا أمام البعد **البيئي والجمالي والاقتصادي** للحديقة العربية الأندلسية

بأشكالها المختلفة ولا يمل من النظر إليها إذ تلتحم حدقة العين بحديقة القصر والمسجد...

وتتسع الصور والمناظر فيعطي إحساسًا بالراحة، عندئذ **يقول الباحث: لقد تفهم رجل الحديقة العربي في العصر الأندلسي ديانته الإسلامية، واستلهم عقيدته السمحة، فتجسدت بعض أفكاره نموذجًا مصغرًا عن جنة الخلد.**

يفهم مما تقدم، أن حديقة المسجد بمفهومها العربي الإسلامي كانت نموذجًا مصغرًا عن الجنة[٣٧]، تكامل فيه: **الماء أصل الحياة... مع النبات أصل الجمال... مع الحجر مستودع التراث...**

إذ حوى الأخير بقية العرب المسلمين في الأندلس التي سلمت من فعل الخراب والدمار..

ولم تكن **البنية المائية**... أقل أهمية من **البنية المعمارية**... إذ أظهرت البنية المائية رمزًا كونيًا... وإعجازًا هندسيًا... في نقل الماء من مصادره الطبيعية: نهرًا كان أم بئرًا أم بحيرة تخزين... إلى تشكيلات حجرية من برك وأحواض بأشكال مختلفة... **لتحقيق غايات بيئية وجمالية من خلال عقيدة تكفل صحة الماء من التلوث**... وعدم افتقاره إلى عنصر الأوكسجين.

وأخيرًا، وظف رجل الحديقة المسلم كل ما يملك في جعل الحديقة قطعة من الجمال...

واستطاع

أن يجعل الحديقة ... في الجامع...

أو يجعل الجامع ... في الحديقة...

الحواشي

١- كان تأثير الرسول ﷺ على تخطيط المدينة كبيراً جداً واستمر هذا التأثير لأن الكثير من المبادئ التي أعتمد عليها في تخطيط وإدارة المدن الإسلامية منذ ذلك الحين حتى نهاية القرن (١٩م) كان يرجع في أساسه إلى هذا النموذج.وبعد توسع الإسلامية تأسست عدة مدن، أهمها: البصرة (٦٣٣م) والكوفة (٦٣٨م) والفسطاط (٦٤٢م). ويتشابه تخطيط هذه المدن إلى حد كبير كما يتشابه مع تخطيط المدينة المنورة مما يظهر تأثيرها على المدن العربية الإسلامية الأولى. إضافة للعديد من المدن التي كانت قائمة قبل الإسلام وأخذت الطابع الإسلامي؛ حيث إن الجامع وسط المدينة ومركز الحكم وإدارة الدولة وبيت المال كما كان الحال في تخطيط مدينة دمشق ومدينة قرطبة وغيرهما.

٢- إنّ فقه العمران يعبّر عن المدنية المتممّة للحضارة، والحضارة: مجموع المفاهيم عن الحياة الدنيا وعما قبلها وعما بعدها، وهي خاصة في كل أمة من الأمم، فللحضارة بعدان: مادي، وروحي وأخلاقي، كما يقول مالك بن نبي. والمدنية: هي الوسائل والأدوات التي تساعد على حلّ مشكلات الحياة، وجعلها أسهل وأفضل، وهي عامة، ولا تختصّ بها أمة من الأمم، وليس لها علاقة بالعقائد، وتقدم العمران مظهر من مظاهر المدنية؛ لأنّه يعبر عن الجمال والإكمال والإتقان وتحقيق الحاجات الأساسية في عالم البناء... وللعمران مساس مباشر بالحياة الاجتماعية، فإذا كان منظماً متقناً ومتيناً وكافياً، عاش الناس في راحة واستقرار وأمان، وإذا كان مختلاًّ في أحد جوانبه، أربك السكان والمنتفعين به، وأدى إلى مشاحنات ومنازعات، لا يحسمها غالباً إلا اللجوء إلى محاكم القضاء المختصة.

وفقه العمران لايوجد تشريع إسلامي يتناول هذا الموضوع؛ لأنَّه موضوع دنيوي محض، وإن كان له انعكاسات على حياة الناس، عملاً بالحديث النبوي الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهما: "أنتم أعلم بأمرِ دنياكم"، وفي هذا تفويض للناس في أمر العمران، وسائر مصالح الدنيا في عالم الاقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة، وعالم الاجتماع من بناء: أسرة، أو مدرسة، أو جامعة، أو معمل، أو انتقال في وسائل المواصلات وغير ذلك، وهو أيضاً دليل واضح على ضرورة العناية بمختلف العلوم الدنيوية، وعلى إحالة قضاياها إلى عقول الأمة وممارساتها، علماً بأن تعلم هذه العلوم أحد فروض الكفاية.

٣- Hakim, Besim S. 1986. Arabic-Islamic cities: Building and planning principles. London Kegan Paul International؛ وعزب خالد، التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية؛ والباشا حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية؛ والدليمي خلف، التخطيط الحضري أسس ومفاهيم، ص٣٠.

٤- لا تختشوا من الفعل (خشى) فقد تطور في شكله المزيد في العامية الأندلسية ليدل على شدة الخوف، طبقاً لقاعدة زيادة المبنى لزيادة المعنى.

٥- المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٦٨٠-ع.

٦- المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٦-ع.

٧- الحميري، الروض المعطار، ص٩.

٨- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٢٦.

٩- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٣٤.

١٠- الحميري، الروض المعطار، ص٤٦٥.

١١- بُني على عدة مراحل، بناء عبد الرحمن الداخل، ووسعه عبد الرحمن الناصر, ثم وسعه الحكم المستنصر، ثم وسعه المنصور بن أبي عامر.

١٢- ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ٢٤٦.

١٣- يذكر ابن سعيد أن طوله /٣٣٠/ ذراعاً؛ الصحن المكشوف عنه /٨٠/ ذراعاً، والباقي مُقرمّد، وعرضه /٢٥٠/ ذراعاً. المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٥٠-ح.

١٤- ومبنية أيضاً من حجر اليشب، والحجر السماقي، والمرمر.

١٥- كانت تخرج من تيجان الأعمدة عقود مختلفة الأنواع، بعضها نصف دائري، وبعضها مستدق، وبعضها على شكل حدوة الفرس، ولمعظمها أوتاد من حجارة حمراء أو بيضاء بالتناوب. ديورانت، قصة الحضارة، ج٢٢، ص٤٧٥.

١٦- أفرغ الفنان المسلم على المحراب كل ماوُهب من حذق وإبداع، وهو تجويف سباعي الأضلاع محاط بالذهب ومزدان بالفسيفساء المطلية بالميناء، ومزخرف بقطع صغيرة من الرخام وبنقوش من الذهب على أرضية قرمزية وزرقاء، يعلوه رباط من الأعمدة الرفيعة الرشيقة، والعقود المزدانة بالأزهار كحلية معمارية. وتعد هذه القبة أجمل القباب الإسلامية، وفيها بعض الآيات القرآنية، وعبارات الحمد والشكر، المنحوتة داخل إطارات. ويعلو المحراب سبع نوافذ؛ تعبيراً عن السموات السبع. انظر: باشا، العمارة والآثار؛ ومورينو، مانويل غومس، الفن الإسلامي في إسبانية؛ وشاك، فون، الفن العربي في أسبانيا وصقلية.

١٧- أنشأها عبد الرحمن الناصر، وهي على هيئة برج ضخم له شرفتان للأذان يصعد إليها بسلم

داخلي، وقد حولت إلى برج أجراس.

١٨- وهي تسمية حديثة أطلقت بعد احتلال الإسبان لقرطبة وتحويل الجامع إلى كنيسة.

١٩- راجع: ابن قدامة، المغني، ج٥، ص٣٧٠؛ وابن الهمام، فتح القدير، ج١، ص٤٢١؛ والفتاوى الهندية، ج١، ص١١٠.

٢٠- وقد أصبحت مياهها منهلاً لأبناء الحي بعد أن كانت لأبناء السبيل ولوضوء المصلين في العصر العربي الإسلامي.

٢١- عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية، ص٢٥؛ ومؤنس، حسين، رحلة الأندلس. ويوجد حالياً /٨٥٦/ عموداً فقط.

٢٢- دوزي، تاريخ مسلمي الأندلس، ج١، ص١٢٣؛ ولوبون، حضارة العرب.

٢٣- وصل عدد طلاب العلم جامع قرطبة (٤٠٠٠) طالب، إذ لم يتوانى ملوك أوروبا في طلب الموافقات من أمراء وخلفاء المسلمين لقبول أولادهم وأقربائهم في المدارس والجامعات العربية الأندلسية. وتم توفير الخدمات المختلفة لهم مثل: الإقامة والطعام. ومن أشهر المسيحيين الذين تعلموا في قرطبة البابا سلفستر الثاني الذي تلقى العلم في قرطبة عندما كان راهباً. وكان الجامع وسيلة الإعلام الأساسية للدولة، حيث يتم من خلاله إعلان القوانين والمراسيم الجديدة، والإعلام بالمناسبات الدينية وتقام به الاحتفالات. وكان مقراً لقاضي القضاة. وكانت فيه مقصورة لبيت المال، ودار للصدقات، تتولى أمر الفقراء، وكانت به مقصورات للأئمة والخطباء والمؤذنين، ومساكن للفقراء وعابري السبيل، وأماكن لتحفيظ القرآن الكريم.

٢٤- عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية، ص٢٤.

٢٥- المرجع السابق، ص٢٣.

٢٦- عنان، الآثار الأندلسية، ص٢٥؛ وهونكه زيغريد، شمس العرب، ص٢٥١.

٢٧- بلغ عدد مساجد قرطبة أيام عبد الرحمن الداخل (٩٠) مسجداً، ثم أصبحت (٣٨٣٧) مسجداً. المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٤٠-ح.

٢٨- احتل قرطبة فرناندو الثالث سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م)، وتحول جامع قرطبة إلى كاتدرائية La Catedral، وحمل اسم "سانتا ماريا الكبرى- أو القديسة مريم"، وتحولت المئذنة الشهيرة إلى برج للأجراس، وتم هدم بعض المعالم بالمسجد الكبير.

٢٩- يوجد في متحف الآثار بأشبيلية قطعة من عمود رخامي فيه نقش كوفي يشير إلى ذلك ونصه: "يرحم الله عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل الأمر ببنيان هذا المسجد على يد عمر بن عبدس قاضي أشبيلية في سنة أربع عشر ومئتين".

٣٠- عريف العرفاء: أي رئيس المهندسين.

٣١- لما احتل الإسبان مدينة أشبيلية سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) تحول الجامع إلى كنيسة "سان سلفادور". وفي عام (١٣٥٦م) ضرب زلزال مدمر مدينة أشبيلية فسقط القسم العلوي من المئذنة ووقعت منها تفافيحها، فرمم وجعل برجاً للأجراس. وفي عام (١٥٠٤م) ضرب زلزال آخر أشبيلية فسقط جانب كبير من أعلى المئذنة. وفي عام (١٥٥٨م) قام المهندس الإسباني هرنان رويث ببناء برج علوي مكان القسم المهدوم، واستمر العمل (١٠) سنوات، ونصب في أعلى البناء الجديد تمثالاً من البرونز قام بصنعه برتولومي موريل سنة (١٥٦٧م) يدور مع الريح أطلق عليه اسم "خيرالديو" أي تبين اتجاه الرياح أو دوارة الهواء ثم تحور الاسم إلى "الخيرالدا" أو "الجيرالدا". لوبون غوستاف، حضارة العرب، ص٣٥٩؛ وعنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية، ص٤٢.

التراث المعماري والعمراني الأندلسي حدائق المساجد أنموذجًا

٣٢- القاضي ابن أبي عيسى (٢٨٤-٣٣٩هـ): كان فقيهاً جليلاً عالماً موصوفاً بالعقل والدين، وله رحلة إلى المشرق في طلب العلم، وهو كذلك من أهل الأدب والشعر والمروءة والظرف، وولد في قرطبة، وتوفي في الغزو. ومن رجالات الزهراء أيضاً العلامة القارئ اللغوي أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم (٢٨٠-٣٥٦هـ)، والذي هاجر من بغداد إلى الأندلس سنة (٣٣٠هـ)، قاصداً عبد الرحمن الناصر الذي أكرمه وقرّبه، وفي جامعها كان يقرأ على طلابه أشهر كتبه: "كتاب الأمالي".

٣٣- أبو الحكم (٢٧٣-٣٥٥هـ/٨٧٧-٩٦٦م): قاضي وشاعر وخطيب أندلسي، عاصر عهد الدولة الأموية في الأندلس، له كتب مؤلفة في القرآن والسنة والرد على أهل الأهواء والبدع. ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله على الصلاة والخطابة في المسجد الجامع في الزهراء، ثم ولاه قضاء الجماعة في قرطبة بعد وفاة القاضي محمد بن عيسى. وأقره على ذلك الخليفة الحكم المستنصر بالله من بعد أبيه. وتأتي نسبته إلى مدينة فحص البلوط الأندلسية. الزركلي خير الدين، الأعلام.

٣٤- المقري، أزهار،ج٢، ص٢٦٥؛ ونفح الطيب، ج١، ص٥٦٦-ح. وقد عثر مختصون في الآثار الإسلامية برئاسة بايخو أنتونيو سنة (٢٠٠٦م) على مسجد آخر في ضواحي الزهراء والذي يقدم معطيات مهمة حول حجم وأهمية المدينة. وتشير المعطيات أنه جرى بناؤه قبل تشييد سور المدينة. وهذا يدل على أن السكان كانوا يؤدون الصلاة به دون الذهاب إلى مسجد المدينة.

٣٥- ابن بطوطة، رحلة، ص٦٦٩؛ وبروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص١٧٧؛ وزيارة ميدانية قمنا بها لمدينة مالقة ومعالمها الأثرية ومنها هذا الجامع.

٣٦- بعد احتلال مالقة أمر حكام الإسبان ببناء كاتدرائية كبيرة فوق الجامع سنة (١٥٢٨م)، ولم يتم هدمه بالكامل بل تركوا بعض الحوائط والقباب التي لا يمكن تعويضها معمارياً وكملوا البناء فوقها، وانتهوا سنة (١٧٢٨م) لذلك نجد اختلافاً وتنوعاً ملحوظاً بالأسلوب المعماري: الإسلامي والكلاسيكي والباروني.

٣٧- القرآن الكريم يذكر في أكثر من سورة تصويراً رائعاً للحدائق المثالية، فهي من وجهة نظر الإسلام العطاء والمأوى ونهاية المطاف للمؤمنين في الآخرة، ورغم تصويرات القرآن الكريم فهي تعطي فقط لمحات وومضات عن مشاهد هذه الجنة الموعودة، إلا أنها كانت مصدراً أساسياً للإلهام الفني لغالبية مصممي الحدائق العربية الإسلامية. فالقرآن الكريم وأحاديث الرسول العربي r المصادر الأساسية لتصور جنان الخلد، ومنها نبعت أكثر أفكار تصاميم الحديقة العربية الإسلامية للحياة الدنيوية.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطنجي (ت٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- ابن عذارى، أبو عبد الله أحمد المراكشي (ت٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط١، تحقيق ج. كولان، ليفي بروفنسال، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.
- ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت٦٢٠هـ)، المغني، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٣، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت٨٦١هـ)، فتح القدير، دار الفكر، د.ت.
- الإدريسي الشريف، أبو عبد الله محمد بن محمد السبتي (ت٥٦٢هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق دوزي ودي غويه، ليدن، ١٨٦٦م.
- الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ط١، أوراق شرقية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
- بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، تحقيق محمود عبد العزيز سالم ومحمد حلمي، ط١، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١٢م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.
- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق إحسان عباس، دار القلم دار السراج، بيروت، ١٩٨٠م، ص٧٤٥.
- الدليمي، خلف حسين، التخطيط الحضري: أسس ومفاهيم، ط١، الدار العلمية الدولية، عمان، ٢٠٠٢م.
- دوزي، رنهرت، تاريخ مسلمي إسبانيا، ج١، دار المعارف، ١٩٦٣م، ج٢، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، مطابع الدجوي، القاهرة، ١٩٧١م.
- الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.
- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م، ص٤٥٦.
- سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م، جزئين.
- سالم، المساجد والقصور بالأندلس، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م، ص١٨٩.
- شاك، فون، الفن العربي في أسبانيا وصقلية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٢٣٢.
- عنان، محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، ط١، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ص٣٧٥.
- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ٦ أجزاء.
- عزب، خالد، التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية، دار الكتب العلمية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- غارودي، روجيه، الإسلام في الغرب، ترجمة محمد مهدي الصدر، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٥٤.
- الفتاوى الهندية، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، ط٢، دار الفكر، ١٣١٠هـ.
- فيرنيت، خوان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة نهاد رضا، شارك في الهيئة الاستشارية محمد هشام النعسان، ط١، دار أشبيلية، دمشق، ١٩٩٧م، ص٥٦٤.
- لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله الغرناطي (ت٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ٤ أجزاء.
- لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٧٨٤.
- المقّري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت١٠٤١هـ)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.
- المقّري، أبو العباس، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر،

بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٨٨م، رمزنا له بـ(ح).

- المقّري، أبو العباس، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٩م، مصر، رمزنا له بـ(ع).
- مؤنس، حسين، رحلة الأندلس، ط٣، الدار السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٥٠.
- مورينو، مانويل غومس، الفن الإسلامي في إسبانية، ترجمة لطفي عبد البديع والسيد عبد العزيز سالم، القاهرة، ١٩٦٨م.
- النعسان، محمد هشام، ابن الخطيب وعمران غرناطة الأندلسية، الندوة العالمية الدولية:"لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي"، معهد ثربانتس الإسباني، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- النعسان، محمد هشام، دور العرب في تطوير العناصر التكوينية للحدائق وانتشارها في أوربا، المؤتمر الدولي لتاريخ العلوم عند العرب (تواصل الحضارات)، ميونيخ، ألمانيا، ٢٠٠٣م.
- النعسان، محمد هشام، فن تنسيق الحدائق عند العرب، من أبحاث الندوة العالمية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، غرناطة، إسبانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٤٣٢.
- النعسان، محمد هشام، المدخل إلى علم الحدائق تراث تقاليدي عند العرب، الندوة العالمية السادسة لتاريخ العلوم عند العرب، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٦م.
- النعسان، محمد هشام، هندسة النوافير في الأندلس، الندوة العالمية السابعة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- هونكة، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال شوقي، دار صادر، بيروت.- **جولات وزيارات ميدانية عديدة، وأرشيف خاص.**



مخطوطتان في فضائل البلاد وفضائل السلطان من عصر المماليك الجراكسة

(الدر الثمين المنظوم لابن الصيرفي- سيرة المؤيد لابن ناهض)

د. محمد جمال حامد الشوربجي

مصر

يعد كتاب "الدر الثمين المنظوم فيما ورد في مصر وأعمالها بالخصوص والعموم" لابن الصيرفي (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) واحد من الكتب التي عنيت بتاريخ مصر وفضائلها، وقد سبقهُ إلى هذا الفنّ عدد من أعلام مؤرخي مصر الإسلامية أمثال ابن عبد الحكم (ت:٢٥٧هـ/٨٧٠م)، وعمر بن يوسف الكندي (ت: بعد سنة٣٥٥هـ/٩٦٥م)، وابن زولاق (ت:٣٨٧هـ/٩٩٧م)، والقضاعي (ت:٤٥٤هـ/١٠٦٢م) وغيرهم، وعلى كتاباتهم اعتمد مُؤلِف الكتاب، والكتاب يُعتبر بمثابة مُختصر لكتاب فضائل مصر وأخبارها وخوصها لابن زولاق مع بعض النقول من كُتب هذا اللون من الكتابات.

أهمية الكتاب:

هذا الكتاب على بساطة معلوماته المتعلقة بتاريخ مصر قبل الإسلام شأنه في ذلك شأن من سبقوه ممَّن ذكرناهم إلا أنَّ فائدتهُ تكمن في التعريف بثقافة ابن الصيرفي التاريخية الذي لم يلق الكثير من العناية به قديمًا وحديثًا. كما أنه احتفظ لنا بنقول من مصادر لا نعلم عنها اليوم شيء مثل كتاب "العجائب" لابن أبي الصلت، أو نقول غير موجودة في النسخ المطبوعة اليوم كنقولاته من تاريخ الطبري. أضف إلى ماسبق أن هذا الكتاب جزء من مشروع ابن الصيرفي لكتابة تاريخ مصر منذ ما قبل الإسلام حتى عصره.

سبب تأليف الكتاب:

قال المُؤلِّف في سبب تأليفهِ للكتاب: "سنح الخاطر القاصر، الفكر الفاتر في جمع مختصر لطيف ومؤلف ظريف مشتمل على البعض من محاسن مصر، وما ورد فيها من كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن كلام العلماء والمؤرخين، وكلام الحكماء الأقدمين، وما امتازت به على

غيرها من البلاد، مع ما حوته من العجائب في كل واد وناد، فجاء بعون الله مجموعاً حسن بما أنعم الله به ومنّ".

تنظيم مادة الكتاب:

وعن ترتيب الكتاب قال: "ورتبته على عشرين بابًا، الباب الأول "أن مصر وأهلها في رباط إلى يوم القيامة، والوصية بقبط مصر وسكانها، وأن أرضها أطيب الأراضي"، والباب الثاني "فيما ورد فيها من البركة والرخاء وأن البركة قسمت عشرة أجزاء تسعة في مصر وواحدة في جميع الأمصار، والتنبيه بذكرها في عدة مواضع من الكتاب العزيز، وما ورد في نيلها المبارك السعيد، وما نقلته العلماء فيه من القول المجيد، ودعاء آدم عليه السلام لها بالرحمة والخصب"، والباب الثالث "في ذكر من ولد من الأنبياء بمصر عليهم السلام"، والباب الرابع "في ذكر من كان بها من الصديقين"، والباب الخامس "في ذكر من صاهر فيها من الأنبياء عليهم السلام"، والباب السادس "في ذكر الحكماء وما ظهر من حكمهم وآثارهم"، والباب السابع "في ذكر من ملك مصر وأعمالها قبل الطوفان"، والباب الثامن "في ذكر مقبرة هرمس الحكيم وولده وبنائهما الهرمين"، والباب التاسع " في ذكر من ملك مصر وأراضيها بعد الطوفان"، والباب العاشر "في ذكر من خربوا الدنيا وغلبوا على مصر".

الباب الحادي عشر "في ذكر من ملك مصر في الإسلام"، والباب الثاني عشر "في ذكر الرباطات التي بمصر"، والباب الثالث عشر "في ذكر العمل بمصر وأعمالها في المساجد"، والباب الرابع عشر "في ذكر كور مصر وأعمالها وما فيها"، والباب الخامس عشر " في ذكر مقياسات مصر للنيل السعيد"، والباب السادس عشر "في ذكر أموال مصر وارتفاع خراجها"، والباب السابع عشر "في ذكر خراج مصر ومقداره"، والباب الثامن عشر "في ذكر ما تختص به مصر دون غيرها"، والباب التاسع عشر "في ذكر عجائب مصر وغرائبها"، والباب العشرين "في ذكر البرابي"، ولكن المُؤلِّف لم يلتزم بعناوين هذه الفصول فزاد فيها وأنقص وغير، وليس هذا التغيير من وضع النساخ فجميع النسخ متفقة على هذا إلا في النادر.

مصادر الكتاب ومنهجه في النقل:

اعتمد المُؤلِّف على عدد من المصادر ذكر بعضها وأعرض عن بعض منها: كتاب "فضائل مصر المحروسة" لابن الكندي (ت:بعد٣٥٥هـ/٩٦٥م)، وكتاب "فضائل مصر وأخبارها" لابن زولاق (٣٨٧هـ/٩٩٧م)؛ وهما من أكثر الكتب التي اعتمد عليها المُؤلِّف ولم يشر إليها، وكتاب "تاريخ الأمم والملوك" للطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، وكتاب "فتوح مصر وأخبارها" لابن عبد الحكم (ت:٢٥٧هـ/٨٧٠م)، وكتاب لعله "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي (ت:٣٤٦هـ/٩٥٧م)، وكتاب "العجائب" لابن أبي الصلت(ت:٥٢٩هـ/١١٣٤م). هذا بالإضافة إلى كتاب لابن الكلبي (ت:٢٠٤هـ/٨١٩م) لم يشر إلى اسمه.

وفيما يخص منهجه في النقل فقد يذكر المُؤلِّف ولا يذكر الكتاب فيقول مثلاً:"قال الطبري، و"قال ابن عبد الحكم"، و"قال المسعودي"، وأحياناً يذكر المُؤلِّف والكتاب فيقول: "ذكره صاحب كتاب العجائب ابن أبي الصلت رحمه الله"، وفي كثير من الأحيان يذكر المصدر الأصلي للخبر ولا يذكر المصدر الذي نقله منه فيقول: "قال عبد الله بن عمرو"، و"قال: كعب الأحبار"، ولا يذكر أنه نقله من ابن زولاق أو الكندي ونحو ذلك.

أما أسلوبه في كتابة هذا الكتاب؛ فإنه يكتب بالفصحى رغم أنه في كتاباته يميل إلى العامية كما في كتاب "إنباء الهصر" مثلاً؛ وهذا مرجعه إلى أنَّ المُؤلِّف ينقل نصوص من تقدموه في هذا الفن؛ وقد كُتبت بالفصحى.

ترجمة المؤلف:

هو نور الدين علي بن داود بن إبراهيم القاهري الجوهري الحنفي، كان يعرف بابن داود وابن الصيرفي، ولد في ١٤ جمادى الآخرة سنة٨١٩هـ/١١أغسطس سنة ١٤١٦م بالقاهرة، ونشأ في كنف أبيه الذي كان يعمل صيرفياً.

وقد ذكر شمس الدين السخاوي(ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) عنه أنه: حفظ الكثير من الكتب الفقهية، وألفية النحو[١]، وعرض محفوظاته على نظام الدين يحيى الصيرامي[٢]، ومحب الدين بن نصر الله الحنبلي[٣] وغيرهم، وجود القراءات على الزراتيتي، وقرأ في أصول الدين على أمين الدين الأقصرائي[٤]، ولازم ابن حجر العسقلاني[٥] في مجالس الإملاء وغيرها، ولكن عنايته بملازمة محيي الدين الكافيجي[٦] كانت أكبر؛ وقد أكثر من ذكره في كتابه "إنباء الهصر"، وخلع عليه نعوت الجلال والتعظيم[٧].

استقر ابن الصيرفي في خطابة جامع الظاهر[٨] بعد أن تنازل له عنها الشمس الطنتدائي[٩]، وصلى ابن حجر خلفه في الجامع، ولعل هذا أثار غيرة الشمس السخاوي فكان أحد أسباب النقد الشديد والازدراء الذي وجهه إلى ابن الصيرفي. كما عُيِّنَ ضمن صوفية الخانقاه البيبرسية[١٠]، والخانقاه البرقوقية[١١].

ولـمّا توفى والده سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م اشتغل في وظيفة المكس بسوق الجوهريين. ثم ناب في القضاء عن ابن الشحنة[١٢] في سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م، وعمل بحوانيت الشهادة، فلما عزل من نيابة القضاء عاد إلى سوق الجوهريين ليعمل بمهنة الصيرفة. كما اشتغل بالنساخة فنسخ عدد من الكتب مثل كتاب "الدرر الكامنة"، و"إنباء الغمر" لابن حجر العسقلاني، وبعض كتب ابن تغري بردي وغيره.

تقرب ابن الصيرفي من البدر بن مزهر كاتم السر[١٣]، والأمير يشبك من مهدي الدوادار[١٤]، واقترح عليه قطب الدين الخضيري[١٥] عمل كتاب في سيرة الأشرف قايتباي،وقد تحصل ابن الصيرفي على قدر من المال فابتنى منه عدد من الدور بحكر الشامي، وحج وزار بيت المقدس.

توفى ابن الصيرفي سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، وقد أكثر الشمس السخاوي من الحط عليه في كتابه "الضوء اللامع" كما هي عادته مع أعلام عصره، وتابعه على هذا ابن إياس الحنفي فقال

في حقه: "يكتب التاريخ مجازفة لا عن قائل ولا عن راوٍ، وله في تاريخه خبطات كثيرة، وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه، وكان لا يخلو من فضيلة"[١٦].

ترك لنا ابن الصيرفي عددًا من التصانيف منها: كتاب "نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان"[١٧] وهو كتاب ضخم ألم فيه بتاريخ العرب قبل الإسلام وانتهى فيه إلى عهد السلطان جقمق، وقسمه إلى أجزاء حسب العصور، سمى قسمًا منه الجوهرية وهو خاص بالسيرة النبوية، وقد تعددت إشارته إلى ذلك العمل الضخم، والجزء الأول من هذا الكتاب مفقود، والثاني سيرة الرسول المعروف بـ"الجوهرية"، ومنه نسخة بخط يده في مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٣٧، في ٤٠٠ورقة[١٨]، وقد فقدت الأجزاء التي تلت هذا الجزء، ولم يصلنا سوى الجزء الخاص بدولة المماليك الجراكسة الذي حققه الدكتور حسن حبشي، وقد ذكر ابن الصيرفي أن القاضي حسام الدين بن حريز المالكي[١٩] كتب له تقريظ على هذا الكتاب[٢٠].

كما قرظه له عدد من الشيوخ كالأقصرائي الذي كتب على الجزء الثاني من كتابه "نزهة النفوس والأبـدان": "نظر في هذا المصنف البديع والعقد الفريد وتبصر واستفاد منه، وشكر مؤلفه؛ حيث أنبأ ما عملته يداه بالاجتهاد ما فيه نفع لكافة العباد، جعله الله زادًا لمعاده، ونشر علمه في بلاده من أقل عباد الله حرمًا وأعظمهم جرمًا يحيى بن محمد الأقصرائي الحنفي عامله الله بلطفه الوفي الخفي، حامدًا ومصليًا ومسلمًا، وختم له وللمؤلف وللمسلمين بخير وعافية بلا محنة"[٢١]، ويتعجب السخاوي من تقريظ العلماء والمشايخ لهذه الكتب، وهو تعجب الحاسد.

وكتاب "إنباء الهصر بأنباء العصر" وقد بدأه ابن الصيرفي بسنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م أما نهايته فلا نعلم أين توقفت؛ لأن النسخة الموجودة غير كاملة فقد ضاعت منها الأحداث الأخيرة من سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م حتى أوائل سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م التي لم يصلنا من وفياتها سوى جزء من ترجمة برهان الدين البقاعي[٢٢]؛ حيث ضاع بقيتها مع أوائل سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م التي لم يصلنا منها سوى جزء من شهر صفر[٢٣]، أضف إلى ما سبق كتاب "سيرة السلطان قايتباي"[٢٤]، بالإضافة إلى مُؤلِّفِهِ الذي نحن بصدد التعريف به.

عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف:

ورد لهذا المخطوط عنوانان هما: "الدر الثمين المنظوم فيما ورد في مصر وأعمالها بالخصوص والعموم"، وقد ورد هذا العنوان بمخطوطات المكتبة الأهلية بباريس الثلاث، وورد في مقدمة الكتاب قال المُؤلِّف: "وسميتهُ الدر الثمين المنظوم فيما ورد في مصر وأعمالها بالخصوص والعموم"، لهذا اعتمدنا هذا العنوان.

أمَّا "الدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم" فقد ورد في مخطوط مكتبة جامعة برنستون، وفيما يخص مخطوط دار الكتب المصرية فقد جاء في الفهرس "الدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم، ويسمى الدر الثمين المنظوم فيما ورد في مصر وأعمالها بالخصوص والعموم"، وبالطبع لا يعتد

بهذا العنوان إذا كان المؤلف قد نص صراحةً على عنوان كتابه في مقدمة الكتاب، وفيما يخص نسبة الكتاب إلى ابن الصيرفي فقد جاء على صفحة العنوان ومقدمة جميع النسخ الخطية أنه لعلي بن داود الخطيب الجوهري الحنفي.

النسخ الخطية الموجودة في مكتبات العالم ووصفها: استطعت الوقوف على عدد من نسخ هذا الكتاب منها:

١- مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٨١٢ عربي، كتبت بخط نسخ واضح مضبوط، كتبها لنفسه عبد المنعم بن محمد بن إبراهيم البحيري الحنفي، وفرغ من نسخها في شهر ذي الحجة سنة ١٠١٩هـ/ فبراير١٦١٠م، وهي مقابلة على النسخة المنقولة عنها، وبها نظام التعقيبة، وتقع في ٤٥ ورقة، ومسطرتها ١١سطر، وبمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عنها تحت رقم ٢٤١٧ تاريخ.

وفيما يخص خوارج النص فقد جاء على صفحة العنوان حديثان الأول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وعلماء الأمراء، وقراء الأسواق، وجيران الأنبياء"، والثاني: عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آفة العلم من فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل"، وجاء في صفحة الخاتمة: طالع هذا الكتاب المبارك الفقير محمد البوشي غفر الله له وللمسلمين".

٢- مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٢/٢٤٤٦ عربي، كتبت بخط نسخ واضح، علقها كاتبها عبد الفتاح الوسمي في أوائل رجب سنة ١١٠٥هـ/ أواخر فبراير١٦٩٣م، وبها نظام التعقيبة، وصفحاتها مجدولة، وبأطرافها أثر رطوبة، وهي ضمن مجموعة من ورقة ٢٩-٥١، وتتفق أولها وآخرها مع النسخة الأولى في بعض الألفاظ والعبارات، تقع في ٢٣ ورقة، ومسطرتها ٢١سطر، وبمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عنها تحت رقم ٢٤١٨ تاريخ.

وفيما يخص خوارج النص فقد مُلئت صفحة العنوان بكلام في وصف علاج بعض الأمراض وما يتطلب ذلك من النباتات ونحوها، وفي نهاية المخطوط الكثير من الفوائد الغير مرتبطة بالنص في اللغة ونحوها.

٣- مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٨١٣ عربي، كتبت بخط نسخ واضح مضبوط وقابلها على النسخة المنقولة عنها عمر العريان الحلبي بالقاهرة سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م، وبها نظام التعقيبة، وقد كتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر، أما المتن فقد كتب باللون الأسود، وتقع في ٤٠ ورقة، ومسطرتها ١٥سطر، وبمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عنها تحت رقم ٢٤١٩ تاريخ، وأعتقد أن هذه النسخة كتبت من نسخة باريس رقم ١٨١٢ عربي، أو كتبت من الأصل الذي كتبت منه لأن الفروق بينهم نادرة جدًا، والأخطاء نادرًا ما تختلف في النسختين.

٤- مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦٣تاريخ، نسخة في مجلد بخط عبد القادر بن حسام الواحي العلموني الحجاجي الأقصري فرغ

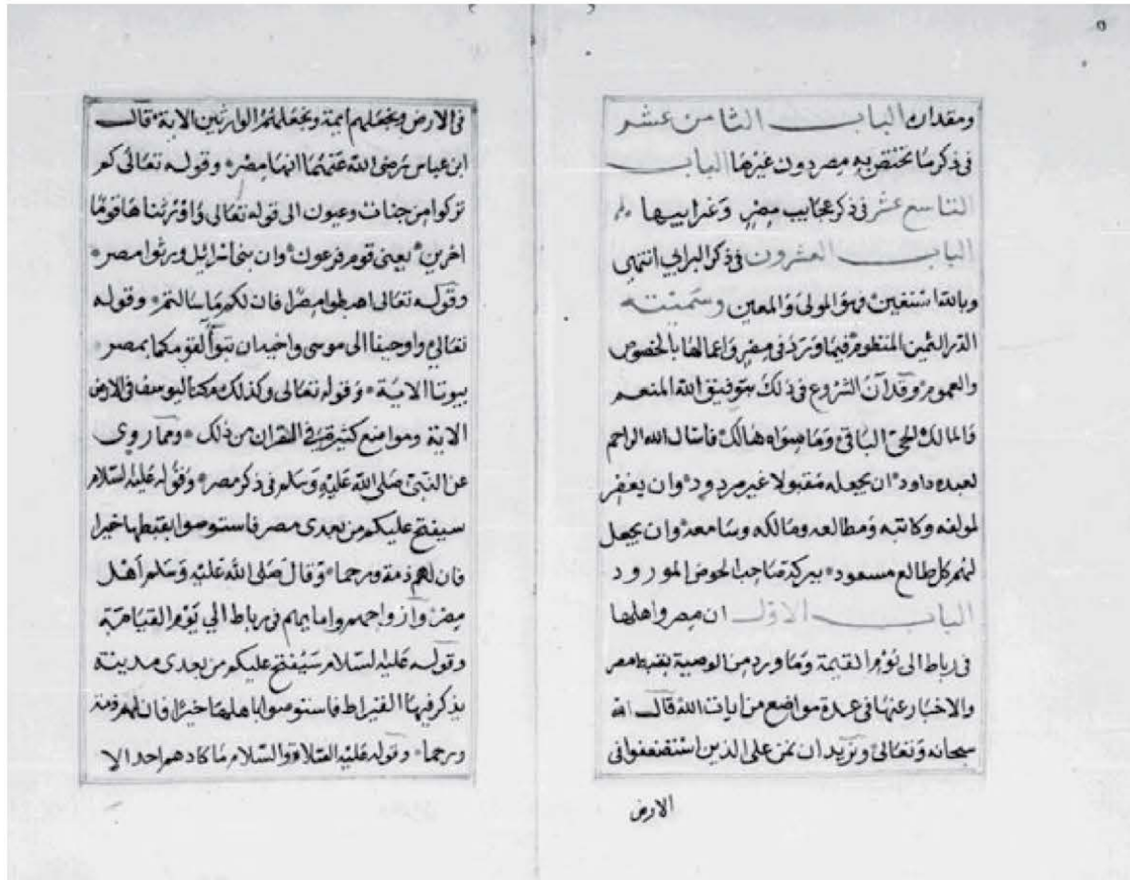
من كتابتها في ١٤ رجب سنة ١٠٣١هـ / ٢٦ مايو ١٦٢١م[٢٥].

٥- مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم١٨٣٧ تاريخ، نسخة في مجلد بخط معتاد قديم، وبها ترقيع وتقطيع وآثار عرق[٢٦].

٦- مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت مجاميع طلعت رقم ٣٢٤، رسالة٤، ميكروفيلم ٩٧٣٦، ١٩ورقة، نسخت بخط نسخ سنة ١١١٥م، ومسطرتها ١٣.

٧- مخطوطة بمكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، تحت رقم (جاريت H١٨١)، نسخت يوم الاثنين ٣ ذي الحجة سنة ١٠٣٠هـ/٢٠ أكتوبر١٦٢٠م، تقع في ٣٤ورقة، وجاءت تحت عنوان "الدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم"، وبدايتها: "الحمد لله الأول والآخر ...الخ.

٨- مخطوطة بالمكتبة القيصرية بالنمسا تحت رقم ٩١٧.



ومقدار الباب الثامن عشر
فى ذكر ما تختص به مصر دون غيرها الباب
التاسع عشر فى ذكر عجايب مصر وغرايبها
الباب العشرون فى ذكر البرابي انتهى
وبالله نستعين فهو المولى والمعين وسميته
الدر الثمين المنظوم فيما ورد فى مصر واعمالها بالخصوص
والعموم وقد آن الشروع فى ذلك بتوفيق الله المنعم
المالك الحق الباقي وما سواه هالك فاسال الله الراحم
لعبده داود ان يجعله مقبولا غير مردود وان يغفر
لمولفه وكاتبه ومطالعه ومالكه وسامعه وان يجعل
لهم كل طالع مسعود بيركة صاحب الحوض المورود
الباب الاول ان مصر واهلها
فى رباط الى يوم القيمة وما ورد من الوصية بقبطها مصر
والاخبار عنها فى عدة مواضع من ايات الله قال الله
سبحانه وتعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى
الارض

فى الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين الاية قال
ابن عباس رضى الله عنهما انها مصر وقوله تعالى كم
تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى واورثناها قوما
اخرين يعنى قوم فرعون وان بنى اسرائيل ورثوا مصر
وقوله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وقوله
تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر
بيوتا الاية وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض
الاية ومواضع كثيرة فى القران من ذلك ومما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر مصر وقوله عليه السلام
سيفتح عليكم من بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا
فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اهل
مصر وازواجهم واماييهم فى رباط الى يوم القيامة
وقوله عليه السلام سيفتح عليكم من بعدى مدينة
يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة
ورحما وقوله عليه الصلاة والسلام ما كادهم احد الا

ورقة من مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٨١٣ عربي

كتاب "سيرة المؤيد" لابن ناهض الحلبي:

حظيت سيرة السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)[٢٧] باهتمام مؤرخي وأدباء عصره، فأفرد لها ابن خطيب الناصرية (ت:٨٤٣هـ/١٤٤٠م) مُؤلَّفاً مستقلاً[٢٨]، كما أفردها بدر الدين العيني (ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م) بمُؤلَّف سماه "السيف المُهنَّد في سيرة الملك المُؤيَّد"[٢٩]، وصنع في تاريخه أرجوزة سماها "الجوهر"[٣٠]، وقد أُعجِبَ الأديب ابن ناهض الحلبي بشخصية السلطان المؤيد شيخ فألَّف كتاباً في مناقبه بصورة أدبية، وهو محل هذه الدراسة.

أهمية الكتاب:

هذه السيرة كما قلنا عبارة عن مدائح بالنظم والنثر المسجوع، وليست على طريقة المؤرخين في عرض الأخبار والحوادث، وتكمن أهميتها في التعريف بتراث أحد أبناء بلاد الشام في العصر المملوكي الجركسي من خلال هذا المخطوط الذي بين يدي الدراسة. كما يقدم الكتاب نموذج من نماذج مناقب الملوك وفضائلهم في العصر المملوكي، ويُعرِّف بسيرة أحد سلاطين المماليك في صورة أدبية؛ وهي سيرة السلطان المؤيد شيخ.

محتوى الكتاب وتنظيمه:

يبدأ المُؤلِّف بمقدمة يستهلها بالحمد لله ثم الصلاة على رسول الله ثم يذكر الدافع النفسي له على مدحه للسلطان المؤيد شيخ فيقول: "والواجب على كل عالم امتداح من نصر المظلوم وقهر الظالم وعمر المساجد، وأزال المفاسد، ونشر لواء العدل والإنصاف، واتصف بأحسن الأوصاف مولانا السلطان الملك المالك العالم العادل الغازي المجاهد المرابط الناصر المنصور المظفر المؤيد أبو النصر شيخ خلد الله ملكه وجعل الأرض كلها ملكه".

ثم يذكر المصادر التي اطلع عليها لوضع هذا المديح فيقول: "فاقتديت بما نقل عن الرشيد وأنت بيت القصيد، واهتديت إلى أقوال الظرفا في مدايح الخلفا، وسمعت ما قاله أبو الطيب المتنبي[٣١] في قديم الزمان وما ناله من سيف الدولة بن حمدان[٣٢]، وبلغني ما بلغ ابن النبيه[٣٣] من المطلوب بمدحه الملك الأشرف شاهر بن أيوب، وغربلت درر النحور في مدايح الملك المنصور، وانتني مراسلات ابن الأثير فاقتنصت شواردها في التقديم والتأخير، والتقت البهاء بن زهير[٣٤] فالتحظت نورها لاغير، وجنيت من جنان البديع ما يدهش النظام ويقصر عنه الفاضل وينقص أبو تمام[٣٥]، وهب علي نسيم الصبا فصبوت إلى شيخ أذكرني نسيم الصبا، وشممت نفايس ابن الوردي[٣٦] فبحت بما عندي، وتصفحت أوراق شعراء المشرق والمغرب، واقتنصت ثمرات المرقص والمطرب[٣٧]، وتحليت بالقطر النباتي فتكررت بناتي، واستحقيت الحقائق واسترقيت الرقايق، ونثرت جواهر الفرايد، ونظمت جواهر القلايد، وأهديتها إلى مالك زمام المملكة الإسلامية وصاحب عقدها وحلها، ووضعت الأشياء في محلها، وزنت القوافي بمثلها فإنه أحق بها وأجل أهلها...".

وعن سبب تأليف الكتاب يقول: "وبرزت الأوامر الشريفة بوضع هذه السيرة العجيبة الغريبة فلم يكن للملوك بذلك استطاعة ولم يكن الجواب بغير السمع والطاعة، فتأدبت مع أهل الأدب واستضأت بأنوار بدروها فأمدتني بوافر

كمالها فانبسطت في نحورها وطفت بكعبتها وتمسكت بركنها التقي".

وفيما يخص منهجه يقول: "ونمقتها مديحاً أبدعت فيه غرايب التدبيج فاهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج، وشاهدت...ونطق به لساني، وبينه بياني، ووضعه بناني من أيام الملك الأشرف شعبان[٣٨] إلى الملك الأشرف أبو النصر شيخ سيد ملوك الزمان، فما رأيت مثل هذا الممدوح فعملت عمل الروح للروح"[٣٩].

أما ترتيبه لمادة الكتاب فيقول: "ورتبتها ترتيب الفرايد في العقود، ومزجت المرقصات بالمطربات فيها مزج الحمرة بالبياض في الخدود ليرق على مائيتها ريحان القلوب، ويغطيها السّمع بخط المحب إلى المحبوب".

بعد ذلك ينطلق المُؤلِّف على طريقتهِ المسجوعة مازجًا النثر بالشعر بصورة بارعة للحديث عن فضائل السلطان وأعمالهِ منذ مجيئه إلى الشام أول مرة في ١٤ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ/١٦ يوليو ١٤٠٢م فيذكر أن السلطان بمجرد أن وصل إلى الشام حتى عم الخير، ونصر المظلوم، ونشر العدل، وهرع إليه الأمـراء والحجاب للتهنئة بسلامة الوصول، ثم يُنشد شعرًا في ذلك.

ثم بدأ يُعدد أعمال الأمير شيخ بالشام فذكر منها: عمارة جامع تنكز[٤٠]، وعمارة دار السعادة ووضع اسمه ورنكه[٤١] عليها، كما ذكر أنه عمر أبـواب المدينة من باب النصرإلى باب البريد[٤٢]، وجدد الجامع الأموي بدمشق، وأصلح طريق الحج واهتم بشؤون المحمل الشريف واحتفالاته[٤٣]، وأرسل مع ركب الحاج الشامي الكثير من صرر الأموال لتوزع على أهل مكة والمدينة، وهنا وجدها المُؤلِّف فرصة سانحة ليعدد صفات الأمير شيخ من الشجاعة والشهامة والمهارة في ركوب الخيل والرماية والصيد بالجوارح.

ثم يذكر المُؤلِّفأن الأمير شيخ اتجه لتحقيق الأمن في البلاد، وكان أول ما بدأ به تمرد أهل زرع[٤٤]؛ فتوجه بجنده للضرب على يد المفسدين فقبض على عدد منهم فسمر ووسط[٤٥]. ثم توجه بعدها للقضاء على المفسدين من العرب، وقبض على عدد منهم وفر الباقين، وكان ممن قبض عليهم أولاد الغزاوي لكنه عفا عنهم بعد قليل[٤٦].

لكنه لم يلبث أن سمع بمجيء الفرنجة إلى السواحل الشامية فتوجه للقائهم بطرابلس[٤٧] لكنهم ما أن سمعوا بقدومهِ حتى رحلوا إلى بيروت ثم رحلوا عن السواحل الشامية[٤٨]، ومن أعماله في فترة ولايته حماية الأوقاف من المتعرضين لها، وقراءة القرآن والبخاري في الأشهر والأيام المباركة، بجانب الهبات والعطايا وإطعامه للمساكين وفداءه للأسرى، كما أفرج عن الأمير نوروز[٤٩] وأنعم عليه لكنه خان شيخ وتمرد عليه.

وقد واجـه الأمير شيخ خلال فترة ولايته لنيابة الشام عددًا من التمردات منها: تمرد الأمير نوروز الذي التقى معه عند قلعة الصبيبة-وهي الوقعة الأولى- فكسره وفر منه. ثم توجه إلى الثغور ومناطق تمركز التركمان، وعند طرابلس التقى بالأمير بكتمر جلق[٥٠] ففر منه، ثم توجه بعد ذلك إلى حماه[٥١] فكسر الأمير دقماق[٥٢] وما أن انتهى من حماه حتى رحل إلى حلب فتسلمها من صاحبها، وصرف همته إلى إصلاح أحوالها

فعمر الأسواق والمساجد، وعهد بذلك للأمير دوادار[53] شجاع الدين شاهين[54].

ثم يذكر المُؤلِّف أن الأمير شيخ لم ينتهي من أمر حلب حتى علم بتحالف الأمير جكم[55] مع نوروز وغيره فالتقى بهم عند مدينة حمص وكسرهم، وفي تلك الأثناء صدر أمر السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م) للأمير شيخ بالتوجه إلى صفد[56] للقضاء على تمرد الحمزاوي الذي تحصن بها وأعلن العصيان، وفيما يخص حال نورزو وجكم فإنهم دخلوا الشام مرة أخرى في غياب الأمير شيخ، وأرسلوا مجموعة من الفرسان منهم ابن أزدمر، وابن قشماش، والحمزاوي فخربوا البلاد، وأكثروا الفساد، وظلموا العباد، وعدوا قطية وبلبيس ونحوها،وما أن علم الأمير شيخ بما حدث حتى توجه إليهم فكسرهم، وأسر عدد منهم، وملك غزة[57] وأعمالها، وانصلحت بأحكامه أحوالها، ثم عاد سالمًا إلى صفد[58].

ويقول المُؤلِّف متحدثًا عن الأمير شيخ: "واستدعيت الناصر لتدبير الممالك، وجدت في نصيحته بنفسك ومالك، فما عرف العدو من الصديق وحكم عليك بما حكم على يوسف الصديق، فنجاك الله بحسن النية وخلصت سالماً من الأنية، ومضيت ومن معك سالمين ولسان القدر يناديك أقبل ولا تخف إنك من الآمنين فأقبل الأمير سلامش وبكتمر إلى السلطان وضمنوا الأموال والقود والخيل والجمال، فطمع بذلك ودعا بطاعة نوروز في الممالك فأفسدوا القاعدة وما صدقوا في واحدة، فسبقته وملكت الشام كأضغاث أحلام"[59]، فوصل نوروز إلى بعلبك فأرسل له المؤيد شيخ الأمير يشبك[60] والأمير جركس[61] على رأس فرقة من الجند فكسرا وقتلا عندها آثرا شيخ السلامة وتجنب القتال ورحل بجنده إلى البرية ودخل في طاعته العربان والتركمان.

ويصف المُؤلِّف شأن نوروز وحالهِ مع أهل الشام فيقول: "ولمّا دخل نوروز الشام في النوبة الأولى بنيته المحولة أظهر أكل الحلال عن الحرام وتعفف عن المخدرات وشرب المدام، ونادى بتبطيل المنكرات والمحرمات ودفع الشهوات بالشبهات، وتقرب من العوام بالإسلام، وخرج إلى الفرجة على مواكبه كل امرأتين في إزار، ولو مات عندهم جعلوا قبره مزار، وفي الثانية قعد وتركن وتمسكن حتى تمكن وعزل الخندق لعمارة القلعة، وجرعهم غصص الموت في جرعه، وأفرض الذهب على الفدادين، والحمامات والبساتين، والفنادق والطواحين، والمدارس والدكاكين، وأطربهم بالطبل والزمر؛ وهم يستبشرون بذلك الأمر فوصل العمل إلى الثلث؛ وهم يتظلمون فانطلقوا وهم يتخافتون، فقلت لأهل الشام المتعصبين لنوروز على شيخ: "نابيت أهل الشام لمّا اشتكوا .. اخترتم نوروز من جهلكم"[62].

وعندما رأى الناصر فرج ذلك أحس بأنه أخطأ في حق الأمير شيخ فبعث القضاة والمشايخ للسعي في الصلح بينه وبين الأمير شيخ فوافق على الصلح، وحضر للسلطان فألبسه خلعة الرضى، وتوجه بعدها لحصار حلب، وقد مالت قلوب أهل الشام إليه لهول ما رأوه من نوروز وأنصاره، فيقول المُؤلِّف:"فعطفت قلوب الشام بالمحبة عليك واشتاقت النواظر إليك بما قاسوه من جور الغير ورد الله عاقبتهم برجوعك إليهم

إلى حين، وذكروا إنصافك وعدلك وما لقوه من إحسانك وفضلك وبلوغ كل منهم غاية إربه... فاستجاب الله دعائهم وبلغهم مناهم هذا ونوروز مجد في عمارة القلعة، وأنت في حصن الله متحوف بالولاية والخلعة"، فلما علم نوروز بمجيئ الأمير شيخ خرج إليه في جنده لكنه كُسِرَ، وأسر شيخ الكثير من عسكره، ثم دخل دمشق ونادى بالأمان وترك حمل السلاح[٦٣].

بعدها توجه شيخ لحصار نوروز في أنطاكية التي هرب إليها، وظل على حصارها حتى طالبه التركمان بالأمان فأمنهم، وأمن أهل أنطاكية، ودخل المدينة وملكها، فهرب عدد من الأمراء أنصار نوروز، وقبض على عدد منهم، وحبسوا بالقلعة. ثم توجه إلى دمشق.

ويقول المُؤلِّف في وصف دخول الأمير شيخ لدمشق: "وفي مستهل رجب الفرد سنة إحدى عشر وثمان مائة وصل الركاب الكريم إلى دمشق المحروسة، وحللت بدار سعادتها المأنوسة فتضاعفت الأفراح وتزايدت السرور والانشراح وزال الخطب والبأس، وابتهل بالدعاء لك سائر الناس، وكانت الأفراح بذلك شهود ورأيت يومًا مجموعًا له الناس وكان يومًا مشهود، فأقر الله تعالى بك عيون أهلها، وجمع بسعدك وسعادتك ما شتت من شملها، ورفعت قواعد أركانها، ونشرت أردية عدلك على سكانها، ورددت عنهم كل ملمة وحادثة، وحققوا ما كانوا يرجونه من ولايتك الثالثة، وقرت أعينهم بالنظر إلى وجهك الحسن وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، ورجع السيف إلى قرابه، وعاد الليث إلى غابه"[٦٤].

ولما حضر السلطان الناصر فرج إلى الشام خرج من دمشق متوجهًا نحو صرخد[٦٥] مع الناصر فرج فملكها وأنيب عليها، وترك الأمير بكتمر يتولى نيابة الشام لكنه لم يحفظ الجميل لشيخ وتمرد عليه، عندها توجه شيخ إلى الشام، وكسر بكتمر، وتملك الشام عنوة، وشرع في إصلاح أمورها. أمَّا نوروز فقد أقام في أسر ابن رمضان[٦٦] حتى تسحب وتوجه إلى قلعة الروم، لكنه لم يحصل على الأمان فبقي مشردًا حتى خرج الأمير دمرداش[٦٧]- نائب حلب- وجد في طلب نوروز. ثم حدثت أمور فعفى الأمير شيخ عن نوروز، وأرضاه بالمال، وطالبه بالتوجه إلى حلب، ورجع هو إلى الشام فلمَّا علم بمجيء السلطان تركها ورحل إلى الأبلستين بنوروز ومن معه مؤثرًا السلامة والبعد عن قتال السلطان.

وبينما هو في الكرك[٦٨] إذ هجم عليه جند السلطان لكنه تصدى لهم، ولما فشل السلطان في تحقيق مأربه طلب الصلح فوافق الأمير شيخ وتولى نيابة حلب. ثم أرسل السلطان إلى التركمان بالثورة والعصيان على الأمير شيخ لكنه تصدى لهم وكسرهم. ثم توجه إلى حمص فانضم إليه الأمراء الفارين مثل بكتمر وطوغان[٦٩] بمن معهم بعد أن طلبوا الأمان من الأمير شيخ. أمَّا السلطان فلما فشل في السيطرة على أمور الشام اضطرب عسكره فدخل دمشق وتحصن بها[٧٠] فأقبل الأمير شيخ وحاصره، واشتد القتال حتى تملك المدينة والقلعة وقتل الناصر، وبعدها عين الأمراء على النيابات، فولى نوروز الشام ثم توجه إلى القاهرة.

فلمَّا جلس المؤيد شيخ على كرسي السلطنة

أبطل الرمايات والحمايات[71]، فتمرد عليه طوغان فقبض عليه، وعلى الأمير دمرداش. أمّا نوروز فإنه أهلك البلاد والعباد، وصادر الناس، وعدى كل الحدود فخرج السلطان المؤيد إليه بالجند وحاصره هو ومن معه، ووزعهم على السجون بعد القبض عليهم[72].

ثم رحل بعدها السلطان المؤيد شيخ إلى حلب ومنها إلى الأبلستين وملطية[73] فنظم أحوالها ثم عاد إلى القاهرة في شهر رمضان سنة ٨١٠هـ/ يناير١٤٠٨م فخرج الناس لاستقباله وزينت القاهرة، فأنعم على الناس بالخلع والهبات، وأفرج عن عدد من المساجين، وعقد مجلس قراءة البخاري[74] كما هي العادة في شهر رمضان[75]، وبعد قليل توجه السلطان إلى البحيرة للقضاء على فساد العربان فشت شملهم وغنم أموالهم وعيالهم، فلما أقبلوا طائعين عفا عنهم، فلما استتب له الأمر بالبلاد توجه للقضاء على تمرد قاني باي[76] ومن معه من الأمراء أمثال نائب غزة، ونائب حماه، فالتقى بهم عند حلب وكسرهم ثم عاد إلى القاهرة من طريق سرياقوس[77].

ثم يذكر ابن ناهض أن من بعض فعل السلطان المؤيد شيخ الطيبة محوه لآثار خزانة شمائل[78]، وبنائه للمؤيدية[79] وزخرفتها، ثم يمدح خصال السلطان المؤيد شيخ، ويختم السيرة بقصيدة في مدح القاهرة المحروسة[80].

هذه هي الأخبار التي أوردها ابن ناهض في سيرته عن السلطان المؤيد شيخ، وقد أوردتها كاملة متخليًا عن صيغة السجع التي درج عليها المؤلِّف والشعر؛ والتي حازت جزء كبير من السيرة، ولا تزال هذه السيرة في حاجة إلى دراسة من الناحية الأدبية للوقوف على أسلوب ابن ناهض الأدبي، فالمؤلف في هذا الكتاب مازج بين النثر والشعر بصورة ممتازة، وكان كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية في مقطوعاته النثرية.

ترجمة المؤلف:

هو شمس الدين محمد بن ناهض بن محمد بن حسن بن أبي الحسن الجهني الكردي[81] الأصل الحلبي نزيل القاهرة، ولد تقريباً بحلب[82] سنة٧٥٧هـ/١٣٥٦م، أحب الأدب فبرع فيه نظمًا ونثرًا، قدم دمشق[83] فاشتغل ببيع الفُقّاع[84]، ثم قدم القاهرة، ونزل ضمن صوفية الجمالية[85]، ومدح عدد من أعيان القاهرة، ونقل عنه عدد من معاصريه شيء من شعره منهم القاضي ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء السبكي(ت:٧٨٥هـ/١٣٨٣م)[86]، وتوفى بالقاهرة في ١١ شعبان سنة١ ٨٤هـ/٩فبراير١٤٣٨م، ومن نظمه:

كم دولة بفنون الظلم قد فنيت
وراح آثارهم في عكسهم ومحوا
وجاء من بعدهم من يفرحون بها
وقال سبحانه حتى إذا فرحوا[87].

عنوان الكتاب ونسبته للمؤلف:

أما عنوان الكتاب فللأسف لم نظفر بعنوان واضح لكتاب السيرة سوى عنوان سيرة المؤيد الذي ذكرته المصادر التاريخية كمؤلفات الشمس السخاوي(ت:٩٠٢هـ/١٤٩٦م) الذي اهتم اهتمامًا كبيرًا بذكر أسماء من قرظوا هذا الكتاب والعنوان يدور بين عدة مسميات سيرة المؤيد وهو الأشهر

وسيرة المؤيد شيخ، وسيرة ابن ناهض، والسيرة المؤيدية[٨٨] وهو نادر الذكر، وأعتقد أن العنوان الأقرب للصواب هو "سيرة المؤيد"، ولكن بقية العناوين مقبولة ما دام المُؤلِّف لم ينُص على عنوان كتابهِ سواء على صفحة المخطوط الذي حصلنا عليه، ولا في مقدمة الكتاب، ولا في الخاتمة؛ وهي الأماكن الثلاث المخصصة لكتابه العنوان. أمّا نسبة الكتاب للمُؤلِّف فلا خلاف حول نسبة السيرة لابن ناهض، وقد أكدت على ذلك كل المصادر المعاصرة التي اعتمدنا عليها في جمع تقريظات العلماء والمشايخ والأدباء على الكتاب.

تاريخ تأليف السيرة:

أما تاريخ تأليف الكتاب فقد كتب قبل نهاية شهر شوال سنة ٨١٨هـ/ يناير١٤١٦م، وهو الشهر الذي قدم فيه المُؤلِّف على الأديب ابن حجة الحموي(ت:٨٣٧هـ/١٤٣٤م) ليقرظ له السيرة. ثم قرظها له بعد ذلك البدر العيني(ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م) في صفر سنة ٨١٩هـ/ مارس١٤١٦م، وقد جاء هذا التأليف في مجلد واحد كما قال الشمس السخاوي[٨٩].

السيرة ونظر المعاصرين لها:

لم يذكر أحد ممن ترجم لابن ناهض سوى كتاب واحد له في التاريخ وهو "سيرة المؤيد"، وقد نالت هذه السيرة استحسان المعاصرين، فوصفها السخاوي بأنه "أجاد فيها"، وفي موضع آخر "وأفردها-أي سيرة المؤيد- ابن ناهض في مجلد حافل قرضه له كل عالم وأديب، ومؤرخ وحبيب"[٩٠]، ونحن ندين بالفضل في الكثيرمما نعرفه عن هذه السيرة للشيخ إبراهيم بن أحمد الباعوني(ت:٨٧٠هـ/١٤٦٦م) والمؤرخ شمس الدين السخاوي(ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) اللذين سجلا لنا الكثير من التقريظات التي كتبت على الكتاب بنصوصها الكاملة، وذكر لنا السخاوي أن عدد من قرظ السيرة دون الثلاثين شخص منهم: الشهاب أحمد بن علي القلقشندي الشافعي(ت:٨٢١هـ/١٤١٨م)[٩١]، وفضل الله بن مكانس(ت:٨٢٢هـ/١٤١٩م)[٩٢].

وممن قرظها له أيضاً ناصر الدين محمد البارزي الحموي (ت:٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[٩٣]، وجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقيني (ت:٨٢٤هـ/١٤٢١م)[٩٤]، وولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت:٨٢٦هـ/١٤٢٢م)[٩٥]، ومحمد بن أبي بكر المخزومي السكندري المعروف بابن الدماميني (ت:٨٢٧هـ/١٤٢٤م) الذي كتب تقريظه بعد تقريظ ابن حجة الحموي سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م[٩٦]، والأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف الزعيفريني الدمشقي (ت:٨٣٠هـ/١٤٢٧م) الذي قرظها له في ٢٠ صفر سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م[٩٧]، وأحمد بن محمود بن محمد القيسري الحنفي المعروف بابن العجمي (ت:٨٣٣هـ/١٤٣٠م) الذي قرظها له في ربيع الآخر سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م[٩٨].

وممن قرظها أيضًا أبو بكر بن علي الحموي المعروف بابن حجة (ت:٨٣٧هـ/١٤٣٤م) فذكر أنه أثناء عمله بديوان الإنشاء بالديار المصرية في شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة جاءه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض الفقاعي وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد وسأله أن يكتب له عليها تقريظًا

قبل تقديمها فامتنع من ذلك مدة، ثم طلب منه أن يقرظها الشيخ بدر الدين بن الدماميني أولا فتوجه إليه فرفض ابن الدماميني أن يكتب له إلا إذا كتب له ابن حجة أولا فكتب له هذا التقريظ[٩٩].

كما قرظها له شهاب الدين أحمد بن علي بن قرطاي الحنفي (ت:٨٤١هـ/١٤٣٧م)[١٠٠]، وشمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي(ت:٨٤٢هـ/١٤٣٨م)[١٠١]، وعبد الملك بن أبي بكر بن علي الموصلي ثم الدمشقي الشافعي (ت:٨٤٤هـ/١٤٤٠م)[١٠٢]، كما قرضها شعرًا تقي الدين أحمد بن علي المقريزي(ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م)[١٠٣].

وقرظها له أيضاً عبد الرحمن بن يوسف الصائغ (٨٤٥هـ/١٤٤١م)[١٠٤]، وشمس الدين محمد بن حسن القاهري الشاذلي الحنفي (ت:٨٤٧هـ/١٤٤٣م)[١٠٥]، وشهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٩م)[١٠٦]، وأبي الفتح محمد بن أحمد بن وفا (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٩م)[١٠٧]، ويحيى بن أحمد بن عمر الكركي الشافعي المعروف بابن العطار (ت:٨٥٣هـ/١٤٥٠م)[١٠٨]، وبدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي(ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م)[١٠٩]، وكمال الدين محمد بن ناصر الدين البارزي الحموي الشافعي(ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م)[١١٠]، والشيخ إبراهيم بن أحمد الباعوني (ت:٨٧٠هـ/١٤٦٦م)[١١١].

أما أصيل الدين محمد بن إبراهيم الهنتاتي (ت:٨٧٢هـ/١٤٦٨م) فقد قرضها له نظمًا[١١٢]، هذا بالإضافة إلى تقريظ الشيخ محمد بن عبد الله العمري (ت:ق٩هـ/١٥م)[١١٣]، وقد اهتم الشيخ إبراهيم بن أحمد الباعوني(ت:٨٧٠هـ/١٤٦٦م) بجمع ما كتب على السيرة من تقريظات في كتاب سماه "الذخيرة في تقريظ السيرة" حوى اثنى عشر تقريظًا، وألحقه كما قلنا بمخط السيرة الذي ذكرناه سابقًا.

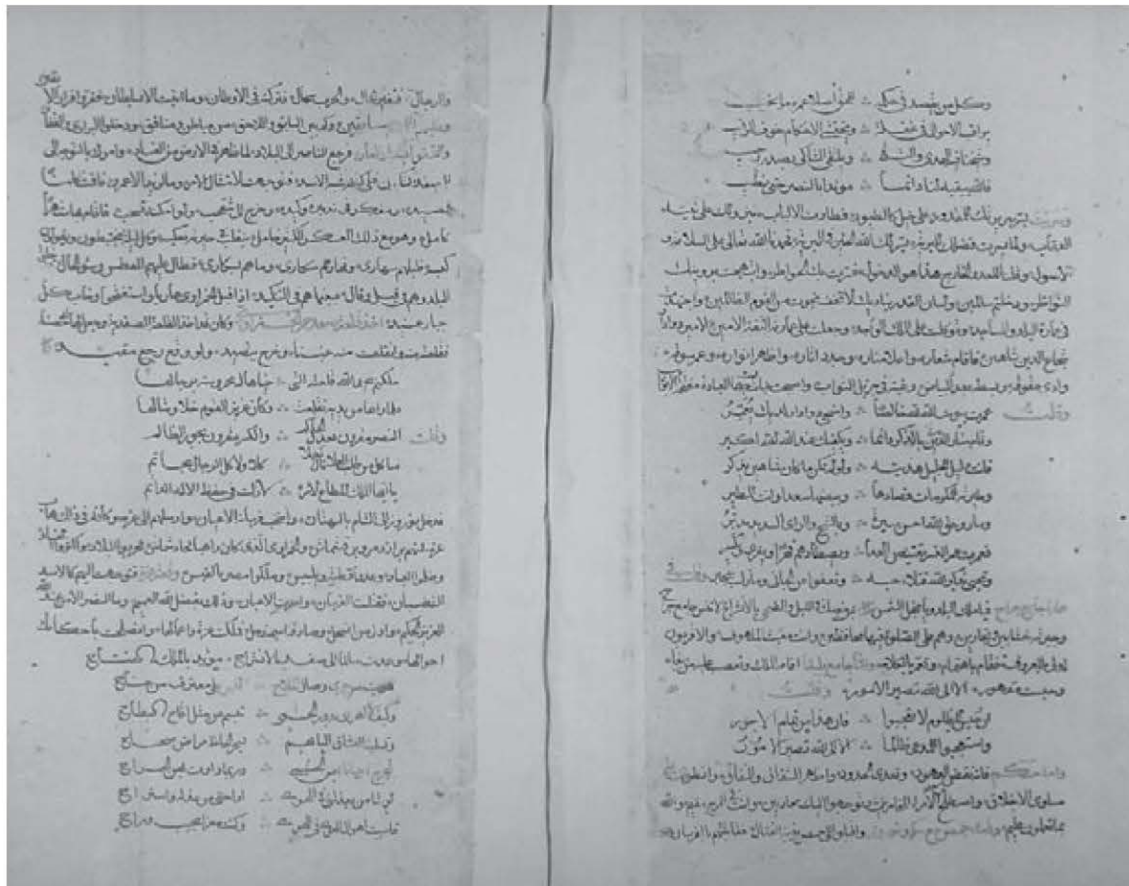
النسخ الخطية للكتاب:

لم نعثر سوى على نسخة خطية واحدة من السيرة، وهي مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت عنوان "الذخيرة في تقريظ السيرة" للحريري تحت رقم ٣٥مم، ميكروفيلم ٩٤٨٢ عن الأصل الموجود بمكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم٣٦٢٨، وأولها: "الحمد لله الكريم المقصود العظيم الموجود..."، فقمنا بأخذ نسخة من هذه المصورة، وبعد تفحصها تبين أنها سيرة المؤيد شيخ لابن ناهض، ومما يزيد من التأكيد على أنها سيرة ابن ناهض أنه جاء في وصفها بأنها "نظم ونثر" وهي كذلك. كما أن التقاريظ التي أتت بعد نهاية الكتاب تؤكد على ذلك أيضًا.

أما العنوان الذي وجد على غلاف المخطوط وبطاقة التعريف به، وهو "الذخيرة في تقريظ السيرة" فهي عدد من التقريظات التي كتبها العلماء على السيرة وجمعها الشيخ إبراهيم ابن أحمد الباعوني (ت:٨٧٠هـ/١٤٦٦م)[١١٤] وألحقت بالكتاب، وقد قام أحد الأشخاص بوضع هذا العنوان عليها عن طريق الخطأ، أما العنوان الذي اختاره ابن ناهض للسيرة فلم نهتدي إليه؛ لأنه لم يشر إلى تسميته للكتاب، بالإضافة إلى أن العنوان الذي ورد عند مؤرخي الفترة

المملوكية أمثال المقريزي والسخاوي وغيرهم جاء على عدة صور منها: السيرة المؤيدية، وسيرة المؤيد، وسيرة ابن ناهض[١١٥]، وأعتقد أن العنوان الأقرب للصواب هو "سيرة المؤيد" ولكن بقية العناوين مقبولة ما دام المؤلف لم ينص على عنوان كتابه.

وفيما يخص وصف المخطوط فهو يقع في ٢٥ ورقة، ومسطرته ٢٧سطر، ومقاسه١٨×٣٠سم، كتب في سنة١١٤٠هـ/١٧٣٧م بخط نسخ جيد، وعلى هامش النص عدد من الإضافات والتعليقات بخط ناسخ الكتاب، ويتبع الكتاب نظام التعقيبة، واستخدم في الكتابة اللونين الأحمر للعناوين ومقدمة الفقرة والأسود لبقية الفقرة، والكتابة مسجوعة وبالنسخة الكثير من التصحيف والتحريف وقعت من قبل ناسخ المخطوط.



ورقة من مخطوط مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم٣٦٢٨

مقالات

الخاتمة:

استطاعت هذه الدراسة إلقاء الضوء على كتاب الدر الثمين المنظوم ومدي أهميته وأسباب تأليفه ومحتواه وتنظيم مادته، وذكرت عدد من النسخ الخطية التي يمكن الاعتماد عليها عند تحقيق الكتاب ووصفت عددًا منها. كما أوضحت أهمية كتاب سيرة المؤيد، وترجمت لمؤلفه، ومحتوى كتابه وتنظيمهمن خلال نسخته الخطية التي عثرت عليها بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وأشرت إلى تاريخ تأليفه للكتاب، ونبهت إلى ضرورة وجود دراسة أدبية متخصصة للتعريف بابن ناهض كأديب، وختمت الدراسة بأن الكتاب قد نال اهتمام كبير من معاصري المؤلف الأعلام ويظهر ذلك في التقاريظ التي كتبت على الكتاب من قبل الكثير من علماء وأدباء العصر المملوكي في مصر، وأشرت إلى عدد ممن قرظها شعرًا ونثرًا.

الحواشي

١. هي ألفية ابن مالك للعلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الجياني (ت:٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وهي مقدمة جمع فيها مقاصد العربية وسماها الخلاصة وسميت الألفية لأنها من ألف بيت. انظر:إسماعيل باشا البغدادي: إيضاح المكنون في الكشف في الذيل على كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص١٥١.

٢. هو يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى الحنفي، توفى سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م. انظر: السخاوي: الضوء اللامعلأهل القرن التاسع، ج٧،منشورات دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٩٢م، ص٢٥٩-٢٦١.

٣. هوأحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادي الحنبلي نزيل القاهرة، له مؤلفات في الحديث والفقه والرقائق، توفى سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٩.

٤. هو يحيى بن محمد بن إبراهيم الحنفي، توفى سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م. انظر: السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٧م، ص١٧٧.

٥. هو قاضي القضاة وشيخ الإسلام أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المصري الشافعي؛ من أشهر علماء الحديث في ق٩هـ/١٥م، توفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، وقد أفرد له الشمس السخاوي ترجمة كبيرة جدًا سماها " الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر". انظر عنه: السيوطي: نظم العقيان، ص٤٥-٥٣.

٦. هو محيي الدين محمد بن سليمان بن سعيد الحنفي، سُمي بالكافيجي لكثرة قراءته "الكافية" ابن الحاجب، من مشاهير علماء الحنفية في ق٩هـ/١٥م، له الكثير من المصنفات، توفى سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٦٦-٢٦٧.

٧. ابن الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٩٥.

٨. أنشأه السلطان الظاهر بيبرس البندقداري في منطقة الحسينية بالقاهرة سنة٦٦٥هـ/١٢٦٧م. انظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠١٣م، ص١٨٨-١٩٤.

٩. هو محمد بن عبد الرحمن الشافعي، توفى سنة٨٥٢هـ/١٤٤٨م.انظر: السيوطي: نظم العقيان، ص١٥٢.

١٠. هي خانقاه أنشأها ركن الدين بيبرس الجاشنكير قبل أن يلي السلطنة بموضع دار الوزارة تجاه رحبة باب العيد سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م.

مخطوطتان في فضائل البلاد وفضائل السلطان من عصر المماليك الجراكسة

وقرر بها أربعمائة صوفي وأوقف عليها. انظر:المقريزي: الخطط، ج٤، ص٧٣٢-٧٤٠.

١١. هي خانقاه أنشأها السلطان الظاهر برقوق سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، وتسمى الظاهرية المستجدة تمييزًا لها عن الخانقاه الظاهرية القديمة، وتقع في حي بين القصرين، وقد جعلها جامعًا ومدرسة وخانقاه، وأوقف عليها. انظر:المقريزي: الخطط، ج٤، ص٧٤٣.

١٢. هو قاضي القضاة محب الدين محمد بن محمد الحلبي الحنفي، توفى سنة٨٩٠هـ/١٤٨٥م. انظر: السيوطي: نظم العقيان، ص١٧١.

١٣. تولى كتابة السر بالديار المصرية، وظل بهذا المنصب ما يزيد عن العشرين عاما حتى توفي في سنة٨٩٣هـ/١٤٨٨م. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٢٥٥.

١٤. من أكابر الأمراء بالديار المصرية، تولى كشف ونيابة الوجه القبلي، ثم تولى في عهد قايتباي الوزارة والدوادارية، ثم توجه باش على العسكر المتوجه لقتال شاه سوار، واستطاع القبض عليه، وإحضاره إلى القاهرة سنة٨٧٧هـ/١٤٧٢م، وقد قتل هذا الأمير على يد بايندر أمير الرها أثناء مهاجمتها سنة٨٨٥هـ/١٤٨٠م. انظر: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٢-٢٧٤.

١٥. هو محمد بن محمد بن عبد الله الخضيري الزبيدي الدمشقي الشافعي، توفى سنة٨٩٤هـ/١٤٨٨م. انظر: السيوطي: نظم العقيان، ص١٦٢.

١٦. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٢١٧-٢١٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٨٨. وأيضاً: إسماعيل باشا البغدادي: هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، استانبول- تركيا، ١٩٥١م، ص٧٣٩؛ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص٢٨٧.

١٧. صدر بتحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية،القاهرة،١٩٧٠م.

١٨. منه مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ١٢٨٤.

١٩. هو قاضي القضاة محمد بن أبي بكر بن محرز الحسيني المالكي، توفى سنة٨٧٣هـ/١٤٦٨م. انظر: السيوطي: نظم العقيان، ص١٤٢.

٢٠. ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص١٨، ٩٨.

٢١. ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص١٣.

٢٢. هو الحافظ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، توفى سنة٨٨٥هـ/١٤٨٠م.انظر: السيوطي: نظم العقيان، ص٢٤.

٢٣. ابن الصيرفي: إنباء الهصر، ص٢١.

٢٤. هذا الكتاب منه نسخة في المتحف البريطاني. انظر: شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٧٦.

٢٥. محمد عبد الرسول إبراهيم: فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية حتى ديسمبر ١٩٢٨م، ج٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٠م، ص١٧٧.

٢٦. محمد عبد الرسول: فهرس دار الكتب المصرية، ج٥، ص١٧٨.

٢٧. تولى السلطنة من سنة٨١٥هـ/١٤١٢م حتى سنة ٨٢٤ه/١٤٢١م، وعرف بالمؤيد شيخ المحمودي وكان من أقوى سلاطين العصر المملوكي الثاني. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج٢، ص٥٩-٦٣.

٢٨. ابن فهد (عمر بن محمد الهاشمي ت:٨٨٥هـ/١٤٨٠م): معجم شيوخ ابن فهد، تحقيق: محمد الزاهي، الرياض، ١٩٨٢م، ص١٨١؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٣٠٦.

٢٩. صدر بتحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

٣٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٣١٠.

٣١. هو الشاعر أحمدُ بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي أبو الطيب الكندي الكوفي، من أعلام الشعر العربي، اشتهر بمدحه لسيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وكافور الإخشيدي صاحب مصر، توفي سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م. انظر: الزركلي: الأعلام، ج١، ص١١٥.

٣٢. هو الأمير علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي وهو أول ملوك بني حمدان بحلب له وقائعه المشهورة مع الروم، توفي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م. انظر: الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٠٣.

٣٣. هو الشاعر كمال الدين علي بن محمد بن الحسن المصري، مدح الأيوبيين، وتولى ديوان الإنشاء للملك الأشرف موسى الأيوبي، رحل إلى نصيبين فسكنها، توفي بها سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م، له ديوان شعر مطبوع. انظر: الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٣١.

٣٤. هو الشاعر زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي، ولد في مكة سنة٥٨١هـ/١١٨٥م، ونشأ في قوص، ولما ظهر نبوغه وشاعريته التفت إليه الحكام من بني أيوب فخصوه بعنايتهم، وخصهم بكثير من مدائحه، توفي سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م. انظر: الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٥٢.

٣٥. هو الشاعر حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بمدينة جاسم من قرى حوران بسورية، ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة ٢٣١هـ/٨٤٦م. انظر: الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٦٥.

٣٦. هو الشاعر والأديب والمؤرخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر المعري الكندي، توفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م. انظر: الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٦٧.

٣٧. هو كتاب لابن سعيد المغربي(ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب". انظر: الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٢٦.

٣٨. هو السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، حكم في الفترة من سنة٧٦٤/١٣٦٠م حتى قتل سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م على يد بعض أمرائه. انظر: ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٨٠-١٨٢.

٣٩. الذخيرة في تقريظ السيرة، مخط معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ٣٥م، ميكروفيلم ٩٤٨٢، ورقة ١أ.

٤٠. نسبة إلى بانيه الأمير تنكز بن عبدالله الحسامي المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. انظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، ج٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٥٨.

٤١. يقصد به العلامة أو الشعار، وقد ازدهر هذا الفن في العصر المملوكي حيث كان لكل سلطان أو أمير رنكه الخاص، وكذا كان لكل وظيفة رنكها. انظر: أحمد عبد الرازق: الرنوك في عصر سلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج٢١، ١٩٧٤م، ص٦٧-١١٦.

٤٢. هو اسم لأحد أبواب جامع دمشق، وهو من أنزه المواضع في دمشق وأفضلها. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ص٣٠٦.

٤٣. الذخيرة، ورقة ٣أ،ب.

٤٤. هي بلدة من بلاد حوران ولها عمل مستقل وتتبع الصفقة القبلية التابعة لنابة دمشق. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، تقديم: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٠٨.

٤٥. يعتبر التوسيط من أبشع العقوبات التي شاعت في العصر المملوكي، وكان يتم على مرحلتين: الأولى التسمير على الخشب والثانية التوسيط ويعني ضرب الرجل المسمر تحت سترته ضربة قوية تشطره نصفين لتخرج أحشاؤه

على الأرض. انظر: علاء طه رزق: السجون والعقوبات في عصر المماليك، دار عين للبحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٥١.

٤٦. الذخيرة، ورقة ٤أ- ٥أ.

٤٧. هي النيابة الثالثة من حيث ترتيب النيابات الشامية، ويتبعها خمس نيابات مثل حصن الأكراد وصهيون واللاذقية وصهيون، هذا بالإضافة إلى قلاع الدعوة الإسماعيلية وهي ست نيابات، كما يتبعها ست ولايات مثل أنطرطوس، وجبلة وغيرها. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٥-٢٣٦.

٤٨. الذخيرة، ورقة ٥أ، ب.

٤٩. هو نوروز الحافظي الظاهر برقوق، ترقى من خاصكي إلى أمير أخور ثم رأس نوبة صغير سنة٧٧٧هـ/١٣٧٥م، ثم استقر في سنة٨٠٢هـ/١٣٩٩م رأس نوبة كبير، ثم قتل سنة٨١٧هـ/١٤١٤م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٠٤.

٥٠. تولى نيابة طرابلس ودمشق، توفي سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٧.

٥١. هي النيابة الرابعة من حيث ترتيب النيابات الشامية، ويتبعها ثلاث ولايات أشهرها المعرة. انظر: القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٩.

٥٢. هو دقماق المحمدي الظاهري برقوق، من مماليك الظاهر برقوق وتنقلت به الأحوال في الرتب والمناصب حتى تولى حماه للمرة الثانية وهناك قتله الأمير نوروز سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢١٨.

٥٣. هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، مع ما يلحق بذلك من وظائف كتبليغ الرسائل عن السلطان، وتقديم القصص والبريد إلى السلطان. انظر: القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩؛ ج٥، ص٤٢٦.

٥٤. الذخيرة، ورقة ٦ب- ٧أ. هو الأمير شاهين الشجاعي دوادار السلطان بدمشق، توفي سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٥.

٥٥. من مماليك الظاهر برقوق، قتل سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٧٦.

٥٦. هي النيابة الخامسة من حيث ترتيب النيابات الشامية، ويتبعها إحدى عشر ولاية مثل عكا وصور وطبرية وغيرها. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٠.

٥٧. أصبحت نيابة في عهد الأشرف شعبان بن حسين سنة٧٧٧هـ/١٣٧٥م، وقد ذكرها القلقشندي ضمن النيابات التابعة لدمشق. انظر: صبح الأعشى، ج٧، ص١٧٠.

٥٨. الذخيرة، ورقة ٧ب.

٥٩. الذخيرة، ورقة ٨أ.

٦٠. هو الأمير يشبك الشعباني الأتابكي الظاهري برقوق، قتل عند بعلبك في ١٣ربيع الآخر سنة ٨١٠هـ/ ١٨ سبتمبر١٤٠٧م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٨.

٦١. هو الأمير سيف الدين جركس القاسمي الظاهري برقوق المصارع، قتل عند بعلبك ١٣ربيع الآخر سنة ٨١٠هـ/ ١٨سبتمبر١٤٠٧م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٦٧.

٦٢. الذخيرة، ورقة ٨ب.

٦٣. الذخيرة، ورقة ٩أ، ب.

٦٤. الذخيرة، ورقة ١٠ب.

٦٥. هي أحد النيابات الصغرى القبلية التي تتبع نيابة دمشق. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٨-٢٠٢.

٦٦. هو صاحب أحد الإمارات التركمانية التابعة لدولة المماليك وتعرف بالإمارة الرمضانية. عنها انظر: محمد خير عيد: الإمارة الرمضانية التركمانية "أولاد رمضان"، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

٦٧. هو دمرداش المحمدي الظاهري برقوق المعروف بالخاصكي، تولى نيابة طرابلس ثم اتابكية حلب ثم نيابة حماه ثم حلب وتنقل في المناصب حتى ولاه المؤيد شيخ أتابكية الديار المصرية، وظل على حاله حتى قتل سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢١٩.

٦٨. هي النيابة السادسة من حيث ترتيب النيابات الشامية، ويتبعها أربع ولايات أشهرها الشوبك. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤٢.

٦٩. هو طوغان الحسني الظاهري برقوق الدوادار وكان يعرف بالمجنون، انضم إلى شيخ ونوروز فلما تسلطن شيخ جعله على دواداريته بالشام لكنه تآمر على السلطان هو وجماعة فلما تخلوا عنه هرب حتى استطاع السلطان القبض عليه وسجنه ثم قتله سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١١.

٧٠. الذخيرة، ورقة ١١أ، ب.

٧١. كان لنظام الحمايات تأثيره السلبي على النشاط الزراعي، وظهر هذا النظام؛ نتيجة لشيوع الابتزاز والمغارم بالريف، وكانت هذه الحمايات أحد الأسباب التي أسهمت في تدهور الريف وخرابه، فقد بحث الولاة ومشايخ العربان ومن على شاكلتهم- ممن ابتزوا الفلاحين- لأنفسهم عمن يشترون ذمته من أمراء السلطان ليحميهم، ويحول دون وصول شكاوى الفلاحين فيهم إلى السلطان، وقد زادت هذه الحمايات في عهد الناصر فرج، وجعل لها ديوان ومباشرون، وسار على طريقته الأمراء. انظر: المقريزي: الخطط، ج١، ص٣١٨.

٧٢. الذخيرة، ورقة ١٢أ، ب.

٧٣. نيابتي الأبلستين وملطية من النيابات الصغرى التابعة لنيابة حلب والتي تقع خارج حدود الشام، ويطلق عليها بلاد الثغور والعواصم. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢٦-٢٢٩.

٧٤. عن مجلس قراءة صحيح البخاري في القلعة انظر: محمد جمال حامد الشوربجي: مجلس قراءة صحيح البخاري في قلعة الجبل في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، ع ١٠٦، يوليو ٢٠١٦م، ص٦٩٩-٧١٦.

٧٥. الذخيرة، ورقة ١٣أ.

٧٦. هو قانباي المحمدي الظاهري برقوق، ويعرف بقانباي الصغير،تنقلت به الأحوال حتى ولاه المؤيد شيخ الدوادارية الكبرى ثم نيابة الشام سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م فعصى وشايعه جماعة فخرج المؤيد لقتاله واستطاع القبض عليه فسجنه عدة أيام ثم قتله بقلعة دمشق سنة٨١٨هـ/١٤١٥م. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٦.

٧٧. الذخيرة، ورقة ١٤ب - ١٥أ. وسرياقوس: هي أحد القرى القديمة التابعة لمحافظة القليوبية. انظر: محمد بك رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، مج٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٣٥.

٧٨. هي من أشد سجون القاهرة وأحقرها، كانت بجوار باب زويلة، عرفت بالأمير علم الدين شمائل أيام الملك الكامل بن العادل وظلت قائمة حتى هدمها المؤيد شيخ. انظر: المقريزي: الخطط، ج٣، ص٦٠٠.

٧٩. أنشأها المؤيد شيخ سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م. انظر: السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م، ص٢٧٢.

٨٠. الذخيرة، ورقة ١٧-١٨أ.

٨١. ذكره البرهان البقاعي بـ"الجهيني الكركي". انظر: عنوان العنوان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م، ص٣٤٢.

٨٢. هي النيابة الثانية من حيث ترتيب النيابات

مخطوطتان في فضائل البلاد وفضائل السلطان من عصر المماليك الجراكسة

الشامية، ويتبعها إحدى عشر نيابة داخل الحدود الشامية مثل كركر، وبهنسي، وشيزر، وأما ما هو خارج حدود الشام فيتبعها ثمان نيابات من بلاد الثغور والعواصم مثل: ملطية، وإياس، وطرسوس، والأبلستين، وسيس، أما ما هو في بلاد الجزيرة الفراتية فثلاث نيابات هم البيرة، وقلعة جعبر، والرها. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢٦-٢٢٩.

٨٣. هي النيابة الأولى من حيث ترتيب النيابات الشامية، لها أربع صفقات: الغربية وبها نيابتان هما غزة، والقدس، وخمس ولايات أشهرهم الرملة، والخليل، ونابلس، والصفقة القبلية: نيابتان هما صرخد، وعجلون، وثمان ولايات أشهرهم بيسان، وبانياس، والصفقة الشمالية: نيابة هي بعلبك، وثلاث ولايات هي بيروت، وصيدا، والبقاع، والصفقة الشرقية: ثلاث نيابات هي: حمص، ومصياف، وصيدا، وأربع ولايات. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٨-٢٠٢.

٨٤. مشروب يصنع من الشعير.

٨٥. السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج٤، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥٢؛ الضوء اللامع، ج٥، ص٢٦٦.

٨٦. كان قاضي قضاة الشافعية بدمشق، مات ودفن بتربة السبكيين بدمشق. انظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٢٩٨.

٨٧. المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٣، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٧٩؛ البقاعي: عنوان العنوان، ص٣٤٢؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٦٧. وأيضاً: الزركلي: الأعلام، ج٧، ص١٢٢.

٨٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٦٢.

٨٩. السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص٦٧.

٩٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٣١٠.

٩١. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٨.

٩٢. عن ترجمته. انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٢، وعن نص التقريظ. انظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج١، شرح: عصام شغيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، بيروت ص١٨٣-١٨٤.

٩٣. الباعوني: الذخيرة، ورقة ١٨ب؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص١٣٩؛ السيوطي: نظم العقيان، ص١٦٩.

٩٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١١١؛ الباعوني: الذخيرة، ورقة ١٨أ.

٩٥. الباعوني: الذخيرة، ورقة ١٨ب.

٩٦. الباعوني: الذخيرة، ورقة ١٩ب؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص١٨٥.

٩٧. الباعوني: الذخيرة، ورقة ٢٠أ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٥٠-٢٥١.

٩٨. الباعوني: الذخيرة، ورقة ٢١ب؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٢٤.

٩٩. عن نص التقريظ انظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب، ج١، ص١٧٩- ١٨٢؛ الباعوني: الذخيرة، ورقة ١٩أ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١١، ص٥٥.

١٠٠. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٣١.

١٠١. السخاوي: الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جوده هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٣٧؛ الضوء اللامع، ج٧، ص٧.

١٠٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٥، ص٨٤.

١٠٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٣؛ الباعوني: الذخيرة، ورقة ٢٠ب.

١٠٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٦٢.

١٠٥. السخاوي: التبر المسبوك، ج١، ص١٩٥.

١٠٦. أورد السخاوي النص الكامل للتقريظ. انظر:

الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٧٢٥-٧٢٧.

١٠٧. الباعوني: الذخيرة، ورقة ٢١أ. وعن ترجمته انظر: السخاوي: الضوء اللامع، ج٧، ص٩٢-٩٣.

١٠٨. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٢٠.

١٠٩. عن النص الكامل للتقريظ انظر: السخاوي: الذيل على رفع الإصر، ص٤٣٨-٤٤٠؛ التبر المسبوك، ج٣، ص١٤٨؛ الضوء اللامع، ج١٠، ص١٣٥.

١١٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص١٦؛ السيوطي: نظم العقيان، ص١٦٩؛ الباعوني: الذخيرة، ورقة ١٨ب.

١١١. الباعوني: الذخيرة، ورقة ٢٢-٢٤.

١١٢. السخاوي: الضوء اللامع، ج٦، ص٢٦٣.

١١٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج٨، ص١٢١.

١١٤. انظر ترجمته: السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٦-٢٩.

١١٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، تحقيق: فهيم محمود شلتوت، ص١٦.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي ت بعد ٩٣٠هـ/١٥٢٤م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الباعوني (إبراهيم بن أحمد ت:٨٧٠هـ/١٤٦٦م): الذخيرة في تقريظ السيرة، مخط معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ٣٥مج، ميكروفيلم ٩٤٨٢.
- البقاعي (إبراهيم بن حسن ت:٨٨٥هـ/١٤٨٠م): عنوان العنوان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت:٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، ج٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١١، ١٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ابن حجة الحموي (ت:٨٣٧هـ/١٤٣٤م): خزانة الأدب وغاية الأرب، ج١، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٥، منشورات دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جوده هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، ج٤، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ت:٩١١هـ/١٥٠٥م):

- نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٧م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٢،

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.
ابن الصيرفي (على بن داود ت:٩٠٠هـ/١٤٩٥م):
- نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- العيني(بدر الدين محمود بن أحمد ت:٨٥٥هـ/١٤٥١م): السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.
- ابن فهد (عمر بن محمد الهاشمي ت:٨٨٥هـ/١٤٨٠م): معجم شيوخ ابن فهد، تحقيق: محمد الزاهي، الرياض، ١٩٨٢م.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على ت:٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، تقديم: فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج٣، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، تحقيق: أيمن فواد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٤م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، ج١، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

المراجع:

- أحمد عبد الرازق: الرنوك في عصر سلاطين المماليك، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، مج٢١، ١٩٧٤م.
إسماعيل باشا البغدادي:
- هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، استانبول، ١٩٥١م.
- إيضاح المكنون في الكشف في الذيل على كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، ج٤، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص١٧٦.
- علاء طه رزق: السجون والعقوبات في عصر المماليك، دار عين للبحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- محمد جمال حامد الشوربجي: مجلس قراءة صحيح البخاري في قلعة الجبل في العصر المملوكي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، ع ١٠٦، يوليو ٢٠١٦م.
- محمد خير عيد: الإمارة الرمضانية التركمانية "أولاد رمضان"، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.
- محمد بك رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، مج٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- محمد عبد الرسول إبراهيم: فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية حتى ديسمبر ١٩٢٨م، ج٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٠م.

[الأحاديثُ الأربَعون من دَعَوَاتِ سَيِّدِ المُرسلين]

للحافظ عثمان الدِّيَمِي (ت ٩٠٨هـ)

تحقيق

د. طارق زوكاغ

المغرب

جَمَعَ المُحدِّثُ الفاضل عثمان بن ناصر الدِّيمي (ت٩٠٨هـ) في هذه الرسالة نُخبة من دعوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - تَلبِيَةً لِطلب بعض مُحِبيه؛ قصد نَيل بَركة الدعاء بها، حيث سار المؤلِّفُ - رحمه الله - في اختيار هذه الأحاديث على نَهج العديد من أئمة الحديث في جَمع أربعين منها وتدوينها في رسالة مُفردة؛ تَبركًا منهم بما نُقِلَ عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: **"من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من السنة، كُنت له شفيعًا يوم القيامة"**[1]، وفي رواية: **"مَن حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَربَعِينَ حديثًا فِيما يَنفَعُهُم من أَمرِ دِينِهِم؛ بُعث يوم القيامة من العلماء.**[2]**"**

وبالرغم من ضعف هذا الخبر[3]؛ إلاَّ أنَّ المُحَدِّثِين-رحمهم الله- اقتفوا هذا الأثر في التأليف، قال الإمام النووي-رحمه الله- في مقدمة شرح أربعينه: "وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثًا اقتداءً بهؤلاء الأئمة الأعلام وحُفَّاظِ الإسلام، وقد اتَّفقَ العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث، بل على قوله -صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث الصحيحة: **"لِيُبَلِّغ الشاهد منكم الغائب"**[4]، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: **"نَضَّرَ الله امرأ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاها كما سَمِعَهَا**[5]**"**. ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخطب، وكُلُّها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها"[6].

وعليه، فإنَّ هذا الجمع المبارك الذي بين أيدينا؛ حاز الفضل من جهة الموضوع الذي هو دعوات الرسول الأمين -صلى الله عليه وسلم-، ومن جهة المنهج الذي هو اقتفاء أثر المُحدِّثين في انتخاب أربعين حديثًا شريفاً.

أولًا: التعريف بالمؤلِّف[7]:

هو الحافظ الكبير عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر، أبو عمرو، فخر الدين الدِّيمي - بكسر

---

(١) أخرجه ابن عبد البر، في "جامع بيان العلم وفضله"(١/٥٢)، ثم قال: "هذا أحسن إسناد، ولكنه غير محفوظ ولا معروف من حديث مالك، ومن رواه عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته".

(٢) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، حديث رقم: ١٧٢٥، (٢/٢٧٠).

(٣) قال النووي: "واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وإن كثرت طُرقه". شرح الأربعين النووية"، النووي، (ص:٧).

(٤) "صحيح البخاري"، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، حديث رقم: ١٠٥.

(٥) "صحيح البخاري"، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم: ٦٧.

(٦) "شرح الأربعين النووية"، النووي، (ص:٦).

(٧) تُنظر ترجمته في "فهرس ابن غازي"(١٢٦-١٣٠)، و"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي(٥/١٤٠-١٤٢)، و"الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة" لنجم الدين الغزي (١/٢٦٠)، و"النور السافر عن أخبار القرن العاشر" لعبد القادر العيدروس(٨٢-٨٣)، و" فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات" لعبد الحي الكتاني(١/٤٠٩-٤١٠)، و"الأعلام" للزركلي (٤/٢١٤).

الدال المشددة وفتح الياء المُشَدَّدَة-[٨]، الشافعي المصري؛ من كبار المُتَخَرِّجين بسيد الحفاظ ابن حجر(ت٨٥٢هـ)، والمُعتَرَف لهم بسعة الحفظ والرواية والإكثار، اشتهر بين الناس بحفظ الرجال، وازدحم عليه الطلبة وصار له ذكر عند الخاصة والعامة، حَلاَّهُ الحافظ جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) بقوله: "كان الشيخ عثمان الديمي يحفظ عشرين ألف حديث"[٩]، وحَلاَّهُ -شيخ الجماعة- ابن غازي في فهرسته بقوله: "الإمام العلامة تاج المحدثين وإمام المُسندين"[١٠]، ثم ذكر إجازته له ولِعَدَدٍ من فقهاء الغرب الإسلامي؛ إجازة عامة في رواية مؤلفاته، وفي علوم كثيرة سماها لهم، وذلك سنة ٨٨٥هـ[١١]، وقال عبد الحي الكتاني في فهرس فهارسه: "وَقَفتُ على تَحْلِيَتِهِ في طبقة سماع أذكار النووي عليه؛ بالشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، مُحيِي سنة النبي عليه السلام"[١٢].

وبسبب عَدَمِ مَيل المُؤلِّف للتَّصنيف والتأليف؛ اعتبر السخاوي(ت٩٠٢هـ) أنه "إلى الصالحين أقرب منه إلى المحدثين"[١٣]، إلاَّ أنَّ جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) عَقَّبَ عليه بأبيات قال فيها[١٤]:

قل للسخاوي إن تعروك مشكلة علمي كبحر من الأمواج مُلتطم
والحافظ الدِّيمي غيث الغمام فخذ "غرفًا من البحر أو رَشفًا من الديم"

"قال بعض الفضلاء: والحق أنَّ كُلاًّ من الثلاثة كان فردًا في فَنِّهِ، مع المُشاركة في فنِّ غيره، فالسخاوي تَفَرَّد في معرفة عِلَلِ الحديث، والدِّيَمي بأسماء الرجال، والسيوطي بِحفظ المتن، والله أعلم، وكان بينه[أي؛السخاوي] وبين السيوطي مُنافرة كما يكون بين الأكابر"[١٥].

تُوفي الحافظ عثمان الدِّيَمي -رحمه الله- سنة ثمان وتسعمائة، وذكر ابن طولون أنه صُلِّيَ عليه غائبة بدمشق بالجامع الأموي[١٦].

ثانيًا: وصف المخطوط.

تُوجد مخطوطة هذه الرسالة؛ بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بمدينة تازة المغربية، تحت رقم:

---

(٨) يُنظر "فهرس الفهارس والأثبات" للكتاني، (٤٠٩/١)، والدِّيَمي نسبة إلى قرية من قرى مصر.

(٩) يُنظر "الكواكب السائرة" للغزي (٢٦٠/١)، "فهرس الفهارس والأثبات" للكتاني (ص:٤٠٩).

(١٠) يُنظر "فهرس ابن غازي"، (ص: ١٢٦).

(١١) يُنظر نص هذه الإجازة وتفاصيل شرحها في "فهرس ابن غازي"، (ص: ١٢٨-١٤٧).

(١٢) يُنظر "فهرس الفهارس والأثبات" للكتاني(٤٠٩/١).

(١٣) يُنظر"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي(١٤١/٥).

(١٤) يُنظر "فهرس الفهارس والأثبات" للكتاني (ص: ٤٠٩).

(١٥) المصدر نفسه (ص:٤١٠).

(١٦) "الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة"، نجم الدين الغزي(٢٦٠/١).

[٥٤٣/١]، وهي منسوبة في فهرس مخطوطاتها[١٧] خطًا لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)؛ بعنوان "**الأدعية النبوية**"[١٨]، وذلك بالرغم من كونها تَبْتَدِئُ بِذِكْرِ اسم مُؤلفها[١٩]، ورُبَمَا صيغة التَّحبِيس الواردة في صدر هذا المجموع المُحبَّس على خزانة المسجد؛ هي التي أوهمت نِسبتها للإمام السيوطي - رحمه الله -؛ حيث جاء فيها: [الحمد لله، حبَّس سيدنا الأجل، البركة الأحفل، سيدنا ومولانا عَلِي؛ نائبًا - حفظه الله - تعالى بالتَّحبِيسِ عن سيدنا ومولانا أمير المومنين[٢٠] وناصر الدين؛ تحبيسًا تامًا مؤبدًا على خزانة تازى من جامعها الأعظم، بهذا السِّفر المُشتمل على الخصائص الصغرى وما معها، قصد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، شهد بما فيه عنه من أشهده، وهو بحال كمال، وفي ثالث رمضان الأعظم، عام أربعة وثمانين ومائة وألف][٢١].

وقد كُتِبَت هذه المخطوطة على كاغد سميك سليم أصابت الأرضة بعض أطرافه؛ بخط مشرقي جميل، مُيِّزَت عناوين موادِهِ بالأحمر، ولم يُذكر فيها اسم الناسخ، أو تاريخ النسخ، أَمَّا مقاس المخطوط؛ فهو: [١٥x٨,٥/ ٨/ الأوراق: ٨/ المسطرة: ٢٩/ الكلمات: ١٤].

ويبتدئ المخطوط بـ: [قال الشيخ الإمام العلامة محيي السنة والدين بقية السلف الصالحين-عفا الله عنه بمنه وكرمه-؛ عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر التِّيمي الشافعي: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والتسليم على على سيد المرسلين وأكرم اللاحقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد سألني بعض الإخوان المُحِبين؛ أن أجمع له من الدعوات التي دعا بها سيد المُرسلين من الأحاديث

---

(١٧) يُنظر"فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة"، (٦٣١/٢)، تصنيف الدكتور عبد الرحيم العلمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية.

(١٨) يظهر أنَّ هذا العنوان من اختيار المُفهرس(عبد الحميد العلمي) استنادًا إلى موضوع الرسالة، الذي هو جمع أربعين حديثًا من الأدعية النبوية، لأننا لا نجد ضمن مُؤلفات السيوطي رسالة بهذا العنوان، قد نجد عناوين قريبة من هذه الصيغة، أو تشترك معها في موضوع التأليف، لكنها ليست مُتَطابقة معها في المحتوى والمضمون، مثل: [-أربعون حديثاً في رفع اليدين في الدعاء، -أربعون حديثاً في فضل الجهاد. -أربعون حديثاً في قواعد الأحكام الشرعية وفضائل الأعمال. -أربعون حديثاً في ورقة. - أربعون حديثاً من الصحاح والحسان. - أربعون حديثاً ويليها مسائل في أمور مختلفة].

(١٩) يُنظر الصفحة الأولى من المخطوطة.

(٢٠) "هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسني العلوي المالكي، ولد بمكناس سنة ١١٣٤هـ، وتولى الخلافة ما بين عشرين صفر (١١٧١هـ)، إلى ٢٤ رجب (١٢٠٤هـ)، جمع هذا السلطان المجاهد بين رئاسة الدين والدنيا، فقام بحماية الشواطئ المغربية، وتحرير مدينة الجديدة من يد البرتغال، وانتصر في معركة العرائش على الجيش الفرنسي، وهو أول رئيس دولة عربية إسلامية اعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، ورفض ربط العلاقات السلمية مع روسيا لمحاربتها للدولة العثمانية. وقد ألف كتبًا قيمة في الحديث، والفقه، والتصوف، والأدب، لكن أشهر مؤلفاته المطبوعة هي: الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية، توفي-رحمه الله- بمدينة الرباط، يوم الأحد ٢٥ رجب عام ١٢٠٤هـ الموافق ١٧٩٠م". تُنظر ترجمته في "الأعلام"، الزركلي، (٢٤١/٦-٢٤٢).

(٢١) يُنظر الصفحة الأولى من المخطوطة.

أربعين، فأجبته إلى ذلك طالبًا لثواب رب العالمين. الحديث الأول: عن أبي هريرة-رضي الله عنه-....].

وينتهي بقوله: [الحديث الأربعون، وبه اختتامها، عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-........- والحمد لله وحده، وصلى الله على أسعد خلقه، وأفضل أنبيائه ورُسله؛ سيدنا محمد وعلى آلِهِ وأصحابه وأزواجه وذُرِّيته وأهل بيته وجُنده ومُحِبِّيه، صلاة وسلامًا غير مُفترقين، بل مُتلازمين ما دَامَتِ السماوات والأرض، وما دام بَدَلَهُمَا -آمين-، وسلام على المُرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين].

أولا: منهج تحقيق المخطوط:

اعتمدت في التحقيق على النسخة المحفوظة بخزانة المسجد الأعظم بمدينة تازة - المغرب، بعدما لم يُسعفني الحظ في العثور على نُسخة ثانية أشفعها بها، وما شَجَّعَنِي على هذا العمل؛ كون المخطوطة سليمة المَتْنِ وحَسَنَةُ الخط؛ حيث عملت على رَقْنِهَا، ومُقابَلة ألفاظ الأحاديث الواردة في مَتن المخطوطة بمصادرها الأصلية؛ قصد تقويم بعض التَّصحيفات اليَسيرة الموجودة بها، وإضافة بعض الكلمات التي أسقطها الناسخ، وقد أشرت إلى ذلك في الهامش، مع ذِكر كُتب وأبواب وأرقام الأحاديث المذكورة في المتن، بالإضافة للتعريف بالصحابة الكرام-رضي الله عنهم- رواة الأحاديث تعريفًا موجزًا؛ اعتمدت فيه على كتاب "سير أعلام النبلاء" لشمس الدين الذهبي؛ عدا شكل بن حميد العبسي-رضي الله عنه- الذي لم أقف عليه في سِير الذهبي، فترجمة له من كتاب "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر القرطبي-رحمه الله-.

كما أنني صَدَّرتُ المخطوطة بالتعريف بمؤلفها عُثمان بن محمد بن عثمان الدِّيمي،

أما عنوانها؛ فهو مُقتَبَسٌ من قول المؤلف-رحمه الله- في المُقدِّمة: "سألني بعض الإخوان المُحِبين؛ أن أجمع له من الدعوات التي دعا بها سيد المُرسلين من الأحاديث أربعين، فأجبته إلى ذلك طالبًا لثواب رب العالمين".

هذا، وما كان في هذا العمل من توفيق فهو من فضل الله تعالى على عباده، وما كان فيه من خلل وخطأ ونقص فمن النفس والشيطان غلَّبنا الله عليهما.

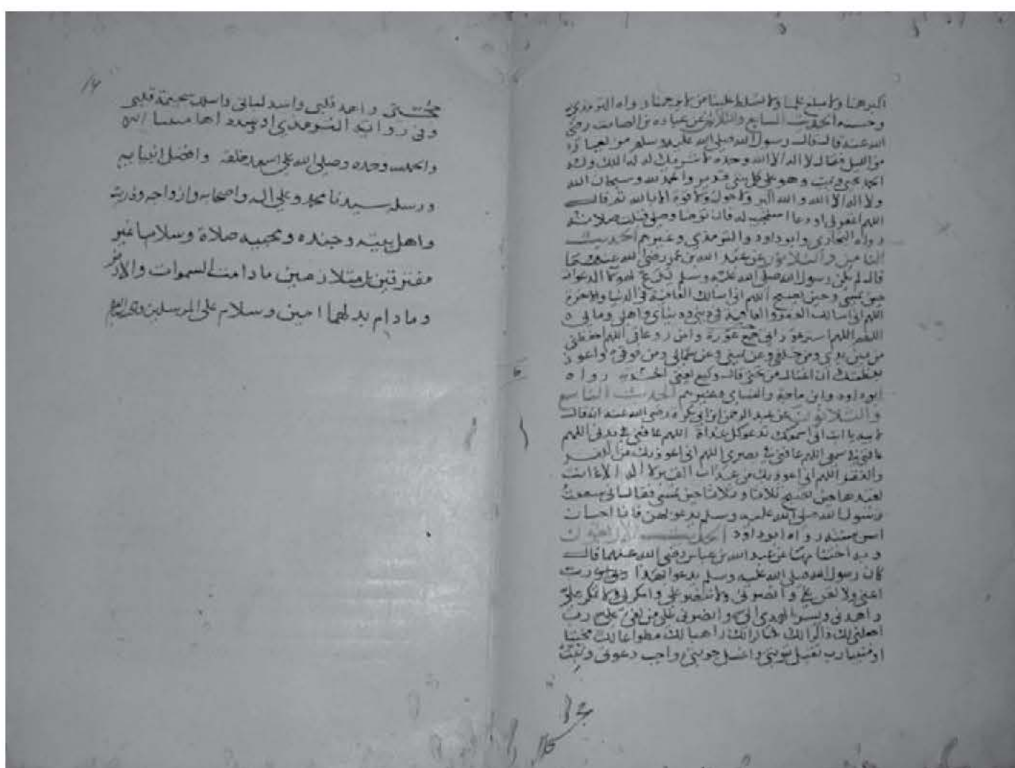
[صورة الصفحة الأولى من المخطوط]



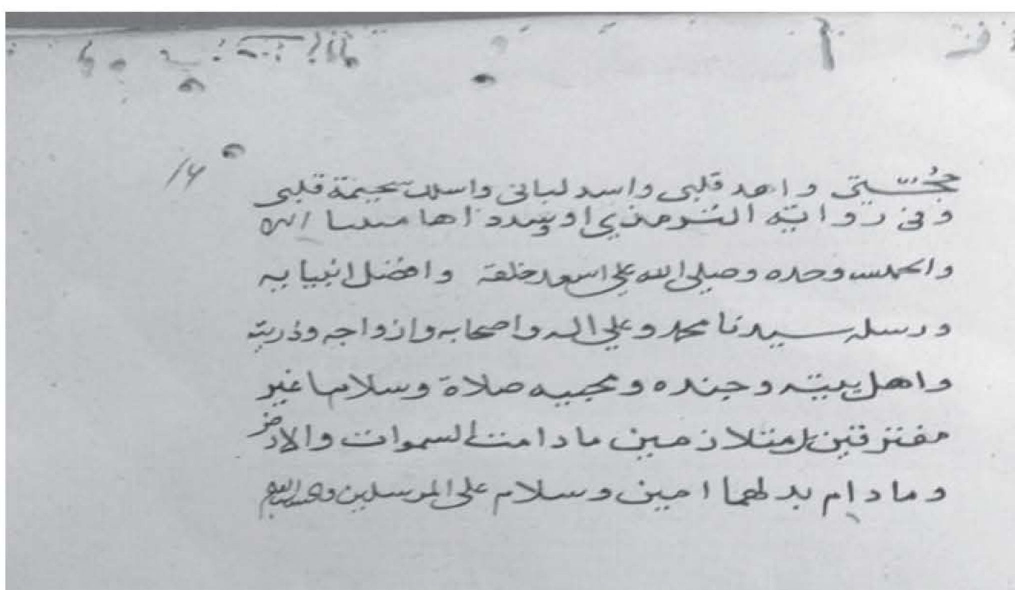
[صورة الصفحة الأولى والثانية من المخطوط]



[صورة الصفحة الأخيرة وما قبل الأخيرة من المخطوط]



[صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط]



حجتي واحد قلبي واسدد لساني واسلل سخيمة قلبي
وفي رواية الترمذي [illegible]
والحمد لله وحده وصلى الله على اسعد خلقه وافضل انبيائه
وسلم سيدنا محمد وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته
واهل بيته وجنده وحبيبه صلاة وسلاما غير
مفترقين ملازمين ما دامت السموات والارض
وما دام بدلهما امين وسلام على المرسلين والحمد لله

[الأحاديثُ الأربَعون من دَعَواتِ سَيِّدِ المُرسلين]

للحافظ عثمان الدَّيْمي (ت٩٠٨هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، قال الشيخ الإمام العلامة مُحيي السنة والدين؛ بقية السلف الصالحين، عفا الله عنه بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ، **عثمان[بن]**[٢٢] **محمد بن عثمان بن ناصر الدَّيْمي الشافعي:** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والتسليم على سيد المرسلين، وأكرم السابقين واللاَّحقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد سألني بعض الإخوان المُحِبين؛ أن أجمع له من الدعوات التي دعا بها سيد المُرسلين من الأحاديث أربعين، فأجبته إلى ذلك طالبًا لثواب رب العالمين.

- **الحديث الأول:** عن أبي هريرة[٢٣]-رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **"لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ"**. رواه بن ماجه في سننه[٢٤]، وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي في جامعه[٢٥]، وغيرهما.

- **الحديث الثاني:** عن أنس بن مالك[٢٦]-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **"الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ"**، رواه الترمذي[٢٧]، وغيره.

- **الحديث الثالث:** عن النعمان بن بشير[٢٨]-رضي الله عنهما-؛ أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم-

---

(٢٢) ساقطة من الأصل، والزيادة مُثبتة من كتب التراجم التي جاء فيها [عثمان بن محمد بن عثمان].

(٢٣) "عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات، حمل عن النبي ﷺ علماً كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، مُسنده؛ خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا، المُتَّفَقُ في البخاري ومسلم منها ثلاث مائة وستة وعشرون، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثًا، ومسلم بثمانية وتسعين حديثًا، ومات سنة تسع وخمسين للهجرة، وله ثمان وسبعون سنة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٥٩٩/٢-٦٣٢).

(٢٤) "سنن ابن ماجه"، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم: ٣٨٢٩.

(٢٥) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب فضل ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم: ٣٣٧٠.

(٢٦) "خادم رسول الله ﷺ، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتًا، اتفق له البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثًا، وانفرد البخاري بثمانين حديثًا، ومسلم بتسعين، مات سنة ثلاث وتسعين، عن مائة وثلاث سنين"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٣٩٦/٣-٤٠٦).

(٢٧) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب منه، حديث رقم: ٣٣٧١.

(٢٨) "أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، وُلِدَ-رضي الله عنه- سنة اثنتين وسمع من النبي ﷺ، وعُدَّ من الصحابة الصبيان باتفاق، مُسنَدُه مائة وأربعة عشر حديثًا، اتفقا له على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة، توفي سنة أربع وستين للهجرة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٤٦٢/٣).

قال: "**الدُّعَاءُ هُو العِبَادَة**"، رواه أبو داود[٢٩]، وابن ماجه[٣٠]، والترمذي[٣١]، والنسائي[٣٢]، وغيرهم.

● **الحديث الرابع:** عن أبي هريرة -رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "**من سَرَّه أن يَستَجِيبَ اللهُ دُعاءَه عند الشَّدَائِدِ والكُرَبِ، فليُكثِر الدُّعَاءَ في الرَّخَاءِ**"، رواه الترمذي[٣٣] وغيره.

● **الحديث الخامس:** عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: كان أكثر دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ "**اللَّهم آتنا في الدُّنيَا حَسَنَةً، وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّار**"، رواه البخاري[٣٤]، ومسلم[٣٥]، وغيرهما، زاد مسلم في روايته؛ قال: "**وَكَانَ أَنَس إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو بِدُعَاءٍ؛ دَعَا بِهَا فِيه**".

● **الحديث السادس:** عن عبد الله بن مسعود[٣٦]-رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "**اللَّهُمَّ إني أسألك الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى**". رواه مسلم[٣٧] وغيره.

● **الحديث السابع:** عن أبي بكر عبد الله بن عثمان الصديق[٣٨]-رضي الله عنهما-؛ أنه قال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: "**قُل اللَّهم إنِّي ظَلَمتُ نَفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يَغفر الذُّنُوبَ إلا أنت، فَاغْفِر لي مَغفِرَةً من عندك، وارحمني؛ إنَّكَ أنت الغفور الرحيم**".

(٢٩) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء، حديث رقم: ١٤٧٩.

(٣٠) "سنن ابن ماجه"، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، حديث رقم: ٣٨٢٨.

(٣١) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب منه ،حديث رقم: ٣٣٧٢.

(٣٢) "السنن الكبرى للنسائي"، كتاب التفسير، سورة غافر، حيث رقم: ١٠٩٥٨.

(٣٣) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء أنَّ دعوة المسلم مُستجابة، حديث رقم: ٣٣٨٢.

(٣٤) "صحيح البخاري"، كتاب الدعوات، باب قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة)، حديث رقم: ٦٣٨٩.

(٣٥) "صحيح مُسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء ب(اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار)، حديث رقم: ٢٦٩٠.

(٣٦) "عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري، اتفق له في الصحيحين على أربعة وستين، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثا، ومُسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثا، وله عند بقي بالمُكَرَّرِ ثماني مائة وأربعون حديثا، مات -رضي الله عنه- بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (١/٤٦٢-٤٦٦).

(٣٧) "صحيح مُسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شَرِّ ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧٢١.

(٣٨) "عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التَّيمِي، صاحب الرسول ﷺ وخليفته بعد موته، توفي مساء ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، وكانت خلافته سنتين ومائة يوم، وله ثلاث وستون سنة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢٨/٧-٢٠).

رواه البخاري[39] ومسلم[40] وغيرهما.

● الحديث الثامن: عن علي بن أبي طالب[41]-رضي الله عنه- قال: كان النبي-صلى الله عليه وسلم- إذا قام إلى الصلاة؛ يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: "**اللَّهم اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وما أخرت، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أَسْرَفْتُ، وما أَنتَ أَعلَمُ به مِنِّي، أَنتَ المُقدِّم وأنت المُؤَخِّرُ؛ لاَ إِلَهَ إلا أَنتَ**". رواه مسلم[42] وغيره.

● الحديث التاسع: عن عبد الله بن سرجيس[43]-رضي الله عنه- قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ إذا سَافَرَ **يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعثَاءِ السفر، وكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، والحَوْرِ بعد الكَونِ[الكَورِ]، ودَعْوَةِ المَظلُوم، وسُوءِ المَنْظَرِ في الأهل والمال**". رواه مسلم[44]، وغيره.

● الحديث العاشر: عن عبد الله بن سرجيس-رضي الله عنه-أيضًا؛ قال: كان النبي-صلى الله عليه وسلم- إذا سافر يقول: "**اللَّهم أنت الصَّاحِب في السَّفَرِ، والخَلِيفَةُ في الأَهلِ، [اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا في سفرنا]**[45] **اللَّهم إنِّي أَعوذُ بِكَ من وَعثاء السفر، وكآبة المُنقَلَب، والحور بعد الكور[الكون]**[46]**، ومن دعوة المظلوم، ومن سوء [المَنْظَرِ]**[47] في الأهل والمال". رواه ابن ماجه[48]، والترمذي، والنسائي[49]. وغيرهم.

---

(39) "صحيح البخاري"، كتاب الآذان، أبواب صفة الصلاة، حديث رقم: ٧٩٤.

(40) "صحيح مُسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض بالذكر، حديث رقم: ٤٨٨٣.

(41) "رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي ﷺ وصهره، وُلِدَ بمكة وتَربَّى في حِجْرِ النبي ﷺ، ولم يفارقه، وكان حامل اللواء في كثير من المشاهد، ولي الخلافة بعد مقتل عثمان سنة ٣٥هـ، وكان من أكابر الخطباء الفصحاء والعلماء القضاة، استشهد غيلة سنة أربعين للهجرة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢٥١-٢٢٣/٢٨).

(42) "صحيح مسلم"، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم: ١٢٩٦.

(43) "عبد الله بن سرجس المُزَني، الصحابي المُعَمَّرُ، من حُلفاء بني مخزوم، صح أن رسول الله ﷺ استغفر له، مات ابن سرجس في دولة عبد الملك بن مروان سنة نيف وثمانين بالبصرة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٤٢٧/٣).

(44) "صحيح مسلم"، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، حديث رقم: ١٣٤٣.

(45) ساقط من الأصل، والزيادة من سنن الترمذي الواردة في الأصل، يُنظر "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً، حديث رقم: ٣٤٣٩.

(46) ورد الحديث بلفظ [الكور] في "سنن ابن ماجة" و"سنن النسائي"، وبلفظ [الكون] في "سنن الترمذي".

(47) في الأصل [سوء المنقلب]، وورد الحديث بلفظ [سوء المنظر] في "سنن الترمذي" و"السنن الكبرى للنسائي"، و"سنن ابن ماجه".

(48) "سنن ابن ماجه"، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً، حديث رقم: ٣٨٨٨.

(49) "السنن الكبرى"، النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الحور بعد الكور، رقم: ٨٠٨٠.

● الحديث الحادي عشر: عن أبي أمامة[50] -رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول الله -صلى اله عليه وسلم- قال: **"من دَعَا بهؤلاء الدعوات في دُبُرِ كُلِّ صلاة مَكْتُوبَةٍ؛ حَلَّتْ له الشفاعة مِنِّي يوم القيامة: اللَّهم اعط محمدًا الوسيلة، و[اجعل][51] في المُصطفين مَحَبَّتَهُ، وفي العالَمِين رَحْمَتَهُ، وفي المُقَرَّبِينَ دَارَهُ"**. رواه الطبراني[52].

● الحديث الثاني عشر: عن عبد الله بن عمر[53] -رضي الله عنهما- قال: **"كَانَ مِنْ دُعَاءِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيتك، وفُجَأَةِ نِقمتك، وجَمِيعِ سَخَطِكَ"**. رواه مسلم[54]، وغيره.

● الحديث الثالث عشر: عن عائشة[55] -رضي الله عنها- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في دعائه: **"اللَّهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، ومِنْ شَرِّ ما لَمْ أَعْمَلْ**. رواه مسلم[56]، وغيره.

● الحديث الرابع عشر: عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري[57] -رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يدعو بهذا الدعاء؛ **"اللَّهم اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وجَهْلِي، وإِسْرَافِي في**

---

(50) "أبو اليُسر كعب بن عمرو الأنصاري، شهد العقبة وله عشرون سنة، له أحاديث قليلة، مات بالمدينة في سنة خمس وخمسين"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٣/٣٦٠-٣٦٣).

(51) في "المعجم الكبير" للطبراني [اجعله].

(52) "المعجم الكبير"، الطبراني، باب الصاد، من اسمه الصَّعْبُ، حديث رقم: ٧٨٥١.

(53) "عبد الله بن عمر بن الخطاب، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه، واستصغر يوم أُحُدٍ، أول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، ولابن عمر في " مُسنَدِ بَقِيٍّ" ألفان وستمائة وثلاثون حديثا بالمكرر، واتفق له الشيخان على مائة وثمانية وستين حديثًا، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثًا، ومسلم بأحد وثلاثين، مات -رضي الله عنه- سنة ثلاث وسبعين، عن سن تُقارب سبعًا وثمانين سنة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٣/٢٠٤-٢١٦).

(54) "صحيح مسلم"، كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حديث رقم: ٢٧٣٩.

(55) "عائشة أم المُومنين، وهي مِمَّن وُلِدَ في الإسلام، تزوجها الرسول ﷺ قبل الهجرة، و بعد وفاة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها-، ودخل بها بعدها، مُسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق الشيخان على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين، توفيت سنة ثمان وخمسين هجرية"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/١٣٥-٢٠١).

(56) ورد الحديث بلفظ [علمت] في الأصل، وبلفظ[عملت] في "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧١٦.

وفي مسند الإمام أحمد، من مسند الصديقة عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها- قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا عَلِمْتَ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ".

(57) "عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري الزبيدي، اليماني صاحب رسول الله ﷺ الإمام الكبير، الفقيه المقرئ، وكان حسن الصوت، فاضلاً، عابدًا جمع بين العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ، اختُلِفَ في سنة وفاته، ولَعَلَّ الأقرب والأصح أنه في ٤٤ هـ"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/٣٨١-٤٠٢).

أَمْرِي، وما أَنْتَ أَعْلَمُ به مِنِّي، اللَّهم اغْفِرْ لِي جِدِّي وهَزْلِي، وخَطَئِي وعَمْدِي، وكُلُّ ذلك مِنِّي، اللَّهم اغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أنت أَعْلَمُ به مِنِّي، أنت المُقَدِّمُ وأنت المُؤَخِّر، وأنت على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". رواه البخاري[58]، ومسلم[59]، وغيرهما.

● الحديث الخامس عشر: عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **"اللَّهُم أَصْلِحْ لِي دِينِي الذي هو عِصمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ التي فيها مَعَاشِي، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي التي فيها مَعادي، واجْعَل الحياةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، واجْعَل الموت رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"**. رواه مسلم[60]، وغيره.

● الحديث السادس عشر: عن زيد بن أرقم[61]-رضي الله عنه- أَنَّهُ قال: **"أَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَما كَانَ** رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول؛ كان يقول: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، والهَرَمِ وعذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتي نَفْسِي تَقْوَاهَا، وزَكِّهَا أنتَ خَيرُ من زَكَّاهَا، أنت وَلِيُّهَا ومَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنفَع، ومِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَع، ومِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَع، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا"**. رواه مسلم[62]، وغيره.

● الحديث السابع عشر: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لِمُعَاذِ بنِ جَبَلَ[63]-رضي الله عنه-: **"أَلاَ أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو به، لو كَانَ عَلَيكَ مِثْلُ جبل أُحُد دَيْنًا؛ لأَدَّاهُ اللهُ عَنكَ، قُلْ يا مُعاذ: اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلك، تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ، وتُعِزُّ**

[الأحاديثُ الأربعون من دَعَوَاتِ سَيِّدِ المُرسلين]

---

(٥٨) "صحيح البخاري"، كتاب الدعوات، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، حديث رقم: ٦٠٣٥.

(٥٩) "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧١٩.

(٦٠) "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧٢٠.

(٦١) "زيد بن قيس بن النعمان بن مالك، الأنصاري الخزرجي، نزيل الكوفة، من مشاهير الصحابة-رضي الله عنهم-، شهد غزوة مؤتة وغيرها، وله عدة أحاديث، مات بالكوفة سنة ثمان وستين"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (١٦٦/٣-١٦٨).

(٦٢) "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧٢٢.

(٦٣) "معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، السيد الفقيه، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدرًا وأحدًا، بعثه النبي ﷺ بعد غزوة تبوك قاضيًا ومُرشدًا لأهل اليمن، ثم عاد إلى المدينة في عهد أبي بكر-رضي الله عنه- فكان مع أبي عبيدة بن الجراح في غزو الشام، واستخلفه حين أُصيبَ في طاعون عمواس، فلم يلبث أن مات هو أيضًا في ذلك الطاعون سنة ثمانية عشر للهجرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٤٤٤/١-٤٦١).

مَنْ تَشَاءُ، وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ؛ إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَانَ الدنيا والآخرة ورَحيمَهُمَا، تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ، وتَمنَعهُمَا مَنْ تَشاء؛ ارحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِنِي بها عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِواك". رواه الطبراني في "المعجم الصغير"[٦٤] بإسناد حسن، ورواه غيره.

- الحديث الثامن عشر: عن أنس بن مالك –رضي الله عنه- قال: **"كَانَ رَسُولُ الله** -صلى الله عليه وسلم- **إذا غَـزَا؛ قَالَ: اللَّهُمَّ أنت عَضُدِي ونَصْرِي، بِكَ أَحُولُ وبِكَ أَصُولُ وبِكَ أُقَاتِلُ"**. رواه أبو داود[٦٥]، والترمذي[٦٦]، والنسائي[٦٧]، وغيرهم.

- الحديث التاسع عشر: عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم- كان إذا خاف قومًا قال: **"اللَّهم إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهم، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ"**. رواه أبو داود[٦٨]، والنسائي[٦٩]، وغيرهما.

- الحديث العشرون: عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إذا علا شيئًا من الأرض؛ قال: **"اللَّهُمَّ لَكَ الشَّرَفُ على كُلِّ شَرَفٍ، ولَكَ الحَمْدُ عَلَى كُلِّ حَالٍ"**. رواه ابن السني[٧٠].

- الحديث الحادي والعشرون: عن صهيب بن سنان[٧١]–رضي الله عنه-؛ أنَّ النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يَرَ قرية يُريد دُخولها إلاَّ قال حين يَرَاها: **"اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ومَا أَظْلَلْنَ، والأَرَاضِينَ السَّبْعِ ومَا أَقْلَلْنَ، ورَبَّ الشَّيَاطِين وما أَضْلَلْنَ، ورَبَّ الرِّيَاحِ ومَا ذَرَيْنَ؛ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذه القَرْيَةِ وخَيْرَ أَهْلَهَا وخَيْرَ ما فيها، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وشَرِّ أَهْلِهَا وشَرِّ مَا فِيهَا"**. رواه ابن السني[٧٢]، والنسائي[٧٣]، وغيرهما.

---

(٦٤) "المعجم الصغير للطبراني"، باب العين، حديث رقم: ٥٣١.

(٦٥) "سنن أبي داود"، كتاب الجهاد، باب ما يُدعى عند اللقاء، حديث رقم: ٢٦٣٢.

(٦٦) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا غزا، حديث رقم: ٣٥٨٤.

(٦٧) "السنن الكبرى للنسائي"، كتاب السير، باب الدعاء عند اللقاء، حديث رقم: ٨٣٢٠

(٦٨) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا خاف قوماً، حديث رقم: ١٥٣٧.

(٦٩) "السنن الكبرى للنسائي"، كتاب السير، باب الدعاء إذا خاف قوماً، حديث رقم: ٨٣٢١

(٧٠) "عمل اليوم والليلة"، ابن السني، بَابُ : مَا يَقُولُ إِذَا عَلا شَرَفًا من الأَرض، حديث رقم: ٥١٧.

(٧١) "أبو يحيى صهيب بن سنان النمري، ويعرف بالرومي؛ لأَنَّهُ أقام في الروم مدة، من كبار السابقين البدريين، له نحو من ثلاثين حديثًا، روى له مسلم منها ثلاثة أحاديث، مات صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين عن سبعين سنة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/١٨-٢٦).

(٧٢) "عمل اليوم والليلة"، ابن السني، بَابُ : مَا يَقُولُ إِذَا عَلا شَرَفًا من الأَرض، حديث رقم: ٥١٩.

(٧٣) "السنن الكبرى للنسائي"، كتاب الحج، جماع أبواب آداب السفر، باب ما يقول إذا رأى قرية يُريد دخولها، حديث رقم: ١٠٠٩٣.

● الحديث الثاني والعشرون: عن خولة بنت[حكيم][٧٤]-رضي الله عنهما- قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "**من نَـزَل منزِلًا ثُمَّ قالَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ من شَرِّ ما خَلَقَ؛ لم يَضُره شَيءٌ حتى يَدْخُلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلك**". رواه مالك[٧٥]، ومسلم[٧٦]، والترمذي[٧٧]، وغيرهم.

● الحديث الثالث والعشرون: عن عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؛ إذا سافر فأقبل الليل قال: "**يا أرضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ؛ أعُوذُ بِاللهِ من شَرِّكِ وشَرِّ ما فيكِ، وشَرِّ ما خُلِقَ فيكِ، وشَرِّ ما يَدِبُّ عَلَيكِ، [و] أعُوذُ [باللهِ] بِكَ مِنْ أسَدٍ وأسْوَدَ، ومِنَ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ، و[مِنْ] سَاكِنِ البَلَدِ، ومِنْ وَالِدٍ ومَا وَلَدَ**"[٧٨]. رواه أبوداود[٧٩]، وغيره.

● الحديث الرابع والعشرون: عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- أنَّ رجلًا جاء إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله أيُّ الدُّعاءِ أفضل، قال: "**سَلْ رَبَّكَ العَافِيةَ والمُعَافَاةَ الدَّائِمَةَ في الدنيا والآخِرَةِ**، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله أيُّ الدُّعاءِ أفضل، **فقال له مثل ذلك، قال: فإذا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ في الدُّنيا، وأُعْطِيتَهَا في الآخِرَةِ؛ فَقَدْ أفْلَحْتَ**". رواه ابن ماجه[٨٠]، والترمذي[٨١] وحسنه، وغيرهما.

● الحديث الخامس والعشرون: عن أبي أمامة-رضي الله عنه- قال: دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بِدُعاءٍ كثيرٍ لم نَحْفَظْ مِنْهُ، فقلت: يا رسول الله؛ [دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ لم] [٨٢] نحفظ منه شيئًا، فقال: "**ألا أدُلُّكم على ما يَجْمَعُ ذلك كُلَّهُ؟ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ من خَيْرِ ما سَأَلَكَ منه نَبِيُّكَ محمد**-صلى الله عليه وسلم-، **ونَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ**-صلى الله عليه وسلم-، **وأنْتَ المُسْتَعَانُ، وإلَيكَ البَلاغُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ**". رواه الترمذي[٨٣] وحسنه، ورواه غيره.

---

(٧٤) في الأصل [خولة بنت حطب] وهو تصحيف والصواب خولة بنت حكيم، وهي: "خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة السلمية، زوجة عثمان بن مظعون-رضي الله عنهما-". "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢٦١/٢).

(٧٥)- "موطأ الإمام مالك"، كتاب الاستئذان، باب ما يؤمر به من الكلام في السفر.

(٧٦)- "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، حديث رقم: ٢٧٠٨.

(٧٧) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، حديث رقم: ٣٤٣٧.

(٧٨) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والزيادة من "سنن أبي داود".

(٧٩) "سنن أبي داود"، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل، حديث رقم: ٢٦٠٣.

(٨٠) "سنن ابن ماجه"، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم: ٣٨٤٨.

(٨١) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب منه، حديث رقم: ٣٥١٢.

(٨٢) ساقط من الأصل، والزيادة من "سنن الترمذي".

(٨٣) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب منه، حديث رقم: ٣٥٢١.

● الحديث السادس والعشرون: عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-؛ أنَّ النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "**اللَّهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ والجُنُونِ والجُذَامِ وسَيِّئِ الأَسْقَامِ**". رواه أبوداود[٨٤]، والنسائي[٨٥]، وغيرهما.

● **الحديث السابع والعشرون**: عن أبي هريرة-رضي الله عنه-؛ قال: كَانَ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإنَّهُ بِئْسَ [الضَّجِيعِ]**[٨٦]**، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإنَّهَا بِئْسَ البِطَانَـةِ**". رواه أبو داود[٨٧]، والنسائي[٨٨]، وغيرهما.

● **الحديث الثامن والعشرون**: عن شَكَل بن حُمَيد[٨٩]-رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله؛ عَلِّمني دعاء، قال: "**قُل: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، ومِنْ شَرِّ بَصَرِي، ومِنْ شَرِّ لِسَانِي، ومِنْ شرِّ قَلْبِي، ومِنْ شَرِّ مَنِيِّي**". رواه أبو داود[٩٠] والترمذي[٩١] وحسنه، وغيرهما.

● **الحديث التاسع والعشرون**: عن عمران بن حُصين[٩٢] بن عبيد الخزاعي-رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عَلَّم أباه حُصَينًا كَلِمَتَين يَدعُو بهما؛ "**اللَّهم أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي من شَرِّ نَفْسِي**". رواه الترمذي[٩٣] وحسنه، وغيره.

● **الحديث الثلاثون**: عن أبي هريرة-رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "**اللَّهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ والنِّفَاقِ، وسُوءِ الأَخْلَاقِ**". رواه أبو داود[٩٤]، والترمذي، وغيره.

---

(٨٤) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، حديث رقم: ١٥٥٤.

(٨٥) "سنن النسائي"، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الجنون، حديث رقم: ٥٤٩٣.

(٨٦) في الأصل[المضجع]، وفي "سنن أبي داود"، و"سنن النسائي" ورد الحديث بلفظ [الضجيع].

(٨٧) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعادة، حديث رقم: ١٥٤٧.

(٨٨) "سنن النسائي"، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الجوع، حديث رقم: ٥٤٦٨.

(٨٩) "شَكَل بن حُميد العَبْسي؛ أحد الصحابة -رضي الله عنهم-، له حديث واحد فقط". يُنظر"الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ابن عبد البر(٢/٢٦٧).

(٩٠) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، حديث رقم: ١٥٥١.

(٩١) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، حديث رقم: ٣٤٩٢.

(٩٢) "عمران بن حصين بن عبيد بن خلف، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة، ولي قضاء البصرة، مُسنده مائة وثمانون حديث، اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ومسلم بتسعة، توفي -رضي الله عنه- سنة اثنتين وخمسين"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/٥٠٨-٥١٢).

(٩٣) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم: ٣٤٨٣.

(٩٤) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، حديث رقم: ١٥٤٦.

● **الحديث الحادي والثلاثون:** عن أبي الدرداء[٩٥]-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "**كان من دُعاء داود-عليه السلام-: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، والعَمَلَ الذي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهم اجْعَل حُبَّكَ أَحَبَّ إليَّ من نَفْسِي وَأَهْلِي، ومِنَ المَاءِ البَارِدِ**". رواه الترمذي[٩٦] وحسنه، ورواه غيره.

● **الحديث الثاني والثلاثون:** عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "**اللَّهم مُقَلِّبَ القُلُوبِ؛ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ**". رواه مسلم[٩٧] وغيره.

● **الحديث الثالث والثلاثون:** عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "**اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وسَدِّدْنِي**"، وفي رواية: "**اللَّهم [الْهُدَى]**[٩٨] **والسَّدَادَ**". رواه مسلم[٩٩]، وغيره.

● **الحديث الرابع والثلاثون:** عن ابن عباس[١٠٠]-رضي الله عنهما-؛ أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهم إنِّي أعُوذُ بعِزَّتِكَ؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ [أَنْ] تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ[الذي] لاَ تَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ**[١٠١] ". رواه البخاري[١٠٢]، ومُسلم[١٠٣]، وغيرهما.

● **الحديث الخامس والثلاثون:** عن أبي اليُسر كعب بن [عمرو][١٠٤]-رضي الله عنه-؛ أنَّ رسول

---

(٩٥) "أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس، يروى له مائة وتسعة وسبعون حديثًا، وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ، توفي -رضي الله عنه- سنة اثنتين وثلاثين". "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/٣٣٦-٣٥٣).

(٩٦) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح، حديث رقم: ٣٤٩٠.

(٩٧) "صحيح مسلم"، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث رقم: ٢٦٥٤.

(٩٨) في الأصل [الهدي]، وفي "صحيح مسلم" [الهُدى].

(٩٩) "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شَرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧٢٥.

(١٠٠) "عبد الله بن عباس بن عبد المطلب -رضي الله عنهما- حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، ابن عم الرسول ﷺ، وُلِدَ بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين، ومُسْنَدُهُ ألف وستمائة وستون حديثًا، وله من ذلك في "الصحيحين" خمسة وسبعون، تَفَرَّدَ البخاري له بمائة وعشرين حديثًا، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث، تُوفي-رضي الله عنه-سنة ثمان أو سبع وستين للهجرة". "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٣/٣٣٢-٣٥٩).

(١٠١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، والزيادة من رواية مُسلم للحديث في صحيحه.

(١٠٢) "صحيح البخاري"، كتاب التهجد، باب التهجد بليل، حديث رقم: ١٠٦٩.

(١٠٣) "صحيح مسلم"، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: ٢٧١٧.

(١٠٤) في الأصل[عمر]، وهو "أبو اليُسر كعب بن عمرو الأنصاري، شهد العقبة، وله عشرون سنة، له أحاديث قليلة، مات بالمدينة في سنة خمس وخمسين" "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/٥٣٨).

الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: "**اللَّهم إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وأَعُوذُ بِكَ من الغَرَقِ والحَرْقِ والهَرَمِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشيطان عِنْدَ المَوتِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أن أَمُوتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمُوتَ [لَدِيغًا]**(١٠٥) ". رواه أبوداود(١٠٦)، والنسائي(١٠٧)، وغيرهما.

● **الحديث السادس والثلاثون**: عن عبد الله بن عُمَر -رضي الله عنهما- قال: ما كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقوم من مجلس حتى يَدعُو بهؤلاء الدعوات لأصحابه؛ "**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَينَ مَعْصِيَتِكَ، ومِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ اليَقِين ما تُهَوِّن به عَلَيْنَا [مُصِيبَاتِ]**(١٠٨) **الدُّنْيَا، [و]**(١٠٩) **مَتِّعنا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرنَا عَلَى مَنْ عَادَانا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلْ الدُّنيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، ولا تُسَلِّطْ عَلينَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا**". رواه الترمذي(١١٠) وحسنه.

● **الحديث السابع والثلاثون**: عن عبادة بن الصامت(١١١)-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "**من تَعَارَّ مِنَ اللَّيلِ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ، يُحيي ويُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، سُبحَانَ اللهِ والحَمْدُ لِلَّهِ، ولاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أكبَرُ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ، ثم قال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ استُجِيبَ له، فإنْ تَوَضَّأَ وصَلَّى قُبِلَت صَلاَتُهُ**". رواه البخاري(١١٢)، وأبو داود(١١٣)، والترمذي(١١٤)، وغيرهم.

● الحديث الثامن والثلاثون: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله-صلى الله عليه وسلم- يَدَعُ هَؤلاء الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وحِينَ يُصْبِح؛ "**اللَّهُمَّ إِنِّي أسألك العَفْوَ والعَافِيَةِ في دِيني ودُنْيَايَ، وأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وآمِنْ عَوْرَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ**

---

(١٠٥) كلمة غير مقروءة في الأصل، والزيادة من"سنن أبي داود"، و"سنن النسائي".

(١٠٦) "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، حديث رقم: ١٥٥٢.

(١٠٧) "سنن النسائي"، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من التردي والهدم، حديث رقم: ٥٥٣١.

(١٠٨) في الأصل [مصائب]، وفي "سنن الترمذي" [مصيبات].

(١٠٩) زيادة من "سنن الترمذي"، وفي الأصل [اللَّهم متعنا].

(١١٠) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، حديث رقم: ٣٥٠٢.

(١١١) "عبادة بن قيس أبو الوليد الأنصاري، الإمام القدوة، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين سكن بيت المقدس، ساق له بُقَيّ في مُسنَدِهِ مائة وأحدا وثمانين حديثا، وله في البخاري ومسلم ستة؛ انفرد البخاري بحديثين، ومسلم بحديثين، مات-رضي الله عنه- سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٢/٥-١١).

(١١٢) "صحيح البخاري"، كتاب التهجد، باب فضل من تَعار من الليل فصلى، حديث رقم: ١١٠٣.

(١١٣) "سنن أبي داود"، أبواب النوم، باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، حديث رقم: ٥٠٦٠.

(١١٤) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل، حديث رقم، ٣٤١٤.

خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي". قال وكيع: يَعْنِي الخَسف. رواه أبو داود[115]، وابن ماجه[116]، والنسائي[117]، وغيرهم.

● **الحديث التاسع والثلاثون:** عن عبد الرحمن بن أبي بكرة[118]-رضي الله عنه-؛ أَنَّهُ قال لأبيه: يا أبت إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ؛ " **اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصرِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ، اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**". تُعيدها حين تُصْبِحُ ثَلاثًا، وثَلاثًا حِينَ تُمْسِي، فقال: إِنِّي سَمِعْتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ [أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ][119] ". رواه أبو داود[120].

● **الحديث الأربعون:** وبه اخْتِتَامُهَا؛ عن عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يَدْعُو بهذا؛ "**رَبِّ أَعِنِّي ولا تُعِنْ عَلَيَّ، وانْصُرنِي ولا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وامكُرْ لِي ولا تَمكُرْ عليَّ، واهْدِنِي ويَسِّرْ الهُدَى إليَّ، وانْصُرنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ ذَاكِرًا؛ لَكَ شَاكِرًا، لك رَاهِبًا، لك مِطوَاعًا، لك مُخبِتًا [أو][121] مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوبَتِي واغْسِلْ حَوبَتِي وأَجِبْ دَعْوَتِي وثَبِّت حُجَّتِي، واهْدِ قَلبي و[سَدِّدْ][122] لساني، واسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلبي**". وفي رواية الترمذي[123] "وسَدِّدْ".

والحمد لله وحده، وصلى الله على أسعد خلقه، وأفضل أنبيائه ورُسله؛ سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذُرّيته وأهل بيته وجُنده ومُحِبّيه، صلاة وسلامًا غير مُفترقين، بل مُتلازمين ما دَامَتِ السماوات والأرض، وما دام بَذلُهُمَا -آمين-، وسلام على المُرسلين، والحمد لله رَبِّ العالمين.

---

(115) "سنن أبي داود"، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، حديث رقم: ٥٠٧٤.

(116) "سنن ابن ماجه"، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، حديث رقم: ٣٨٧١.

(117) "سنن النسائي"، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الخسف، حديث رقم: ٥٥٢٩.

(118) "اسمه نفيع بن الحارث أو نفيع بن مسروح، تَدَلَّى في حصار الطائف ببَكْرة، وفر إلى النبي-صلى الله عليه وسلم، وأسلم على يده وأعلمه أنه عبدٌ، فأعتقه، فمن يومئذ كني بأبي بكرة. روى جملة أحاديث، حدث عنه بنوه الأربع: عبيد الله، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، ومسلم، وأبو عثمان النهدي، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعقبة ابن صهبان وربعي بن حراش، والأحنف بن قيس، وغيرهم، سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، مات سنة إحدى وخمسين وقيل: مات سنة اثنتين وخمسين"، "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، (٣/٥-١٠).

(119) في الأصل[أَسُنَّ سُنَّتُهُ]، وفي "سنن أبي داود" بلفظ [أَستَن بِسُنَّتِه].

(120) "سنن أبي داود"، أبواب النوم، حديث رقم: ٥٠٩٠.

(121) ورد الحديث في"سنن أبي داود" بلفظ [أو منيباً]، و في "سنن الترمذي" بلفظ [أواها مُنيباً].

(122) في الأصل [اسد]، ووردت رواية الحديث بلفظ [سَدِّدْ] في كتب الحديث الشريف التي وقفت عليها، يُنظر "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، حديث رقم: ١٥١٠. وفي "سنن ابن ماجه"، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم: ٣٨٣٠.

(123) "سنن الترمذي"، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم: ٣٥٥١.

[الأحاديثُ الأربَعون من دَعَوَاتِ سَيِّدِ المُرسلين]

قائمة المصادر والمراجع:

- "الأعلام"، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة:١٥، سنة ٢٠٠٢م.
- "جامع بيان العلم وفضله"، ابن عبد البر القرطبي، دار الفكر، د.ت.
- "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ابن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- "سنن أبي داود"، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-بيروت، د.ت.
- "سنن الترمذي"، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة(ت٢٧٩هـ)، ، تحقيق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ت.
- "السنن الكبرى"، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تقديم عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الأولى، (١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م).
- "سنن النسائي"، أحمد بن شعيب بن علي بن الخراساني النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، الطبعة الثانية: (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- "سير أعلام النبلاء"، شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تحقيق تحت إشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة: (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، محمد بن محمد بن مخلوف، المطبعة السلفية-القاهرة، طبعة سنة ١٣٤٩هـ.
- "شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، لمحيي الدين النووي، مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- "شعب الإيمان"، لأحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ)، ، تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: ١، سنة ١٤١٠هـ.

- "صحيح البخاري"، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- "صحيح مسلم"، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).
- "عمل اليوم والليلة"، أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري الشافعي المعروف بابن السُّني(٣٦٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن كوثر البرني، دار الأرقم بن أبي الأرقم/بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- "فهرس ابن غازي"، تحقيق محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع-تونس، د.ت.
- "فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات"، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، اعتنى به إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية: (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- "فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة"، تصنيف الدكتور عبد الرحيم العلمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية.
- "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، شمس الدين السخاوي(ت٩٠٢هـ)، دار الجيل-بيروت، الطبعة الأولى: سنة (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- "الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة"، نجم الدين محمد الغَزِّي (ت١٠٦٠هـ)، اعتناء خليل منصور، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- "المعجم الصغير"، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي-دار عمار/ بيروت، الطبعة الأولى: (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- "المعجم الكبير"، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، د.ت.

- "الموطأ"، الإمام مالك بن أنس(ت١٧٣هـ) ، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، سنة النشر: (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م)، د.ت.
- "النور السافر عن أخبار القرن العاشر"، عبد القادر العيدروس (ت١٠٣٨هـ)، تحقيق أحمد حالو، ومحمود الأرنؤوط، أكرم البوشي، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م.

بديع المقال في ذكر تقلّبات الأحوال
وامتداح مَن نَبَع مِن بَيْن أنامِلِه الزّلال
للإمام الشران

بديع المقال في ذكر تقلبات الأحوال وامتداح مَن نَبَع مِن بَيْن أنامِلِه الزّلال للإمام الشران

تحقيق

د. عبد القادر باجي

الجـزائـر

القسم الأوّل: قسم الدراسة

المبحث الأوّل: حياة الإمام الشّرّان[1]

المطلب الأوّل: اسمه ونسبه، مولده ونشأته، طلبه للعلم:

هو محمّد بن إبراهيم، أبو عبد الله، الشّرّان، الأندلسي، الغرناطي. فاسمه محمّد، وكنيته أبو عبد الله، وعُرف بالشّرّان. واسم والده إبراهيم، وكُنيته أبو إسحاق.

ولد بغرناطة من بلاد الأندلس، وبها نما وترعرع، وأخذ العلم. ولم يُشِر المترجمون له إلى تاريخ مولده، ويظهر أنّه ولد في النّصف الثّاني من القرن الثّامن الهجري، وذلك بالنّظر إلى تاريخ كوْنِه حيّا سنة: ٨٣٧هـ.

وقد أخذ العلم عن والده في بادئ الأمر، وهي عادة العلماء مع أبنائهم؛ حيث وصف والده التّنبكتي بما يلي: " الشّيخ الفاضل الماجد الأرفع الأعزّ الأوجه أبي إسحاق"[2].

والتقى بعلماء وفقهاء من جيله، أمثال أحمد بن حرشون[3] به؛ حيث ذكر المقّري نظمًا للشّرّان يخاطب فيه الفقيه ابن حرشون، وقد أهدى له قُرص زعفران.[4]

وذكر ابن الأزرق[5] أنّه التقى به، كما ذكر لقاءه لعمر المالقي[6].

---

(١) انظر مصادر ومراجع ترجمته في:

- أزهار الرّياض في أخبار عياض، أحمد بن محمّد المقّري التّلمساني شهاب الدّين، اعتناء: مصطفى السّقّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ١١٦/١، ١٣٣، ١٤٥.

(٢) انظر: نيل الابتهاج، ص٥٣٣.

(٣) ابن حرشون هو: سيدي أحمد بن حرشون الأندلسي الغرناطي. ذكره المقّري، ونعته بالفقيه الصّالح. انظر: أزهار الرّياض، ١٣٣/١. ولم أقف له على ترجمة وافرة.

(٤) انظر: أزهار الرّياض، ١٣٣/١.

(٥) ابن الأزرق هو: محمّد بن عليّ بن محمّد، أبو عبد الله، شمس الدّين، الأصبحي، الغرناطي، الأندلسي، المعروف بابن الأزرق. فقيه مالكيّ مشارك في بعض العلوم، تولّى القضاء بغرناطة إلى أن استولى عليها الفرنج. توفّي بالقدس سنة: ٨٩٦هـ/١٤٩١م. من آثاره: شفاء الغليل في شرح مختصر خليل، بدائع السّلك في طبائع الملك. انظر: نيل الابتهاج، رقم: ٦٩٠، ص٥٦١. شجرة النّور، رقم: ٩٦٠، ٢٦١/١، ٢٦٢. معجم المؤلّفين، رقم: ١٤٨٥٧، ٥٣٤/٣.

(٦) انظر: روضة الإعلام لابن الأزرق، ٥٩٢/٢.

والمالقي هو: عمر بن عليّ المالقي الأندلسي. العالم الماهر المحقّق الأديب الألمعي. كان بالحياة سنة: ٨٤٤هـ. شجرة النّور، رقم: ٨٩٦، ٢٤٨/١. ولم أقف له على ترجمة أخرى.

ولقي أبا الفضل ابن جماعة[1]، وحدثت له معه حادثة في زمنه. فقد حكى الحافظ أبو عبد الله التّنسي[2] أنّه لمّ صُرف الفقيه أبو الفضل ابن جماعة عن رياسة الكتابة بغرناطة إلى قضاء الجماعة، ووُلّي مكانَه ابن الشّرّان، لقي بعض رؤساء الدّولة ابنَ جماعة، فقال له: يا سيّدي، إنّ السّرّ الذي عهدناه في الحضرة غاب عنها بغيْبتك؛ فقال له: وكيف لا وقد تركتم الفضل المجموع، وأخذتم الشّرّ المكرّر. وقد كان بين ابن جماعة والشّران ما يكون بين الأقران.[3]

المطلب الثّاني: وفاته وأقوال العلماء فيه:

لم يذكر المترجمون له تاريخ وفاته، وذكروا أنّه كان حيًّا سنة: ٨٣٧هـ/١٤٣٤م. ويُحتمل أنّه فُقد في أحدِ المعارك كما حدث في معركة طريف المشهورة، وفُقد فيها كثير من العلماء والفقهاء.[4]

وقد أثنى عليه بعض العلماء والمترجمين له، فنعته ابن فركون[5] بقوله: "الكاتب الأبرع".[6]

وقال القلصادي[7]: "والشّرّان هو قاضي الجماعة بغرناطة، اشتهر بنظمه الرّائق".[8]

وقال القلصادي أيضًا في مقدّمة شرحه على نظم الشّرّان في الفرائض: "الأديب الرّئيس بالحضرة

---

(١) ابن جماعة: لم أقف على ترجمة ابن جماعة أبو الفضل هذا الذي ولي القضاء بغرناطة وكان معاصرًا للإمام الشّرّان. وهناك من العلماء من اشتهر بابن جماعة، منهم: بدر الدّين بن جماعة أبو عبد الله الكناني الحموي، ومحمّد بن أبي بكر بن جماعة أبو عبد الله عزّ الدّين الحموي المصري (ت٨١٩هـ).

(٢) التّنسي هو: محمّد بن عبد الله بن عبد الجليل، أبو عبد الله، التّنَسي، التّلمساني. محدّث، حافظ، فقيه، مؤرّخ، أديب. توفّي سنة: ٨٩٩هـ/١٤٩٤م. من آثاره: الدّرّ والعقيان في بيان شرف بني زيّان، الطّراز في شرح ضبط الخرّاز. انظر: نيل الابتهاج، رقم: ٦٩٧، ص٥٧٢، ٥٧٣. كفاية المحتاج، رقم: ٦١١، ٢/٢٠٩. معجم المؤلّفين، رقم: ١٤٢٨٦، ٣/٤٤٤.

(٣) انظر: أزهار الرّياض، ١/١٣٥.

ومعنى هذا أنّ الفضل بن جماعة هو فضل مجموع وليس واحدًا أو اثنان، أمّا الشّرّان فهو اثنان من الشّرّ؛ فكيف اختير لقضاء الجماعة اثنان من الشّرّ، وتُرِك فضل مجموع؟؟ وهذا على حسب قول ابن جماعة.

(٤) انظر: أزهار الرّياض، ١/١٣٣. مظهر النّور، ص٢٩، ٣٠. شجرة النّور، ١/٢٤٨. معجم المؤلّفين، ٣/٣١.

(٥) ابن فركون هو: أبو الحسين بن أحمد بن سليمان، المعروف بابن فركون. وأبو الحسين اسمه لا كُنيته، وابن فركون شهرته، وشهرة أبيه وعمّه وجدّه. ولد بغرناطة سنة: ٧٨١هـ/١٣٧٩م، وتولّى كتابة سرّ صاحب المقام العليّ يوسف الثّالث من سنة: ٨١٤هـ إلى ٨٢٠هـ، وبعد هذا التّاريخ لم يُعرَف عنه شيء، وذلك بعد الفتن التي كانت بعد وفاة يوسف الثّالث. من آثاره: ديوان شعر المعروف بمُظهر النّور. انظر: ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، دار الكتب الوطنيّة، الإمارات، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٦. ديوان ابن فركون، اعتناء: محمّد بن شريفة، مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، قسم الدّراسة، ص٩.

(٦) انظر: مظهر النّور، ص٢٩، ٤٤، ٨٩.

(٧) القلصادي هو: عليّ بن محمّد بن محمّد، أبو الحسن، نور الدّين، القرشي، البَسْطي، الأندلسي، الشّهير بالقلصادي. فقيه مالكي، رياضي فرضي، محدّث نحوي. ولد سنة: ٨١٥هـ/١٤١٢م، وتوفّي سنة: ٨٩١هـ/١٤٨٦م. من آثاره الكثيرة: كشف الأسرار عن علم الغبار، شرح الحكم العطائيّة. انظر: نيل الابتهاج، رقم: ٤٤٠، ص٣٣٩، ٣٤١. شجرة النّور، رقم: ٩٥٩، ١/٢٦١. معجم المؤلّفين، رقم: ١٠١٠٠، ٢/٥٢٤.

(٨) رحلة القلصادي، ص٤٣.

العليّة غرناطة المحروسة. فريد عصره وزمانه..".[1]

وقال المقّري[2]: "نظمُه الذي هو بحر لا ساحل له".[3] وقال أيضًا: "الفقيه الكاتب أبي عبد الله الشّرّان، المبرّز في أدواته على الأنداد والأقران".[4] وقال أيضًا: "وأمّا الكاتب الرّئيس أبو عبد الله الشّرّان، فهو الشّيخ الفقيه، الرّئيس الصّدر، العُمدة العماد، الذّخر الأرفع، العلم الأوحد الأمجد، الذي لا يُجارى في الإنشاء والاختراع، كلامًا جزلاً، وقولاً فصلاً، رئيس الكَتَبة بالحضرة العليّة. هذا كلام بعض الأندلسيّين فيه".[5]

ونقل المقرّي أيضًا عن القلصادي: "هو الفقيه الوجيه، اللّبيب اليقظ الأدرى، الأديب الأحظى، الرّئيس النّبيل الأرقى، وحيد عصره وأوانه، وفريد دهره وأقرانه".[6]

ونقل المقرّي أيضًا عن التّنسي: "والشّرّان هذا ممّن له باع مديد في الشّعر، وتصرّفٍ حسَن".[7]

ونعته ابن الأزرق بالرّئيس، وأنّه بارع في الكتب والشّعر؛ حيث قال عنده وصفه لعمر بن علي المالقي ومقارنته مع الشّرّان؛ قال: "لا أعلام أنّي لقيت بعد الرّئيس أبي عبد الله الشّرّان ~ أبْرَع منه في الكُتب والشّعر، ولا أقدر منه على النّظم والنّثر".[8]

المطلب الثّالث: مؤلّفاته:

ترك الشّيخ الشّرّان مؤلّفات أغلبها منظومات في فنون من الشّعر، كفقه الفرائض، المدح، التّبرّم، وغيرها. وممّا وقفت عليه وذكره المترجمون له:

بديع المقال في ذكر تقلبات الأحوال وامتداح من نبع من بين أنامله الزلال للإمام الشران

---

(١) انظر: شرح نظم الشّرّان في الفرائض للقلصادي، مخطوط الإسكوريال، رقم: ٨٥٣، اللّوحة: ١٦٩ظ.

(٢) المقّري هو: أحمد بن محمّد بن أحمد، أبو العبّاس، شهاب الدّين، المقّري، التّلمساني. مؤرّخ، أديب، فقيه مالكي. ولد في تلمسان سنة: ٩٩٢هـ/١٥٨٤مـ، وتوفّي بالقاهرة سنة: ١٠٤١هـ/١٦٣١م. من آثاره: نفح الطّيب، روض الآس العاطر الأنفاس. انظر: اليواقيت الثّمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، محمّد البشير ظافر الأزهري، مكتبة الملاجئ العبّاسيّة، القاهرة، ١٣٢٤هـ، ٢٩/١. شجرة النّور، رقم: ١١٦٢، ٣٠٠/١. معجم المؤلّفين، رقم: ١٧٩٢، ٢٤٨/١.

(٣) أزهار الرّياض، ١٤٥/١.

(٤) المصدر نفسه، ١١٦/١.

(٥) المصدر نفسه، ١٣٣/١.

(٦) المصدر السّابق، ١٣٣/١.

(٧) المصدر السّابق، ١٣٤/١.

(٨) روضة الإعلام بمنزلة العربيّة من علوم الإسلام، ابن الأزرق الغرناطي، ٥٩٢/٢.

أوّلاً: **منظومة في الفرائض**: نعتها التّنبكتي[1] بأنّها منظومة حسنة، وذكر أنّه وقف عليها، وقام بشرْحها القلصادي.[2] وقال عنها المقرّي: "وهي أرجوزة عذبة النّظم، سهلة المأخذ، مختصرة في علم الفرائض".[3]

أوّلها:

بحمد خيرِ الوارثين أبتدي وبالسّراج النّبويّ أهتدي

آخرها:

ما مدّتِ الآمال راحتيْها لوارث الأرض ومن عليها

ثانيًا: **منظومات في أغراض مختلفة**: وقد صنّفتُها بحسب القافية، وهي كما يأتي:

أ- منظومات بائيّة: ذكر له المقّري منظومة بها بيتان، وهي[4]:

ب-

بعثتُ بها ذكرى على ثقة إلى مؤمَّلِ وعدٍ من لقائِكَ مرقُوبِ

فما زلتَ فذًّا في رءوسِ ذَوِي العُلا وما وعْد رأْسٍ مثل موعِدِ عُرقُوبِ

- وذكر له ابن عاصم[5] منظومة في التّبرّم له من صاحب، بها ثلاثة أبيات؛ وهي[6]:

وصاحب لي مبرِّمٍ من رأى صبْري على صحّته استغْربَا

قال أنا كالعودِ إن شئتَهُ أوْرَقُ وانشَقَّ أو أَطْربَا

فقلتُ بل كَالعُودِ مُحتَاجٌ أن يُقْشَرَ أو يُحْرَق أو يُضرَبَا

---

(١) التُّنبُكتي هو: أحمد بن أحمد بن أحمد، الصّنهاجي، السّوداني، التّنبكتي. يعرَف ببابا. فقيه مالكّي، عالم، مشارك في بعض العلوم. ولد سنة: ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، وتوفّي في تنبكتو سنة: ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م. من آثاره: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج، التّحديث والتّأنيث. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمّد المحبّي، المطبعة الوهبيّة، مصر، ١٢٨٤هـ، ١/١٧٠، ١٧٢. شجرة النّور، رقم: ١١٥٧، ١/٢٩٨، ٢٩٩. معجم المؤلّفين، رقم: ٧٠١، ١/٩٣.

(٢) انظر: نيل الابتهاج، ص٥٣٣. روضة الإعلام بمنزلة العربيّة من علوم الإسلام، ٢/٥٩٢. مظهر النّور، ص٢٩، ٣٠.

(٣) انظر: أزهار الرّياض، ١/١٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ١/١٤٤.

(٥) ابن عاصم هو: محمّد بن محمّد بن محمّد بن عاصم، أبو يحيى، الأندلسي، الغرناطي. فقيه، أديب، خطيب، شاعر، من الوزراء والقضاة. توفّي سنة: ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. من آثاره: جنّة الرّضا في التّسليم لما قدّر الله تعالى وقضى، شرح تحفة الحكّام لوالده. انظر: نيل الابتهاج، رقم: ٦٥١، ص٥٣٧. شجرة النّور، رقم: ٨٩٧، ١/٢٤٨.

(٦) جنّة الرّضا في التّسليم لما قدّر الله وقضى، ٣/٧٠.

ت- منظومة جيميّة: ذكر له المقّري منظومة بها بيتان، وهي[1]:

قلتُ لمْ جبرتْ بالعاجِ ثغْرًا ولقد رُمتْ بالمُحالِ احتجاجًا
صاحِ لا بأسَ أن يعوجَ شبابي بالتلاقي أما ترى الثغْرَ عاجًا

ج- منظومة طائيّة: ذكر له المقّري منظومة بها بيتان، وهي[2]:

رأتني أحوطُ الثغر رَبطا فأضحكت وتاهت بثغرٍ بالجفونِ يُحاطُ
فقلتُ لخوفِ اللحظِ منه ربطتُهُ أيُنكَرُ في الثغْرِ المخُوفِ رِباطُ

د- منظومات عينيّة: ذكر له المقّري منظومة بها بيتان، وهي[3]:

لَمّا اختفت شمسُك عن ناظري أرسلتْ منه مطرَ الدّمعِ
وأقبلَتْ ظُلمةُ ليلِ النّوى فما ترى في رخصةِ الجمْعِ

كما ذكر له منظومة بها بيتان، وهي[4]:

يا ربّ قلتَ وقولُك الحقّ الذي أحكمتَ: إنّك تستجيب لمن دعا
فاختِمْ لعبدك بالرّضا واحكُم له بالسّترِ في الدّنيا وفي الأخرى معًا

وذكر له ابن فركون منظومة بها ٦٤ بيتًا.[5]

أوّلها:

سراج الهدى من أُفْقِ مُلْكِكَ أُطْلِعَا وروضُ الرّضا في ظلّ عدلك أيْنَعا

آخرها:

ودُمتَ لنا تجلو الظّلام فإنّما سراج الهدى من أُفْقِ مُلكِك أُطلِعا

هـ- منظومات لاميّة: منها اللّاميّة في مدح المصطفى وتقلّبات الأيّام. وهي محلّ الدّراسة، وسيفصّل فيها القولُ لاحقًا.

- ذكر المقّري له نظمًا من بيتين، وهما:[6]

فلا تمنعِ العيْنَ انهمالاً فإنّه غرامٌ شجٍ إسنادُهُ غيرُ مُهملِ

(١) أزهار الرّياض، ١/١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ١/١٤٤.

(٣) أزهار الرّياض، ١/١٣٤. نيل الابتهاج، ص٥٣٤.

(٤) أزهار الرّياض، ١/١٤٥.

(٥) انظر: مظهر النّور، ص٤٤، ٤٦.

(٦) أزهار الرّياض، ١/١٤٣.

أحاديث ترويها الجفون عن الحشا ويثبتُ منها مُرسَلٌ بمُسلْسلِ

- ذكر المقّري له نظمًا من بيتين، وهما:(١)

لكَ يا فقيهُ وضعتُ خدّي على الثّرى طمعا بوصلٍ منكَ غيرِ مؤجّلِ

فأجاب ذلك لا يجوز لأنّه عغندي ربًا من باب ضعْ وتعجّلِ

و- منظومة ميميّة: ذكر المقّري له نظمًا من ثلاثة أبيات، وهي:(٢)

لي سيّدٌ زار وما زُرتُه فمِنّيَ النّقْصُ ومنهُ التّمامْ

إن يحْتَمِلْ سَهْوي فَفِقْهٌ مَضَى لأنّني المأمومُ وهْو الإمامْ

وطالما زار الغمامُ الثّرى ولم يزُرْ قطّ الثّرى الغمامْ

ز- منظومة نونيّة: ذكر المقّري له نظمًا من بيتين، وهما:(٣)

عاب منّي العُداة شعرا وثغرًا رُمِيا في الصّبا بشيْبٍ وشيْنِ

قلتُ: لا عيبَ فِيَّ ما دام فضلٌ في النُّهَا واللّسانِ والشّفتيْنِ

ح- منظومات هائيّة: ذكر المقّري له نظمًا من ثلاثة أبيات قالها في ابن حرشون، وقد أهدى له قُرض زعفران؛ وهما:(٤)

أهلاً بقُرصة زعفران أطلَعَتْ من حُسنها للقلب باعثُ أُنسِهِ

حيّا الخُلُوصَ به وغيرَ عجيبةٍ للبدر أن حيّا بقُرصة شمسِهِ

يا نيّرا للمجد أهدى نيِّرًا كلّ امرئ إهداؤه من جنسِهِ

- ذكر له المقّري بيتان قالهما في ابن جماعة؛ لأنّه دعا أعيان البلد إلى إعذار "أي طعام الختان"، ولم يدْعُ الشّرّان، وهما(٥):

ماذا أعدَّ المجدُ من أعذارِهِ في تركْ دعْوتِنَا إلى إعْذَارِهِ؟

إنْ كان رسْمٌ دون محضَرِنَا اكْتَفَى لا بدّ أنْ يبقَى على إعْذارِهِ

- ذكر له المقّري منظومة بها ثلاثة أبيات؛ وهي(٦):

---

(١) المصدر نفسه، ١/١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/١٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ١/١٤٤.

(٤) أزهار الرّياض، ١/١٣٣. نيل الابتهاج، ص٥٣٤.

(٥) أزهار الرّياض، ١/١٣٤. زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي الحسن، تحقيق: د. محمّد حجّي وغيره، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢/٢٩. نيل الابتهاج، ص٥٣٤.

(٦) أزهار الرّياض، ١/١٤٤، ١٤٥.

إلـهي لـكَ الـشّـكـوى وحـسبِي رحـمـةً نـداؤُكَ فـي شـكـوى الـخُـطـوبِ إلـهـي
وحـقُّـكَ مـا لـلّـهْـوِ أبـدعـتَ خِلْـقتي وهـا أنـا فـي غـيِّ الـبِطالـةِ لاهـي
بنفسي وشيطـاني ودُنيـاي والـهوى فُـتِـنْـتُ ولـكـن أنـتَ حـسبـيَ لاهِـي

- ذكر له ابن فركون منظومة هائيّة بها ١٣ بيتًا، وهي[1]:

أوّلها:

هـلالٌ بـأُفُـقِ الـمُـلْـكِ لاحـتْ سُـعُـودُهُ سـتُـنْـجِـزُ مـن أمْـنِ الـلّـيالـي وُعُـودُهُ

آخرها:

أتـيْـتُ بـهـا مـنّـي بـديـهًا وقـلّـمـا أرى لـقُـصُـوري فـي الـنّـظـام أُجيـدُهُ

ملاحظة:

لقد أضاف الباحث الجزائري بشير ضيف[2] للشّيخ الشّرّان كتاب: "العروة الوثقى"، وهذا خطأ؛ والصّواب أنّ "العروة الوثقى" هو عنوان لشرح العَلْمي[3] على نظم الشّرّان في علم الفرائض.

المبحث الثّاني: دراسة اللاّمية في المديح النّبوي

المطلب الأوّل: توثيق نسبة اللاّمية للشّرّان:

كلّ من ترجم للشّيخ ذكروا أنّه كان ناظمًا مُجيدًا، كما ذكروا له أبياتًا كثيرة متنوّعة القافية.

وممّا ذكروه عن هذا النّظم: قال المقّري: "ومن بديع نظم الشّرّان المذكور". ثمّ ذكر أبيات اللاّميّة كاملة.[4]

وذكر التّنبكتي بعض أبيات اللاّميّة عند ترجمة الشّيخ الشّرّان. كما ذكر أوّل القصيدة صاحب شجرة

---

(١) مظهر النّور، ص٢٩، ٣٠.

(٢) باحث جزائريّ معاصر من حاسي بحبح بولاية المسيلة.

وانظر هذه الإضافة الخاطئة في: مصادر الفقه المالكي أصولاً وفروعًا في المشرق والمغرب قديمًا وحديثًا، بشير ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ١/٨٩.

(٣) العَلْمي هو: محمّد بن مُحمّد بن إبراهيم، العَلْمي، الحسني. باحث مغربي من أهل فاس. ولد بفاس سنة: ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، وتوفّي بها سنة: ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. من آثاره: حلّ العقدة على مقاصد العمدة، العروة الوثقى في الفرائض. انظر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثّالث عشر والرّابع، ابن سودة عبد السّلام، تحقيق: محمّد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٢/٥٤١. معجم المؤلّفين، رقم: ١٥٤٢٣، ٣/٦١٧.

(٤) أزهار الرّياض، ١/١٣٤.

النّور.(1)

وقد توفّر هذا المخطوط في بعض الخزائن والمكتبات، وكلّها تسنده للشّيخ الشّرّان. من ذلك دار الكتب المصريّة، دار الكتب الحسنيّة بالمغرب، وغيرها.(2)

وفي الأخير فإنّه جاء في المخطوط المعتمد، النّسختان [أ]، [ب] ما يُجزم إضافة النّظم للشّيخ الشّرّان. فقد جاء في أوّل المخطوط [أ]: "وللشّيّخ الرّئيس... أبي عبد الله محمّد بن الشّيخ الفاضل الأرفع أبي إسحاق الشّرّان..". ثمّ ذكر القصيدة بتمامها. (3)

وفي النّسخة [ب]: "ومن نظم الإمام أبي عبد الله سيدي محمّد بن إبراهيم الشّرّان..". ثمّ ذكر القصيدة كلّها. (4)

المطلب الثّاني: توثيق العنوان:

لم يضع النّاظم عنوانًا لنظمه، وكذلك الذين ترجموا له. لكن بعض المفهرسين الذين ذكروا له هذا المخطوط ضمن بعض الخزائن وسموه بما يأتي:

- بديعُ المقال في مدح من نبَع من بين أصابعه الزّلال.(5)

- القصيدة الفريدة في مدح المصطفى. وذكر أنّ صاحبه ألّفها سنة: ٨٣٧هـ، وهذا التّاريخ هو الذي كان حيًّا فيه الإمام الشّرّان. (6)

ولا أدري من أين استقى هؤلاء هذين العنوانين؟؟ مع أنّ النّاظم لم ينصّ على عنوان معيّن.

وأقول عن العنوان الأوّل أنّه يحتمل أن يكون المفهرس أخذ العنوان "بديعُ المقال في مدح من نبَع من بين أصابعه الزّلال" من البيت (١٣٨) من القصيدة؛ وهو قول النّاظم:

تَفَجَّرَتْ أَنْمُلُهُ بِالنَّدَى ... مَعْنًى وَبِالْحِسِّ جَرَتْ بِالزُّلَالْ

وهذا العنوان "بديع المقال"، قويّ وقعه في السّمع، لكن لم ينصّ عليه النّاظم. ويظهر أنّه عنوان

---

(1) نيل الابتهاج، ص٥٣٣، ٥٣٤. كفاية المحتاج، ١٦٨/٢، ١٦٩. شجرة النّور، ٢٤٨/١.

(2) كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة، إنجاز: عمر عمّور، تقديم: أحمد شوقي بنين، منشورات الخزانة الحسنيّة، المغرب، د.ت، ص٥٥. فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦، القسم الأوّل من فهرس آداب اللّغة العربيّة، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ/١٩٢٧م، ٣٤/٣.

(3) لامية الشّرّان، مخطوط النّسخة [أ]، ٦٢ظ.

(4) لامية الشّرّان، مخطوط النّسخة [ب]، ١٢٣.

(5) كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة، ص٥٥. فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة، ٣٤/٣.

(6) Catalogue of the Arabic, Persian and Turkish Manuscripts, 1/430.

ناقص؛ لأنّ النّاظم ذكر أيضًا تقلّبات الزّمن في مطلع القصيدة، بمجموع ثلث القصيدة؛ أي إلى البيت (٥٤). وما يقارب ثلثي القصيدة خصّصه لمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ولهذا فانطلاقًا من محتوى النّظم، وبناء على عنوان القصيدة السّابق: "بديع المقال"، يكون العنوان المقترح لهذه القصيدة: "بديع المقال في ذكر تقلّبات الأحوال وامتداح مَن نَبَع مِن بَيْن أنامِلِه الزّلال". فهو عنوان شامل لمحتوى القصيدة.

المطلب الثّالث: أهمّيّة اللاّميّة:

اشتهرت هذه اللاّميّة؛ لأنّها تسرِد تقلّبات الأيّام على كلّ إنسان يعيش على وجه هذه البسيطة؛ وهي أشهر قصائد الشّيخ، لهذا وصفها المقّري أنّها من بديع نظم الشّيخ الشّرّان.[1]

ونظرًا لأهمّيّتها فقد ذكر أبياتها بعض العلماء والمؤلّفين، منهم الإمام المقّري فقد ذكرها كاملة.[2] وذكر عبد العزيز السّلمان في كتابه "مورد الضّمآن" (٥٣) بيتا منها استئناسًا بها دون أن ينسبها.[3] وذكر التّنبكتي (١٥) بيتًا منها.[4] وذكر محمّد مخلوف البيت الأوّل منها.[5]

المطلب الرّابع: محتوى اللاّميّة:

هي منظومة احتوت ١٦٢ بيتًا، من البحر السّريع، وتفعيلاته: مستفعلن مستفعلن فاعل، وقافيته اللاّم. واشتملت على ما يأتي:

١- من [١- ٥٤] أي (٥٤) بيتا ذكر فيها تقلّبات الدّهر والأيّام وتغيّر الأحوال وتداولها بينا النّاس. وهو يمثّل ثُلث النّظم.

٢- من [٥٥ - ١٤٤] (٨٩) بيتا في امتداح المصطفى صلّى الله عليه وسلّم. وهو يمثّل قُرابة ثلثي النّظم. وقد عنْونْتُ هذا الجزء كما يأتي:

- صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الخِلقيّة والخُلُقيّة.
- معجزات الرّسول صلى الله عليه وسلم.
- معجزة الإسراء والمعراج.
- وجه المناسبة بين معجزة انشقاق الصّدر وانشقاق القمر.
- معجزة انشقاق القمر، وإعراض المشركين.

بديع المقال في ذكر تقلبات الأحوال وامتداح مَن نَبَع مِن بَيْن أنامِلِه الزّلال للإمام الشران

---

(١) انظر: أزهار الرّياض، ١٣٤/١.
(٢) المصدر نفسه، ١٣٤/١، ١٤٣.
(٣) موارد الظّمآن لدروس الزّمان، عبد العزيز المحمّد السّلمان، الرّياض، ط٣٠، ١٤٢٤هـ، ١١٨/٣، ١٢٠.
(٤) نيل الابتهاج، ص٥٣٣، ٥٣٤. كفاية المحتاج، ١٦٨/٢، ١٦٩.
(٥) شجرة النّور، ٢٤٨/١.

- في غار ثوْر، وبعض معجزاته صلى الله عليه وسلم.

٣- وفي الأخير من [١٤٥ - ١٦٢] (١٨) ختمها بدعاء وابتهال وتضرّع واستغاثة.

المطلب الخامس: أماكن وجود المخطوط:

توجد ٣ نسخ بدار الكتب المصريّة، بأرقام: ٤١٥٠، ٤١٥١. وتوجد بنفس الدّار نسخة برقم: ٣٩٠٧، مطبوعة مع كتاب: "الاستغفار الأسنى في نظم أسماء الله الحسنى"، للشّيخ محمود حمزة الدّمياطي.[١]

وفي خزائن تركيا، توجد مخطوطة برقم: ٥١٦٧، الأوراق من ٢٩٥ب إلى ٢٩٩. بخطّ مغربي، نسخت سنة: ١٢٦٢هـ.[٢]

وتوجد بالخزانة الحسنيّة، بعنوان: بديع المقال في مدح من نبع من بين أصابعه الزّلال، عدّة نسخ بأرقام: ١٤١٠٢، ١٢١٤٢، ١١٩٥٤، ٩٥٠٨، ٦٧٣٦.[٣]

المطلب السّادس: طباعة المنظومة:

بعد البحث وقفت على أنّ هذه المنظومة طُبعت مع مجموعة منظومات أخرى بالمطبعة الكبرى الأميريّة، بولاق، مصر ، سنة ١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م؛ حيث طبعت مع منظومة: "الاستغفار الأسنى في نظم أسماء الله الحسنى"، للشّيخ محمود حمزة الدّمياطي، كما طبع معهما مجموعة قصائد أخرى لجماعة من الفصحاء والبلغاء، وهو مجموع يقع في ٩٦ صفحة.[٤]

وطبعت ضمن كتاب أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض؛ حيث ذكرها المقّري كاملة في كتابه ذلك، ولـمّا تحقّق لكتابه الطّبع حضِيت بالخروج إلى النّور معه.[٥]

أمّا طباعتها على انفراد وإخراجها بهذا الشّكل فلم أقف على من سبق إليه، لهذا سعيْت إلى إخراجها وإظهارها للوجود.

القسم الثّاني: قسم التّحقيق

أوّلا: منهجيّة التّحقيق:

- اعتمدت في تحقيق لامية الشّرّان على (٤) مخطوطات، ورمزت لها بـ [أ]، [ب]، [ج]، [د]. وبالنّسبة للنّسخة [أ]، [ب] تحتويان على لامية الشّرّان فقط، أمّا الأخيرتان فاللاّميّة متضمّنة

(١) فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦م، القسم الأوّل من فهرس آداب اللّغة العربيّة، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ/١٩٢٧م، ٣٤/٣.

(2) Catalogue of the Arabic, Persian and, 1/430

(٣) كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة، ص٥٥.

(٤) فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة، ٣٤/٣.

(٥) انظر أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض، ١٣٤/١، ١٤٣.

داخل كتاب أزهار الرّياض للقاضي عياض، فقد نقلها كاملة هناك. لهذا عضّدت التّحقيق بالمقابلة مع النّسخة المخطوطة لأزهار الرّياض. كما استئنست بنسخة أزهار الرّياض المحقّقة، ورمزت لها بالرّمز [هـ].

- قابلت بين النّسخ الأربع، وجعلت النّسخة [أ] هي الأصل للانتقال من لوحة إلى أخرى، كما انتهجت طريقة النّصّ المختار، فحيثما كانت عبارة تليق بضبط النّصّ أضيفها من أيّ نسخة مخطوطة كانت من المخطوطات الأربعة.

- وضعت عناوين لبعض الأبيات التي تتحدّث عن موضوع واحد.

- ومادامت القصيدة في شطرها الثّاني متضّمنة سيرة المصطفى ﷺ، وهي كلّها مبثوثة في كُتب السّيرة وهي معروفة عند العامّة ناهيك عن الخاصّة، لهذا لم أقم بتخريج تلك الأحداث في السّيرة النّبويّة إلاّ البعض منها، تجنّبًا للتّطويل من جهة، ولأنّ طبيعة المقال وحجمه يقتضي ذلك من جهة أخرى.

- شرحت بعض الألفاظ الغامضة حتّى يُفهم المعنى.

- ربطت بعض معاني الأبيات بالنّصوص الشّرعيّة الدّالّة على ذلك.

- قُمتُ بشكل القصيدة حتّى تُقرأ سليمة.

- كتبت أبيات القصيدة بالكتابة الإملائيّة الحديثة.

ثانيا: وصف النّسخ المعتمدة:

النّسخة	النّسخة [أ]	النّسخة [ب]	النّسخة [ج]	النّسخة [د]
مكانها:	مؤسّسة الملك عبد العزيز، الدّار البيضاء، المغرب	مؤسّسة الملك عبد العزيز، الدّار البيضاء، المغرب	تيندوف، الجزائر مكتبة زاوية سيدي بلّعمش	مكتبة جامعة الملك سعود، الرّياض.
رقمها:	غير مثبت	غير مثبت	٢٨	٥٠٩٦
بدايته ونهايته	٦٢ظ إلى ٦٦ظ	١٢٣ إلى ١٢٩	٣٥ظ إلى ٣٩و	٢٧ظ إلى ٣٠ظ
النّاسخ	غير مذكور؛ لأنّ المخطوط ضمن مجموع	غير مذكور؛ لأنّ المخطوط ضمن مجموع	غير مذكور؛ لأنّه مبتور الأخير	غير مذكور؛ لأنّه مبتور الأخير
تاريخ النّسخ	غير مذكور	غير مذكور	غير مذكور	غير مذكور
الخطّ:	مغربي حسن	مغربي حسن	مغربي حسن	مغربي حسن
لون الحبر:	أسود + أحمر	أسود + أحمر	أسود + أحمر + أزرق + أخضر	أسود + أحمر + أزرق + أخضر
عدد الأسطر:	٢٢ سطرا	٢٥ سطرا	٢٧ سطرا	٢٧ سطرا
عدد الكلمات:	بين٩ و١٠ كلمات	بين٩ و١٠ كلمات	بين٩ و١٠ كلمات	بين ٩ و ١٠ كلمات
مقياس النّصّ:	غير ممكن	غير ممكن	٢٣× ١٧,٥سم	٣٠× ٢٠سم
ملاحظات	توجد تصويبات في الهامش ممّا يدلّ على أنّ النّسخة مقروءة.	توجد تصويبات في الهامش ممّا يدلّ على أنّ النّسخة مقروءة.	تقع هذه اللاّمية ضمن كتاب: أزهار الرّياض لعيّاض	تقع هذه اللاّمية ضمن كتاب: أزهار الرّياض لعيّاض

صور النّسخ المعتمدة:

النّسخة [أ]/ اللّوحة الأولى، ٦٢ظ

اللّوحة الأخيرة، ٦٦ظ

اللوحة الأخيرة، ١٢٩

النسخة [ج]/ اللوحة الأولى، ٣٥ظ، ٣٦و:

اللوحة الأخيرة، ٣٨ظ، ٣٩و

النّسخة [د]/ اللّوحة الأولى، ٢٧ظ:

اللّوحة الأخيرة، ٣٠ظ.

[النص المحقّق]

[٢٦٢ظ] بسم الله الرّحمن الرّحيم[١]

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما[٢]

[وللشّيخ الرّئيس، الصّدر العلاّمة، الكاتب الأبلغ، الأرفع السّري، الذي لا يُجارى في الإنشاء والاختراع، رئيس كتّبة حضرة غرناطة؛ أبي عبد الله محمّد بن الشّيخ الفاضل الأرفع الأوجه أبي إسحاق الشّرّان رحمه الله تعالى][٣]

[الأيّام دُوَل]

١. دَوَامُ حَالٍ مِنْ قَضَايَا الْمُحَالْ   وَاللُّطْفُ مَوْجُودٌ عَلَى كُلِّ حَالْ[٤]

٢. وَالنَّصْرُ بِالصَّبْرِ مُحَلًّى[٥] الظُّبَى   وَالْجِدُّ بِالْجِدِّ مَرِيشُ النِّبَالْ[٦]

٣. وَعَادَةُ الأَيَّامِ مَعْهُودَةٌ   حَرْبٌ وَسَلْمٌ وَاللَّيَالِي سِجَالْ

٤. وَمَا عَلَى الدَّهْرِ انْتِقَادٌ عَلَى   حَالٍ فَإِنَّ الْحَالَ ذَاتُ[٧] انْتِقَالْ

٥. مَنْ لِلَّيَالِي بِائْتِلاَفٍ وَكَمْ   مِنِ اعْتِبَارٍ فِي اخْتِلاَفِ[٨] اللَّيَالْ

٦. أَخْذٌ عَطَاءٌ، مِحْنَةٌ مِنْحَةٌ[٩]   تَفَرُّقٌ جَمْعٌ، جَمَالٌ جَلاَلْ[١٠]

---

(١) كُتب في هامش النّسخة [أ]، ٢٦٢ظ ما يأتي: "يا ربّ صلّ ثمّ سلّم على محمّد والصّحب ثمّ خير آل. هذه اللاّميّة لأبي إسحاق الشّرّان".

(٢) كلمة غير ثابتة في [ب]. والسّطرين كلّهما غير ثابتين في [ج]، [د]؛ لأنّهما ليستا نسخة خاصّة بلامية الشّرّان، بل هما نسختان مخطوطتان من كتاب أزهار الرّياض للمقّري وردت فيهما منظومة الشّرّان.

(٣) في [ب]: "ومن نظم الإمام أبي عبد الله سيدي محمّد بن إبراهيم الشّرّان الأندلوسي رحمه الله تعالى ورضي عنه، وكان حيًّا سنة سبع وثلاثين ومائة". وفي [ج]: "ومن بديع نظم الشّرّان المذكور قوله ~". اللّوحة: ٣٥ظ. وفي [د]: "ومن بديه نظم الشّرّان المذكور، قولُه ~". اللّوحة: ٢٧ظ.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. من الآية (١٤٠) من سورة آل عمران.

(٥) في [ب]: "مُجَلِّي". وفي [ج]: "مَحَلٌّ".

(٦) مريش النّبال: النّبل المريش الذي أُلزق عليه الرّيش، فهو مَريش، والنّبل القائم الرّائش، أي ذو الرّيش، دلالة على كماله واستقامته. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، اعتناء: أمين محمّد عبد الوهاب وغيره، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ريش، ٥/٣٨٩.

(٧) في [هـ]: "لِحَالٍ ذَاتِ".

(٨) في [هـ]: "باختلاف".

(٩) في [ب]: "مِحْنَةٌ مِحْنَةٌ". وهو خطأ.

(١٠) في [ب]، [د]، [هـ]: "جَلاَلٌ جَمَالْ".

٧. حُلَى(١) انْتِظَامٍ وَانْتِثَارٍ مَعًا ... كَأَنَّمَا هَذِي اللَّيَالِي لآلْ

٨. وَهَلْ سَنَا الصُّبْحِ وجُنْحُ الدُّجَى ... لِخَلْقَةِ الأَضْدَادِ إلاَّ مِثَالْ

٩. وَالظُّلَمُ الْحُلْكُ عَلَى نُورِهَا ... تَدُلُّ وَالْعُسْرُ بِيُسْرٍ يُدَالْ(٢)

١٠. وَالسَّيْفُ قَدْ يَصْدَأُ فِي غِمْدِهِ ... ثُمَّ يُجَلِّي صَفْحَتَيْهِ الصِّقَالْ(٣)

١١. وَالشَّمْسُ بَعْدَ الْغَيْمِ تُجْلَى كَمَا ... لِلْغَيْثِ مِنْ بَعْدِ الْقُنُوطِ انْهِمَالْ

١٢. وَالْفَرَجُ الْمَوْهُوبَ تُجْرَى بِهِ ... لَطَائِفُ لَمْ تَجْرِ(٤) يَوْمًا بِبَالْ

١٣. فَصَابِرِ الدَّهْرَ بِحَالَيْهِ مِنْ ... حُلْوٍ وَمُرٍّ وَاعْتِدَا واعْتِدَالْ

١٤. فَمَا لَهُ صَبْرٌ عَلَى حَالَةٍ ... وَإِنَّمَا الصَّبْرُ حُلِيُّ الرِّجَالْ

١٥. وَلاَ يَضِقْ صَدْرُكَ مِنْ أَزْمَةٍ ... ضَاقَتْ فَصُنْعُ اللهِ رَحْبُ الْمَجَالْ(٥)

١٦. وَانْظُرْ بِلُطْفِ الْعَقْلِ كَمْ كُرْبَةٍ ... فَرَّجَهَا لُطْفٌ كَحَلِّ الْعِقَالْ(٦)

١٧. وَكِلْ إِلَيْهِ كُلَّ حَاجٍ فَمَا ... لِذِي حِجًى(٧) إلاَّ عَلَيْهِ اتِّكَالْ

١٨. وَكُلُّ بَدْءٍ فَلَهُ غَايَةٌ ... وَغَايَةُ الْخَطْبِ الشَّدِيدِ انْحِلاَلْ(٨)

١٩. وَكُلُّ عَوْدٍ فَلَهُ آيَةٌ ... وَآيَةُ الْعَقْلِ اعْتِبَارُ الْمَآلْ

---

(١) في [هـ]: "حَالُ".

(٢) قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ سورة الشّرح، الآيتان (٥- ٦).

(٣) **الصّقال**: سيف صقيل؛ أي مُجَلَّى . وصَقَلَه صَقْلاً: أي جلاء. والصّقيل: السّيف. الصّحاح "تاج اللّغة وصحاح العربيّة"، الجوهري إسماعيل بن حمّاد، تحقيق: أحمد عبد الفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، "صقل"، ١٧٤٤/٥.

(٤) في [ج]: "لَمْ يَجْرِ".

(٥) كتب في النّسخة [ب] بعد هذا البيت ما يأتي: "هذا آخر ما يوجد من هذه القصيدة بأيدي النّاس. ووُجد بخطّ بعضهم بعد هذه زيادة كثيرة على ذلك، منسوبة لصاحب القصيدة؛ ونصّها". وفي [ج] كتب مايأتي: "إلى هنا توجد ههذ القصيدة بأيدي النّاس، ورأيت بخطّ بعض الأخيار بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك، منسوبة لصاحب القصيدة، وهي لا تبعُد من نفسه، على أنّ فيها إيماء. وها أنا أثبتُها بجملتها لغرابتها ولجزالتها، واشتمالها على مديح المصطفى المجتبى ﷺ. ونصّها بعد قوله: رَحْبُ الْمَجَالْ". وفي [د]: "إلى هنا توجد هذه القصيدة بأيدي النّاس. ورأيت بخطّ بعض الأخيار بعد هذا البيت زيادة كثيرة على ذلك منسوبة لصاحب القصيدة، وهي لا تبعُد من نفَسِه، على أنّ فيها إيفاء. وها أنا أُثبتها بجملتها لغرابتها ولجزالتها ولاشتمالها على مديح المصطفى والمجتبى ﷺ. ونصّها بعد قوله: رحب المجال". اللّوحة: ٢٨و.

(٦) قال الشّافعي: **ضاقت فلمّا استحكمت حلقاتُها :: فُرجت وكنتُ أظنّ لا تُفرَجُ**. ديوان الإمام الشّافعي، اعتناء: عبد الرّحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣٩.

(٧) **لذي حِجَا**: لذي عقْل. قال الجوهري: الحِجا: "العقل". الصّحاح، "حجا"، ٢٣٠٩/٦ .

(٨) في [ج]: "إِنْجَالْ".

٢٠. وَفِي مَآلِ الصَّبْرِ عُقْبَى الرِّضَى	مِنْ فَرَجٍ يُدْنِي وَأَجْرٍ يُنَالْ
٢١. عَجِبْتُ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْقُوَى	يُغَرُّ[1] بِالرَّبِّ الشَّدِيدِ الْمِحَالْ[2]
٢٢. يَهْوِي مَعَ الآمَالِ مُسْتَرْسِلاً	طَوْعَ الْهَوَى حَيْثُ أَمَالَتْهُ مَالْ
٢٣. تَخْدَعُهُ النَّفْسُ بِتَخْيِيلِهَا	وَهَلْ خَيَالُ النَّفْسِ إِلاَّ خَبَالْ
٢٤. يَخَالُ أَنَّ الأَمْرَ جَارٍ عَلَى	تَدْبِيرِهِ هَيْهَاتَ مِمَّا يَخَالْ
٢٥. الْخَلْقُ وَالأَمْرُ لِمَنْ لَمْ يَزَلْ	فِي مُلْكِهِ الْمُلْكُ وَمَا إِنْ يُزَالْ[3]
٢٦. وَالْفِعْلُ وَالتَّرْكُ دَلِيلٌ عَلَى	مُرَادِهِ وَالْكُلُّ طَوْعُ انْفِعَالْ[4]
٢٧. يُعْطِي فَلاَ مَنْعَ وَيَقْضِي فَلاَ	دَفْعَ وَيُمْضِي حُكْمَهُ لاَ يُبَالْ[5]
٢٨. يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَعَنْ أَمْرِهِ[6]	تَدْبِيرُ[7] مَا فِي الْكَوْنِ سُفْلٍ وَعَالْ
٢٩. / يُضِلُّ يَهْدِي[8] حِكْمَةً أَنْفَذَتْ	فَضْلاً وَعَدْلاً فِي هُدًى أَوْ ضَلاَلْ[9]
٣٠. وَحِكْمَةُ[10] الْبَارِي فِي حُكْمِهِ	مَا لِمَجَالِ الْعَقْلِ فِيهَا[11] مَجَالْ

---

(١) في [أ]: "فَيَغْتَرُّ". ولا يستقيم بها معنى الجملة، ووزن البيت. وقال أيضًا: . من الآية () من سورة المطفّفين.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ من الآية (١٣) من سورة الرّعد. وقوله أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾. من الآية (٦) من سورة الانفطار.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾. من الآية (٥٤) من سورة الأعراف. وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾. الآية (٢٦) من سورة آل عمران.

(٤) في [ب]: "الْفِعَالْ".

(٥) **إشارة إلى قوله تعالى:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴿١٠٧﴾﴾. **من الآية (١٠٧) من سورة يونس. وقوله تعالى:** ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴿٢﴾﴾. **من الآية (٢) من سورة فاطر.**

(٦) قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾. من الآية (٢) من سورة الرّعد.

(٧) في [ب]، [ج]، [د]، [هـ]: "تَدْبِيرُ".

(٨) في [د]: "وَيَهْدِي".

(٩) في [ج]: "وَضَلاَلْ".

(١٠) في [ب]: "فَحِكْمَةُ".

(١١) في [أ]: "لِمَجَالِ الْعَقْلِ فِيهِ". دون كلمة "ما". وفي [ب]: "مَا لِمَجَالِ الْعَقْلِ فِيهِ". والصّواب ما أثبتناه، لأنّ الضّمير "فيه" يعود على "الحكمة".

وفي البيت إشارة لقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾. من الآية (٨) من سورة التّين.

٣١. وَالـــرَّبُّ لاَ يُسْــأَلُ عـنْ فِعْلِــهِ[١]	قَــدْ قُضِـيَ الأَمْــرُ فَفِيـمَ السُّـــؤَالْ[٢]
٣٢. فَيَــا أَخَــا الْفِكْــرِ اشْتِغَــالاً بِمَا	فِـي غَيْــرِهِ لِلْفِـكْـرِ حُــقَّ اشْتِغَــالْ
٣٣. سَلِّــمْ فَفِي التَّسْلِيمِ مِنْ كُـلِّ مَا	يَـنْـفُــذُ تَسْلِيـــمٌ وَتَـنْـعِيـــمُ بَــالْ
٣٤. وَارْضَ بِمَــا فَاتَــكَ أَوْ نِلْتَــهُ	فَعَكْسُــهُ مَــا لَــكَ فِيــهِ مَجَــالْ
٣٥. وَفَــوِّضِ الأَمْــرَ إِلَــى الْحَــقِّ لاَ	تَـرْكَــنْ إِلَــى[٣] الدُّنْيَــا لِحَــالٍ مُحَــالْ[٤]
٣٦. فَـذُو الْحِجَا فِيمَا اتَّقَى وَارْتَجَى	بِـالْعَــدْلِ حَــالٍ وَمِــنَ الْعَــذْلِ خَــالْ
٣٧. يَـرْضَى بَقِسْمِ الـرَّبِّ كُـلَّ الرِّضَا	فِـي كُـلِّ حَــالٍ مَـا عَـنِ الْعَـهْـدِ حَــالْ[٥]
٣٨. يَـرَى خِـلاَلَ الشُّكْرِ وَالصَّبْـرِ فِي	مَــا سَــرَّ أَوْ سَــاءَ[٦] أَبَــرَّ الْخِـلاَلْ
٣٩. فَهْـوَ عَلَى الْحَـالَيْنِ قَدْ نَـالَ مِنْ	مُنَــاهُ فِـي الــدَّارَيْـنِ أَقْـصَـى[٧] مَنَــالْ
٤٠. مَـا أَقْصَـرَ الدُّنْيَـا عَـلَى مَرِّهَـا	كَــالظِّلِّ مَــا أَقْصَــرَ مَــدَّ الظِّــلاَلْ!![٨]
٤١. فَـافْطَنْ لَـهَـا حَزْمًــا فَفِي ظِلِّهَا	مَـا قَـالَ يَـوْمًـا[٩] حَــازِمٌ حَـيْـثُ قَـالْ[١٠]

(١) قال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾. الآية (٢٣) من سورة الأنبياء.

(٢) قال رسول الله ﷺ: ((.. رفعت الأقلام وجفّت الصّحف)). رواه عبد الله بن عبّاس {. أخرجه أحمد وغيره. انظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: السّيّد أبو المعاطي النّوري وغيره، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، مسند عبد الله بن عبّاس، رقم: ٢٦٦٩، ٧٥٣/١.

(٣) في [ب]، [هـ]: "مِنَ".

(٤) قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾. الآية (٥) من سورة فاطر.

(٥) قال رسول الله ﷺ: ((اتّق المحارم تكن أعبد النّاس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى النّاس ..)). الحديث رواه أبو هريرة ﷺ. أخرجه الإمام التّرمذي وغيره، وقال: حديث غريب. انظر: سنن التّرمذي "الجامع الكبير"، التّرمذي محمّد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، رقم: ٢٣٠٥، أبواب الزّهد، باب من اتّقى المحارم فهو أعبد النّاس، ١٤٠/٤.

(٦) في [أ]: "يَرَى خِلاَلَ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ فِيمَا :: سَرّ أو سَاء". وفي [ج]: "يَرَى خِلاَلَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ فِي :: مَا سَاءَ أَوْ سَرّ".

(٧) في [ب]: "مُنَاهُ فِي الأَمْرَيْنِ أَقْصَى".

(٨) قال رسول الله ﷺ: ((ما لي وللدّنيا؟ ما مثلي ومثل الدّنيا إلاّ كراكب سار في يوم صائف، فاستظلّ تحت ظلّ شجرة ساعة من نهار، ثمّ راح، وتركها)). رواه عبد الله بن عبّاس ﷺ. انظر: مسند الإمام أحمد، رقم: ٢٧٤٤، ٧٧١/١.

(٩) في [ب]: "يومٌ".

(١٠) في الحديث قال رسول الله ﷺ: ((كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل)). رواه عبد الله بن عمر ﷺ. وأخرجه مطوّلا البخاري، كما أخرجه غيره. انظر: صحيح البخاري "الجامع الصّحيح"، البخاري محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب، ترتيب: محمّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السّلفيّة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ، كتاب الرّقاق، رقم: ٦٤١٦، ١٧٦/٤.

٤٢. مَا يَقَظَاتُ الْعَيْشِ إِلاَّ كَرًى[(١)]	وَلاَ مَرَائِي[(٢)] الْعَيْنِ إِلاَّ خَيَالْ[(٣)]
٤٣. يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى عِبْرَةٌ	وَالشِّعْرُ قَوْلٌ قَدْ يُنَافِي الْفِعَالْ
٤٤. هَلْ يَسْتَحِيلُ الْعَهْدُ مِنْ صَبْوَتِي[(٤)]	فَقَدْ مَضَى عَهْدُ الصِّبَا وَاسْتَحَالْ[(٥)]
٤٥. وَالشَّيْبُ هَلْ يُوقِظُنِي[(٦)] صُبْحُهُ	فَالنَّوْمُ فِي لَيْلٍ مِنَ اللَّهْوِ طَالْ
٤٦. وَكِسْرَتِي مِنْ عُسْرَتِي هَلْ تَقِي	وَعَثْرَتِي فِي[(٧)] عِبْرَتِي هَلْ تُقَالْ[(٨)]
٤٧. هَذَا زَمَانِي فِي تَوَلٍّ وَفِي	عَزْمِي تَوَانٍ وَالْهَوَى فِي تَوَالْ
٤٨. حَالُ مَنِ احْتَلَّ بِدَارِ الْبَلاَ[(٩)]	وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِارْتِحَالْ
٤٩. يَا رَبُّ مَا الْمُخْلِصُ مِنْ زَلَّتِي	لاَ عَمَلٌ لاَ حُجَّةٌ لاَ احْتِيَالْ
٥٠. يَا رَبُّ مَا يَلْقَاكَ مِثْلِي بِهِ	عَنْ[(١٠)] طَاعَةٍ لَمْ أَلْقَهَا بِامْتِثَالْ
٥١. / يَا رَبُّ لاَ أَحْمِلُ حَرَّ الصَّبَا[(١١)]	فَكَيْفَ بِالنَّارِ لَضَعْفِي[(١٢)] احْتِمَالْ
٥٢. أَمْ كَيْفَ عُذْرِي وَقَدْ أَعْذَرْتَ[(١٣)] لِي	بِأَخْذِ حِذْرِي مِنْ دَوَاعِي النَّكَالْ

---

(١) الكرى: النّعاس. الصّحاح، "كرى"، ٢٤٧٢/٦.

(٢) في [هـ]: "وَلاَ مَرَاشِي". وهذا تحريف للكلمة.

(٣) كأنّه أخذه من قول أبي الحسن التّهامي: **فالعيش نومٌ والمنيّة يقْظة :: والمرء بينهما خيالٌ ساري**. انظر: ديوان أبي الحسن عليّ بن محمّد التّهامي (ت٤١٦هـ)، تحقيق: د. محمّد بن عبد الرّحمن الرّبيع، مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٠٩.

(٤) **الصّبوة**: الصِّبا: الشّوق. تصابى وصبا يصبو صبوة: أي مال إلى الجهل والفُتُوّة. الصّحاح، صبا، ٢٣٩٨/٦.

(٥) قال البوصيري: **أطعتُ غيّ الصّبا في الحالتين وما :: حصلتُ إلاّ على الآثام والنّدمِ**. البردة، الإمام البوصيري، شرح إبراهيم الباجوري، اعتناء: عبد الرّحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٢.

(٦) [أ]: "أيْقَظَنِي".

قال البوصيري في هذا المعنى: "... طَيف ألمّ برأسي غير محتشم". البردة، ص٢.

(٧) في [هـ]: "مِنْ".

(٨) تُقال: تُصفَح وتُعفى. يقال: أقال الله فلانا عثرته، بمعنى الصّفح عنه. لسان العرب، "قيل"، ٣٧٥/١١.

(٩) في [د]: "الْبِلَى". من البلايا.

(١٠) في [ب]: "مِنْ".

(١١) الصّبا: من الصّبْوة، أي ما كان لي من جهل وفُتوّة وشوق في الصّبا، فلم يقدر على تحمّل ذلك الشّوق. لسان العرب، "صبا"، ٢٨٣/٧.

(١٢) في [ج]: "لِضُعْفِ".

(١٣) في [أ]، [ب]: "وَأَعْذَرْتُ".

٥٣. رَحْمَتَكَ اللَّهُمَّ فَهْيَ الَّتِي لَهَا عَلَى الْعَاصِينَ مِثْلِيانْثِيَالْ[1]

٥٤. وَلاَ تُعَامِلْنَا بِأَعْمَالِنَا لَكِنْ رَجَاءً[2] آمَالِنَا صِلْ وَوَالْ

[صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم الخِلقيّة والخُلُقيّة]

٥٥. وَبِامْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى هَبْ لَنَا مَآثِمَ[3] الْفِعْلِ لِبِرِّ الْمَقَالْ

٥٦. فَمَا سِوَى حُبِّي[4] لِلْمُصْطَفَى وَسِيلَةٌ لِي بِعُرَاهَا اتِّصَالْ

٥٧. ذَلِكَ[5] تَجْرِي وَعَلَى فَضْلِهِ طَمِعْتُ فِي الْفَضْلِ[6] بِلَا رَأْسِ مَالْ

٥٨. فَإِنْ يَفُزْ قِدْحِي[7] بِمَدْحِي لَهُ فَقَدْ يُجِلُّ النُّورُ قَدْرَ الذُّبَالْ[8]

٥٩. وَرَائِدُ الْغُرِّ الْغَوَادِي[9] عَلَى مَوْثِقَةٍ مِمَّا نَوَى مِنْ نَوَالْ

٦٠. أَعْظِمْ بِأَمْدَاحِ[10] نَبِيِّ الْهُدَى حَبْلَ اعْتِلَاقٍ أَوْ شِفَاءَ[11] اعْتِلَالْ

٦١. خَيْرُ الْوَرَى مِنْ بَادٍ أَوْ حَاضِرٍ أَكْرَمُهُمْ مِنْ حَافٍ أَوْ ذِي انْتِعَالْ

٦٢. فَادِيهِمُ مِنْ فَتَكَاتِ الرَّدَى هَادِيهِمُ فِي هَلَكَاتِ[12] الضَّلَالْ

٦٣. حَامِيهِمْ بِالْعَضْبِ[13] إِذْ لَا حِمَى كَالِيهِمُ[14] فِي الْخَطْبِ إِذْ لَيْسَ كَالْ

---

(١) في [أ]، [ب]: "انْثِيَال". وفي هامش النّسخة [أ] ورد تصحيح لتلك الكلمة بكلمة: "انسبال".
انثيال: من الفعل: انْثَالَ: أي تتابع وكثُر وصُبّ. وثال: صَبّ. والمعنى هنا أنّ رحمة الله تعالى متتابعة ومنصبّة على العصاة والمذنبين. لسان العرب، "ثَوَل"، ١٥١/٢.

(٢) في [هـ]: "بأعمالنا :: لكن رجا".

(٣) في [ج]: "مَآثَمَ".

(٤) في [ج]: "حَبِيبِي".

(٥) في [ب]: "ذَاكَ".

(٦) في [ب]: "طَمِعْتُ بِالْفَضْلِ".

(٧) **القِدْح**: بالكسر: السّهم قبل أن يُنصّل ويُراش. وهو العود إذا بلغ فشُذّب عنه الغصن وقُطع على مقدار النّبل. لسان العرب، ٥١/١١.

(٨) في [أ]: "فَقَدْ يَحُلُّ النُّورُ قَدَّ الذُّبَالْ". وفي [ج]: "فَقَدْ يُجِدِ النَّوْمُ قَدْرَ الذُّبَالْ".
والذّبال: الذُّبَالة: الفتيلة التي تُسرَج، أي يُصبَح بها السّراج، والجمع ذُبَال. لسان العرب، "ذبل"، ٢٦/٥.

(٩) في [هـ]: "الْغوَالِي".

(١٠) في [ج]: "بِأَمْدَحِ".

(١١) في [ج]: "أَوْ إِشْفَاءِ".

(١٢) في [ب]: "حادِيهِمْ مِنْ فتَكَاتِ".

(١٣) **العَضْب**: السّيف القاطع، وسيف عضْبٌ: قاطع. لسان العرب، ٢٥٢/٩.

(١٤) **كالِيهِم**: حافظهم وحارسهم، يقال: كلأك الله، أي حفِظك وحرسك. لسان العرب، "كلأ"، ١٣٢/١٢.

٦٤. مُنِيلُهُمْ إِذْ لاَ جَدَى[1] يُرْتَجَى مُقِيلُهُمْ إِذْ لاَ عِثَارٌ يُقَالْ

٦٥. قَرِيعُهُمْ فِي طَبَقَاتِ الْعُلاَ شَفِيعُهُمْ فِي عَرَصَاتِ السُّؤَالْ[2]

٦٦. مُرْوِيهِمْ فِي[3] حَوْضِهِ مِنْ صَدًى مُؤْوِيهِمْ فِي[4] جَاهِهِ فِي ظِلاَلْ[5]

٦٧. أَطْوَلُ مَنْ شَالَ بِسَيْفِ[6] النَّدَى أَصْوَلُ مَنْ فِي الْحَقِّ[7] بِالسَّيْفِ صَالْ

٦٨. مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِفَضْلِ الْهُدَى[8] فِي كُلِّ مَا عَمَّ الْهُدَى مِنْ خِصَالْ

٦٩. مِنْ بَاهِرِ الْحُسْنِ[9] وَفَضْلِ التُّقَى وَحِكْمَةِ النُّطْقِ وَمَجْدِ الْفِعَالْ[10]

٧٠. حَالٍ مِنَ الْعِلْمِ بِأَسْنَى حِلًى وَافٍ مِنَ الْحِلْمِ بِأَزْكَى[11] خِلاَلْ

٧١. نُورٌ مُبِينٌ صَادِقٌ فَارِقٌ مُبَشِّرٌ هَادٍ خِتَامٌ كَمَالْ

٧٢. أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْحَيَا[12] بِاسْمِهِ كَهْفُ الأَيَامَى لِلْيَتَامَى ثِمَالْ[13]

---

(١) **جدى**: الجدا: الغيث الواسع العامّ. وغيثٌ جَدا: لا يُعرَف أقصاه، لكثرته. لسان العرب، "جدا"، ٢/٢١٤.

(٢) إشارة إلى حديث الشفاعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((.. سلْ تُعطَ، واشفع تُشفَّع..)). رواه أنس بن مالك >. وأخرجه أحمد وغيره. انظر: مسند الإمام أحمد، رقم: ١٢٨٥٢، ٤/٤٥٨، ٤٥٩.

(٣) في [هـ]: "مُؤْوِيهِمْ مِنْ".

(٤) في [أ]، [ب]: "فِي".

(٥) إشارة إلى حديث الحوض، وهو قوله ﷺ: ((حوضي بين عدن وعمّان البلقاء.. من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا..)). رواه عبد الله بن عمر {. انظر: مسند الإمام أحمد، رقم: ٦١٦٢، ٢/٥٢٨.

(٦) في [ج]: "مَنْ شَالَ بِطِيبِ". وفي [هـ]: "مَنْ شَالَ بِشَيْبِ". وفيهما تحريف.

شَالَ: رفع، وكلُّ ما رتفع فهو شائل. لسان العرب، "شول"، ٧/٢٤٢.

(٧) في [ب]: "".مَنْ بِالْحَقِّ.

(٨) في [ب]، [ج]، [هـ]: "بِخَصْلِ الْمَدَى". وفي [د]: "بِخَصْلِ الْهُدَى".

(٩) في [ج]: "مِنْ بَهِيرِ الْحُسْنَى".

(١٠) في الحديث قوله ﷺ: ((أوتيت جوامع الكلم ..)). رواه أبو هريرة >. انظر: مسند أحمد، رقم: ٣، ٧٣٩٧/٦٣.

(١١) في [ب]: "بِأَسْنَى".

(١٢) الحَيا: من أسماء المطر. وحيّاهم الله بحَيا: أي أغاثهم. لسان العرب، "حيا"، ٣/٤٢٧.

قال أبو طالب عمّ الرّسول صلى الله عليه وسلم: **وأبيضَ يستسقى الغمامُ بوجهه ربيعَ اليتامى عصمة للأرامل**. ديوان أبي طالب بن عبد المطّلب، عليّ بن حمزة التّميمي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: محمّد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٧٥، ١٩٣، ٢٠٠.

(١٣) في [ب]: "كَهْفُ الْيَتَامَى لِلأَيَامَى ثِمَالْ".

ثِمال: أي مطعِم لهم، والثّميلة: ما يدّخره الإنسان من طعام أو غيره. لسان العرب، "ثمل"، ٢/١٢٨. وثملتُ القوم وأنا أثملُهم: أي أكون ثمالا لهم، أي غياثا وقواما يفزعون إليه. لسان العرب، ٢/١٣٠.

٧٣. /الرَّحْمَةُ[١] الْمُهْدَاةُ ضِمْنُ احْتِفَا ... وَالنِّعْمَةُ الْمُسْدَاةُ خِلْفُ[٢] احْتِفَالْ

[معجزات الرّسول صلى الله عليه وسلم]

٧٤. كَمْ آيَةٍ جَلَّ لَنَا كَمْ أَتَى[٣] ... وَغَايَةٍ جَلَّى[٤] بِهَا دُونَ تَالْ

٧٥. ذُو الْعَرْشِ أَسْمَى قَدْرَهُ فَاسْمُهُ ... فِي الْعَرْشِ مَقْرُونٌ مَعَ اسْمِ الْجَلَالْ[٥]

٧٦. وَذِكْرُهُ رَفَّعَ فِي ذِكْرِهِ ... حَمْدًا لِيَتْلُو مَدْحَهُ كُلُّ تَالْ

٧٧. أَعْطَاهُ دُونَ الرُّسْلِ خَمْسًا كَفَتْ[٦] ... يَدَ امْتِنَانٍ بِالْعَطَايَا[٧] الْجِزَالْ

٧٨. لَمْ يَبْعَثِ الرُّسْلَ اشْتِمَالاً وَفِي ... بِعْثَتِهِ[٨] لِلثَّقَلَيْنِ اشْتِمَالْ[٩]

٧٩. وَقِسْمَةُ الأَنْفَالِ حِلاًّ وَمَا ... مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِنَبِيٍّ حَلَالْ[١٠]

٨٠. وَالأَرْضُ طُهْرًا وَمُصَلًّى لأَنْ ... كَانَ لَهُ كَوْنٌ بِهَا وَاحْتِمَالْ[١١]

---

(١) في [ب]: "وَالرَّحْمَةُ".

(٢) في [ج]: "حِلْفُ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنّما بُعثتُ رحمة مهداة)). رواه أبو هريرة ﷺ. انظر: المعجم الأوسط، الطّبراني سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله وغيره، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، رقم: ٢٩٨١، ٢٢٣/٣.

(٣) في [أ]: "جلّ لنا كم أتى". وفي [هـ]: ".. جَلاَّ لَنَا أَوْ تَلاَ".

(٤) في [أ]، [ج]: "حَلَّ".

(٥) قال حسّان بن ثابت: **شقّ له من اسمه كي يُجلّه :: فذو العرش محمودٌ وهذا محمّدُ**. ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٣٠٦.

(٦) إشارة إلى حديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((أوتيت خمسًا لم يؤتَهنّ نبيّ قبلي ...)). رواه أبو ذرّ الغفاري >. انظر: مسند أحمد، رقم: ٢١٦٢٤، ١٤٨/٧.

(٧) في[ب]، [ج]، [د]، [هـ]: "فِي الْعَطَايَا".

(٨) في [أ]: "بَعْثِهِ".

(٩) أي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الثّقلين، وهما الإنس والجنّ. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا: ((أعطيت خمسًا لم يعطهنّ أحد قبلي ... وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود)). رواه جابر بن عبد الله {. انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النّيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، رقم: ٥٢١، ٣٧٠/١. قال شرّاح مسلم: "أحمر": أي الإنس، و"أسود" أي الجنّ.

(١٠) في [ب]: "حَلاَلْ".

وفي البيت إشارة للحديث السّابق، وهو قوله ﷺ: ((أوتيت خمسًا.. وأحِلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد كان قبلي)). رواه أبو ذرّ الغفاري >. انظر: مسند أحمد، رقم: ٢١٦٢٤، ١٤٨/٧.

(١١) في [ب]: "كَانَ لَهُ كَوْنٌ بِهَا وَاحْتِفَالْ". في [ج]: "كَانَ بِهَا وَاحْتِلالْ". وفي [د]، [هـ]: "كَانَ لَهُ كَوْنٌ بِهَا وَاحْتِلاَلْ".

٨١. وَالنَّصْرَ بِالرُّعْبِ لِشَهْرٍ[1] مَدًى   يُنَازِلُ الأَعْدَاءَ قَبْلَ[2] النُّزَالْ

٨٢. وَالنِّعْمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي نَالَهَا   شَفَاعَةُ الأُخْرَى وَنِعْمَ الْمَنَالْ[3]

[معجزة الإسراء والمعراج]

٨٣. وَلَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ أَسْرَى فَمَا[4]   أَسْدَى[5] وَأَسْنَى شَرَفًا فِي اللَّيَالْ

٨٤. جَالَ وَ"جِبْرِيلُ" أَنِيسٌ لَهُ   مِنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى حَيْثُ جَالْ

٨٥. حَتَّى انْتَهَى مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى   إِلَى مَقَامٍ لَمْ يَنَلْهُ مُنَالْ[6]

٨٦. قَالَ لَهُ الرُّوحُ مَقَامِي هُنَا   وَأَنْتَ فَاصْعَدْ لِمَقَامِ الْوِصَالْ[7]

٨٧. فَقَالَ: يَا أُنْسِيَ أَفْرَدْتَنِي   حَيْثُ دَهَتْنِي[8] مُدْهِشَاتُ الْجَلَالْ

٨٨. فَقَالَ: كَلَّا إِنَّمَا الأُنْسُ مَا   أَنْتَ مُوَالٍ وَلَكَ وَاللهُ[9] وَالْ

٨٩. طَـا[10] حَضْرَةُ الْقُدْسِ اتِّصَالًا فَمَا   أُبِيحَ مِنْهَا لِسِوَاكَ اتِّصَالْ[11]

٩٠. فَزَجَّهُ فِي النُّورِ زَجًّا رَأَى   وَرَاءَهُ لِلْحَقِّ نُورَ الْجَمَالْ

---

(١) في [ج]: "الشَّهْرَ".

وفي البيت إشارة للحديث السّابق، وهو قوله ﷺ: ((أوتيت خمسًا ... نُصرت بالرّعب، فيُرعب منّي العدوّ عن مسيرة شهر..)). رواه أبو ذرّ الغفاري <. انظر: مسند أحمد، رقم: ٢١٦٢٤، ١٤٨/٧.

(٢) في [ب]: "يُنَازِلُ الأَعْدَاءَ دُونَ". وفي [د]: "يُنَالُ الأَعْدَاءَ قَبْلَ".

(٣) قال النبي ﷺ: ((أنا أوّل شفيع في الجنّة ....)). رواه أنس بن مالك <. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم: ١٩٦، ١٨٨/١.

(٤) الإشارة إلى ليلة الإسراء والمعراج. قال الله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ..... ﴾. الآية (١) الإسراء.

(٥) في [ب]: "سَمَى". وفي [ج]، [هـ]: "أَسْرَى". وهو تحريف.

وأسدى: اصطنع معروفًا، وأعطى وأوْلى. من السّدى: وهو المعروف. لسان العرب، "سدي"، ٢٢٢/٦.

(٦) في [ب]، [د]، [هـ]: "مَقَالْ".

والْمُنَال هنا: طالب النّوال. والنّوال: الأُعطية. ونوّله ونَالَ له: أعطاه وجاد له. لسان العرب، "نول"، ٣٣٥/١٤.

(٧) **إشارة إلى حادثة جبريل عليه السلام لـمّا وصل ﷺ إلى سدرة المنتهى. قال الله تعالى:** ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾. **... الآيات (٥) إلى (١٨) من سورة النّجم.**

(٨) في [أ]: "دَهَشَنِي".

دهتني: من الدّهاء، وهو كلُّ ما أصابك من أمرٍ منكرٍ على وجه المأمن فقد دهاك. لسان العرب، "دها"، ٤٣٥/٤.

(٩) في [هـ]: "اللهُ".

(١٠) في [ب]: "هَا".

(١١) في [ب]: "مَا نُصَالْ".

٩١. شَاهَدَ مَا شَاهَدَ مِمَّا ارْتَقَى[١]	عَنْ مَبْلَغِ الْعَقْلِ[٢] وَوَهْمِ الْخَيَالْ
٩٢. فَقَالَ قَوْمٌ بِالْفُؤَادِ[٣] رَأَى	وَعَالِمٌ بِالْقَلْبِ وَالْعَيْنِ[٤] قَالْ
٩٣. وَلَيْسَ ذَا وَهْوَ مُحَالٌ عَلَى	حَالِ مَقَامِ الْحُبِّ مِمَّا يُحَالْ
٩٤. حَيْثُ تَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ	أَدْنَى نَجِيًّا فِي ظِلَالِ الدَّلَالْ[٥]
٩٥. وَبَعْدَ مَا فِي "النَّجْمِ"[٦] يُتْلَى عَلَا	ثُمَّ[٧] أَتَى وَالنَّجْمُ فِي الْأُفْقِ عَالْ
٩٦. / وَبِاحْتِمَالِ الْجِسْمِ وَالرُّوحِ فِي	مَسْرَاهُ صَحَّ الْقَوْلُ دُونَ احْتِمَالْ[٨]

[وجه المناسبة بين معجزة انشقاق الصّدر وانشقاقالقمر][٩]

٩٧. وَبِانْشِقَاقِ الصَّدْرِ طِفْلاً فَقِسْ	لَهُ انْشِقَاقَ الْبَدْرِ عِنْدَ اكْتِمَالْ
٩٨. لِنِسْبَةٍ بَيْنَهُمَا فِي الْهُدَى	وَالْحُسْنِ وَالْقُرْبِ وَبُعْدِ الْمَنَالْ
٩٩. فَنُورُ هَذَا[١٠] كَمْ جَلَا مِنْ دُجًى	وَنُورُ هَدْيٍ[١١] كَمْ هَدَى مِنْ ضَلَالْ
١٠٠. كَلاً بَلِ الْأَنْوَارُ حَيْثُ انْجَلَتْ	حِسًّا وَمَعْنًى مِنْهُ كُلاً تُنَالْ

[معجزة انشقاق القمر، وإعراض المشركين]

١٠١. وَلِانْشِقَاقِ الْبَدْرِ مِنْ نُورِهِ	أَبْدَى انْشِقَاقًا وَهْوَ تَغْيِيرُ حَالْ
١٠٢. شُقَّ هِلَالَيْنِ عَلَى صَفْحَتَيْ	ظَلْمَائِهِ فِي كُلِّ شَقٍّ هِلَالْ

---

(١) في [ب]: "ارْتَضَى".

(٢) في [ب]: "الْعِلْمِ".

(٣) في [ج]، [د]، [هـ]: "بِفُؤَادٍ".

(٤) في [ب]، [هـ]: "وَعَالِمٌ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ".

وهذه المسألة وهي: هل رأى النّبيّ ﷺ كل ذلك بالقلب فقط، أم بالعين والقلب معًا. مسألة خلافيّة عند أهل السّيرة. وجزم القاضي عياض أنّه رأى ذلك بالعين والقلب معًا، وحقّق المسألة. انظر: الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، اعتناء: عبده علي كوشك، وحدة البحوث والدّراسات، دبيّ، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٢٤٥.

(٥) في [ب]: "الْكَمَالْ".

(٦) إشارة إلى سورة النّجم:

(٧) حرف ساقط من [ب].

(٨) لا خلاف بين أهل السِّيَر أنّه ﷺ أسري به بجسده وروحه. ولكن الخلاف هو: هل أُعرج به بروحه فقط أم بجسده وروحه؟؟؟؟ انظر: الشّفا، ص٢٣٨، ٢٤٢.

(٩) انظر حادثة شقّ الصّدر ﷺ في: الشّفا، ص٢٣٠. وحادثة انشقاق القمر في: الشّفا، ص٣٤٤.

(١٠) في [ب]: "بِنُورِ هَذَا". وفي [ج]: "وَنُورَ هُدَى". وفي [د]: "وَنُورُ هَذَا".

(١١) في [ب]، [د]، [هـ]: "هَذَا".

١٠٣. وَالشَّطْرُ مِنْهُ لِاسْتِلَامِ الثَّرَى   بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسَّلَامِ اسْتِمَالْ[1]

١٠٤. بَلْ أَخْجَلَ[2] الْبَدْرَ لِنُقْصَانِهِ   فَانْحَطَّ مُنْشَقًّا لِبَدْرِ الْكَمَالْ

١٠٥. هُمْ سَأَلُوهُ[3] آيَةً أَعْرَضُوا   عَنْهَا وَقَدْ[4] جَاءَتْ وِفَاقَ السُّؤَالْ

١٠٦. قَالُوا وَقَدْ خَالُوا[5] بِسِحْرٍ أَتَى   فَقُلْتُ هَذَا السِّحْرُ سِحْرٌ حَلَالْ[6]

١٠٧. بَلْ عَجِبُوا مِنْ نُكْتَةِ[7] الْكَوْنِ أَنْ   أَعْطَاهُ رَبُّ الْكَوْنِ مَا مِنْهُ سَالْ

[في غار ثور، وبعض معجزاته η]

١٠٨. وَهِجْرَةٍ بَلْ وُصْلَةٍ لِلرِّضَى   وَرُبَّمَا نِيلَ بِهَجْرٍ وِصَالْ

١٠٩. ضَفَا[8] لِحُجْبِ السِّتْرِ دُونَ الْعِدَا   فِي الدَّارِ وَالْغَارِ عَلَيْهِ انْسِدَالْ[9]

١١٠. إِذْ غَارَ بِالْحِكْمَةِ نُورُ الْهُدَى   فِي الْغَارِ مِنْ غَارَةِ حِزْبِ الضَّلَالْ

١١١. وَمَا اخْتَفَى مِنْ خِيفَةٍ بَلْ لِأَنْ   تَظْهَرَ أَسْرَارُ مَعَانِي الْمَعَالْ

١١٢. حَيْثُ ثَنَى بَعْدُ عِنَانَ الثَّرَى[10]   "سُرَاقَةٌ" عَزْمَ الشَّرَى[11] وَاسْتَقَالْ

١١٣. هِيلَ كَثِيبُ الطِّرْفِ خَسْفًا بِهِ   عَنْ كَثَبٍ وَالصُّنْعُ لِلطِّرْفِ هَالْ

---

(١) استمال: الميْل: العدول إلى الشّيء والإقبال عليه. واستمال: من الميْل إلى الشّيء. لسان العرب، "ميل"، ٢٣٤/١٣.

(٢) في [ب]: "خَجِلَ".

(٣) في [ب]، [د]، [هـ]: "سَأَلُوهَا".

(٤) كلمة ساقطة من [ب].

(٥) في [هـ]: "جَالُوا".

(٦) في [ب]: "سِحْرُ الْحَلَالْ".

(٧) في [ج]: "نُكْتَةٍ".

(٨) ضفا: كثُر وفاض وسبغ. لسان العرب، "ضفا"، ٧٥/٨.

(٩) انسدال: استرسال. وسدله: أرخاه وأرسله. لسان العرب، "سدل"، ٢١٨/٦.

(١٠) في [ب]: "الرِّضَى". وفي [ج]، [د]، [هـ]: "الرَّدَى".

(١١) في [ب]، [ج]، [د]: "سُرَاقَةُ عَزْمِ الشَّرَى". [هـ]: "سُرَاقَةٌ عمّا سرى". وفيها تحريف.

الشَّرى: هو موضع تُنسب إليه الأُسْد، ويقال للشّجعان: أُسُود الشّرى. لسان العرب، "شرى"، ١٠٦/٧.

وسراقة هو: سُراقة بن مالك بن جُعشُم، أبو سفيان، المدلجي، الكناني. أحدُ الصّحابة، يُعدّ في أهل المدينة، ويقال إنّه سكن مكّة. مات < سنة: ٢٤هـ في صدر خلافة عثمان >. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، اعتناء: عادل مرشد، دار الأعلام، عمّان، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، رقم: ١١٠٦، ص٣٢٠.

١١٤. أَهْـوَى كَمَـا أَهْـوَتْ بِمِيـلَادِهِ   مِنْ قَصْرِ "كِسْرَى"[1] الشُّرُفَاتُ الْعَوَالْ

١١٥. نِسْبَـةُ حَـالٍ كَـانَ مِنْ سِرِّهَـا   أَنْ بِسِوَارَيْـهِ غَـوَى[2] وَهْـوَ حَـالْ

١١٦. هُنَاكَ هَامَتْ بِالْحِمَـامِ[3] الْعِدَا   فَحَـامَ حَوْلَيْـهِ حَمَـامٌ فَحَـالْ[4]

١١٧. فَاطَّـرَدَ الْكَسْـرُ[5] عَلَى جَمْعِهِمْ   وَاطَّـرَدَ الْفَتْـحُ لَـهُ صِدْقَ فَـالْ[6]

١١٨. /وَالْعَنْكَبُـوتَ اعْتَمَـدُوا حُجَّةً   خَـالُوا بِهَا الْغِيـلَ[7] مِنَ اللَّيْثِ خَالْ

١١٩. فَاعْجَبْ لَهُمْ بِالْوَاهِنِ[8] اسْتَوْثَقُوا   ظَنًّـا وَلِلْبُرْهَـانِ[9] هُـمْ فِي جِدَالْ

١٢٠. مَا أَصْدَقَ "الصِّدِّيقَ"[10] فِي قَوْلِهِ   عَـدْلٌ لَنَـا فِي حُجَجِ الصِّدْقِ قَالْ

---

(١) قال البوصيري: وبات إيوان كسرى وهو منصدع :: كشمل أصحاب كسرى غيرَ ملتئمِ. البردة، ص٦.

كسرى: هو كسرى بن هرمز، ويعرَف أيضا بكسرى أنوشروان بن قبازين فيروز، وهو بالفارسيّة خُسرو. عظيم الفرس في العراق وحواليها. كان يلقّب نفسه بملك الملوك، ودام ملكه سبعا وأربعين سنة وستّة أشهر، حيث انتهى بمقتله على يد ابنه شيرويه، وملك هذا الابن بعده، ولم يدم ملك الابن إلاّ ستّة أشهر. تهذيب الأسماء واللّغات، النّووي يحيى بنشرف (ت٦٧٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت، ٦٧/٢. المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي موهوب بن أحمد (ت٥٤٠هـ)، اعتناء: د. ف عبد الرّحيم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٥٣٨.

والحادثة إشارة إلى ارتجاج إيوان كسرى عند ميلاد الرّسول ﷺ، وما جرى من العجائب الأخرى. انظر: الشّفا، ص٤٦٠.

(٢) في [ب] "غَرَا". وفي [ج]، [د]، [هـ]: "غَدَا".

"وهو حال"، أي غارق في الرّمل. وانظر هذه المعجزة التي أخبر بها النّبيّ ﷺ سراقة بقوله: ((كيف بك إذا أُلبِست سِوَارَيْ كسرى))، ووقع له ذلك فعلا في زمن عمر بن الخطّاب >، ولبس سواري كسرى. الشّفا، ص٤٣٠.

(٣) في [ب]: "سَمَتْ بالْحِمام".

الحِمام: بالكسر قضاء الموتِ وقدَرُه. والحِمَم: المنايا. لسان العرب، "حمم"، ٣٣٨/٣.

(٤) في [هـ]: "فَجَالْ".

أي حال الحَمام دون تيقّن الكفّار بوجود النّبيّ محمّد ﷺ بداخل الغار. انظر معجز الحمامتين في غار ثور في: الشّفا، ٣٨٣. وقال البوصيري: **ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على :: خير البريّة لم تنسُج ولم تحُمِ**. البردة، ص٧.

(٥) في [ج]: "فَاطَّرَدَ الْكِسْرَى".

(٦) في [أ]: "وأطْرَبَ الفتحُ له صدقَ بَالْ". في [ج]: "وَاطَّرَدَ الْفَتْحُ لَهُمْ صِدْقَ فَالْ".

(٧) **الغِيل**: بالكسر: الأجَمَة، وموضع الأسد غيلٌ، والجمع غيولٌ. لسان العرب، "غيل"، ١٦٠/١٠.

(٨) في [ج]: "بِالرَّاشِ".

وفي قوله "الواهن" إشارة إلى حادثة العنكبوت التي ضربت بنسجها على غار ثور، فكيف بهؤلاء الكفّار لم يصدّقوا بنبوّة محمّد ﷺ، وصدّقوا أمر العكنبوت؛ حيث قالوا إنّه لا يوجد بالغار أحد، نظرا لوجود نسج العنكبوت عليه؟!. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾. من الآية (٤١) من سورة العنكبوت. وانظر حادثة العنكبوت في: الشّفا، ص٣٨٣.

(٩) في [د]: "وَبالْبُرْهَانِ".

(١٠) في [ب]: "الطَّرِيقَ".

١٢١. أشْفَقَ لا حِرْصًا عَلَى نَفْسِهِ	بَلْ غَارَ مِنْ عِلْقٍ نَفِيسٍ يُزَالْ[١]
١٢٢. يَا أَيُّهَا الصِّدِّيقُ بُشْرَاكَ لا	تَحْزَنْ[٢] وَشِمْ لِلنَّصْرِ أَمْضَى النِّصَالْ
١٢٣. فَحِكْمَةُ الْعِصْمَةِ أَحْرَزَهَا[٣]	مَا بَيْنَ أَظْفَارِ الظُّبَا[٤] وَالْعَوَالْ
١٢٤. لِلَّهِ مَا أَشْرَفَهَا غُرَّةً[٥]	لَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ مِنْهَا ابْتِهَالْ
١٢٥. نُبُوَّةٌ لاحَتْ بَرَاهِينُهَا[٦]	قَطْعِيَّةٌ تُرْغِمُ أَنْفَ الْجِدَالْ
١٢٦. وَهَلْ جِدَالٌ فِي عُلاً[٧] أَوْجَبَتْ	وَ"آدَمُ" فِي طِينِهِ ذُو انْجِدَالْ[٨]
١٢٧. وَإِذْ بَدَتْ فِي وَجْهِهِ غُرَّةٌ[٩]	خَرَّتْ لَهُ الأَمْلاكُ طَوْعَ امْتِثَالْ[١٠]
١٢٨. وَ"نُوحٌ" إِذْ نُجِّيَ فِي فُلْكِهِ	كَانَ عَلَى أَنْوَارِهَا ذَا[١١] اشْتِمَالْ
١٢٩. كَذَا "خَلِيلُ" اللَّهِ فِي نَارِهِ	مِنْ نُورِهِ أُهْدِيَ هَدْيَ[١٢] الْخِلالْ
١٣٠. إِذْ قَالَ "جِبْرِيلُ" لَهُ سَلْ تَنَلْ[١٣]	فَقَالَ عِلْمُ الْحَالِ حَسْبُ السُّؤَالْ

---

(١) في [هـ]: "يُذَالْ".

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾ ﴾. من الآية (٤٠) من سورة التّوبة.

(٣) في [ب]، [د]، [هـ]: "إِحْرَازُهَا".

(٤) في [هـ]: "الضُّبَى".

(٥) في [ج]: "عِزٌّ". وفي [د]، [هـ]: "عِزَّةً".

(٦) في [ب]: "بَرَاهِنُهَا".

(٧) في [ب]: "عُلَى". وفي [هـ]: "عُلُوّ".

(٨) **انجدال**: المنجدل: السّاقط، والمجدّل الملقى بالجدالة، وهي الأرض. لسان العرب، "جدل"، ٢١٢/٢. وهذا المعنى من البيت أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنّي عبد الله لخاتم النّبيّين، وإنّ آدم # لمُنجدِل في طينته ..)). رواه العرباض بن سارية. انظر: مسند أحمد، رقم: ١٧٢٨٠، ٧٤٣/٥.

(٩) **الغُرّة** هي: بياض في الجبهة. وفرس أغرّ: أي في جبهته بياض. لسان العرب، "غرر"، ٤٣/١٠.

(١٠) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴿٣٤﴾ ﴾. الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(١١) في [ب]: "أَنْوَارِهَا ذُو". في [هـ]: "أَنْوَارِ هَذَا". وهو تصحيف.

(١٢) في [أ]: "مِنْ نُورِهِ أَهْدَى هُدَى". وفي [ب]، [ج]: "مِنْ نُورِهَا أَهْدَى هُدَى".

قال الله تعالى في حقّ إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾. من الآية (١٢٥) من سورة النّساء.

(١٣) في [أ]: "تَنَالْ". وهو خطأ إملائي.

وفيه إشارة إلى قول جبريل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام لمّا ألقي في النّار: ((.. أنا جبريل، ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا، حاجتي إلى الله ربّي ..)).. الأثر رواه أحمد بن حنبل. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، اعتناء: محمّد ناصر الدّين الألباني، دار الصّفوة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الحديث التّاسع والأربعون، من ثمار التّوكّل على الله، ص٥٠١.

١٣١. وَنَـالَ "إِسْمَاعِيـلُ" مِنْـهُ الْفِـدَا بِالذَّبْحِ أَوْ "إِسْحَـاقُ" إِنْ صَحَّ نَـالْ(١)

١٣٢. وَ"هُـودٌ" اسْتَجْلَى لَدَيْـهِ(٢) الْـهُدَى وَ"يُـوسُـفُ" مِنْـهَاتَـحَـلَّى(٣) الْـجَمَـالْ

١٣٣. وَخِلْعَةَ الإِشْـرَاقِ مِنْـهَا(٤) اكْتَسَى بِالطُّورِ "مُـوسَـى" عِنْـدَ خَلْعِ النِّـعَالْ(٥)

١٣٤. وَ"الـرُّوحُ" رُوحُ اللهِ لاَقَـى بِهَـا بُـشْـرَى تَـلَـقَّـتْـهَـا صُـدُورُ الـرِّجَـالْ

١٣٥. فَيَـا لَـهُ نُـورَ انْـتِـقَـاءٍ(٦) بَـدَا فِـي غُــرَرِ الآبَــاءِ مِـنْــهُ انْـتِـقَـالْ

١٣٦. وَالشَّمْسُ وَالْبَـدْرُ مَعًا وَالضُّحَى وَالـشُّـهْـبُ مِـنْــهُ أَشْـرَقَـتْ وَالْـهِـلاَلْ(٧)

١٣٧. وَنُــورُهُ أَجْـلَـى وَبُـرْهَـانُــهُ أَعْـلَـى وَكَـمْ مِـنْ دُونِـهَـا مِـنْ مَـعَـالْ

١٣٨. تَـفَـجَّـرَتْ أَنْـمُـلُــهُ بِـالـنَّـدَى مَـعْـنًـى وَبِـالْـحِـسِّ جَـرَتْ بِـالــزُّلاَلْ(٨)

١٣٩. وَأَنْــطِـقَ الـطَّـيْـرُ بِـتَـصْـدِيـقِـهِ وَأَفْـصَــحَ الــذِّيــبُ(٩) وَالْـغَــزَالْ

١٤٠. وَسَبَّحَتْ فِـي رَاحَتَيْـهِ الْحَصَى(١٠) وَانْـهَــزَمَ الْـجَـمْـعُ بِـحَـثْـوِ(١١) الـرِّمَـالْ

---

(١) في [ب]، [د]: "قَالْ".

قال الله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ ﴾. الآية (١٠٧) من سورة الصّافّات. وأغلب المفسّرين على أنّه إسماعيل عليه السلام. وهناك من قال إسحاق عليه السلام. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرّازي عبد الرّحمن بن محمّد (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطّيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرّياض، مكّة المكرّمة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، سورة الصّافّات، الآية (١٠٧)، ١٠/٣٢٢٣. تهذيب الأسماء واللّغات، ١/١١٦، ١٢٠.

(٢) في [ب]: "لَدَيْهَا".

(٣) في [أ]: "ويُوسُف منْهُ تَجَلّى". والصّواب ما هو مثبت، لأنّ "منها تحلّى" تعود على "الغرة" في البيت: ١٢٤.

(٤) في [أ]، [د]: "مِنْهُ". والصوّاب ما هو مثبت، لأنّه يعود على "الغرّة".

(٥) إشارة إلى قوله تعالى خطابا لموسى عليه السلام: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾. الآيتان (١٢- ١٣) من سورة طه.

(٦) في [أ]: "فَيَا لَهُ مِنِ انْتِقَالٍ". في [ب]: "فَهْيَ لَهُ نُورُ اقْتِفَاءٍ". وفي [ج]: "فَيَا لَهُ نُورًا شِفَاءً". والصّواب ما هو مثبت، حتّى يكون جناس بين كلمة "انتقاء" في الصّدر، و"انتقال" في العجز.

(٧) في [ب]: "أو لهال". وهو خطأ إملائي.

(٨) إشارة إلى معجزة تكثير الماء من بين أصابعه الشّريفة ﷺ. انظر: الشّفا، ص٣٤٨، ٣٥٢.

(٩) في [ب]، [د]، [هـ]: "الذِّئْبُ بِهِ".

انظر معجزة الطّير، الذّئب، الغزال في: الشّفا، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠.

(١٠) انظر معجزة تسبيح الحصى في: الشّفا، ص١٠٠، ٣٢٧.

(١١) في [ج]، [د]، [هـ]: "لِحَثْوِ".

إشارة إلى يوم الهجرة لـمّا خرج ﷺ من الباب ورمى على وجههم ترابا، وقرأ فواتح سورة يس. انظر: سيرة ابن هشام، ٢/١٠٣، ١٠٤. وكذلك الإشارة إلى غزوة حُنين لمّا أخذ رسول الله قبضة من تراب، ورمى بها في وجوه الكفّار، وقال: "شاهت الوجوه". انظر: الشّفا، ص٤١٣.

١٤١. وَالْجِذْعُ قَدْ عُوِّضَ مِنْ أَصْلِهِ(١) ... بِفَصْلِهِ حَنَّ حَنِينَ الْفِصَالْ(٢)

١٤٢. وَهَلْ إِلَى آيَاتِهِ مُنْتَهَى ... وَعَنْ عُلَى غَايَاتِهِ(٣) النَّجْمُ آلْ

١٤٣. فَمَا بَلِيغٌ بَالِغٌ(٤) وَصْفَهُ ... يَقْصُرُ عَنْ ذَاكَ الْمَقَامِ الْمَقَالْ

١٤٤. وَبَعْدَ مَبْدَإِ "نُونٍ" أَوْ مُنْتَهَى ... "بَرَاءَةٍ" مَاذَا عَسَى أَن يُقَالْ(٥)

١٤٥. يَاسَيِّدَ(٦) الْكَوْنَيْنِ فَضْلًا بِهِ ... قَدْ سَادَ فِي الْأُولَى وَيَوْمَ الْمَآلْ

١٤٦. يَا سَابِقَ(٧) الرُّسْلِ اصْطِفَاءً وَيَا ... خَاتِمَهُمْ جَمْعًا لِمَعْنَى الْكَمَالْ

١٤٧. يَا مَلْجَأَ الْخَلْقِ وَمَنْجَاهُمُ ... إِذَا بِهِمْ ضَاقَ انْفِسَاحُ الْمِحَالْ(٨)

١٤٨. يَا مَنْ بِهِ نَالَ الْمُحِبُّ الرِّضَى ... وَيَا شَفِيعًا فِي الذُّنُوبِ الثِّقَالْ

١٤٩. رُحْمَاكَ فِينَا يَا نَبِيَّ الْهُدَى ... فَلَمْ تَزَلْ رُحْمَاكَ ذَاتَ انْهِمَالْ(٩)

١٥٠. رُحْمَاكَ فِي أَوْطَانِنَا رَاعِهَا ... مِنْ لَحْظِكَ الْأَحْمَى بِعَيْنِ اهْتِبَالْ(١٠)

---

(١) في [ج]: "إِذْ عُرِّضَ مِنْ وَصْلِهِ". وفي [ب]، [د]، [هـ]: "إِذْ عُوِّضَ مِنْ وَصْلِهِ".

(٢) الفِصال: جمع فصيل: وهو ولد النّاقة إذا فُصل عن أمّه، والجمع: فصلان وفصال. لسان العرب، ٢٧٣/١٠.
وانظر معجزة حنين الجذع في: الشّفا، ص٣٦٩.

(٣) في [ب]، [ج]: "غَايَتِهِ".

(٤) في [ج]، [د]، [هـ]: "بَالِغًا".

(٥) أي أنّ الله تعالى زكّى نبيّه ﷺ في بداية سورة "نون"، كما زكّاه في آخر سورة التّوبة. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾. الآية (٤) من سورة القلم. وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾. الآية (١٢٨) من سورة التّوبة.

(٦) في [ج]: "يَاسَيِّدِي".

(٧) في [أ]: "يا أَسْبَقَ".

(٨) في [ب]، [د]، [هـ]: "الْمَجَالْ".
والمِحَال: الكيد، وروْم الأمر بالحِيَل. ماضيه: محَل، يمحَل، محْلا. لسان العرب، "محل"، ٤٠/١٣.

(٩) البيت كلّه ساقط من [ج].

(١٠) في [ج]: "مِنْ لَحْظِكَ الأَحْظَى حِمًى بِعَيْنِ اهْتِبَالْ". وفي [هـ]: "مِنْ لَحْظِكَ .. ابْتِهَالْ".
الاهتبال هو: الاغتنام والاحتيال، يقال: اهتبلتُ غفلتَه واحتلتُ له حتّى وجدتُها. لسان العرب، "هبل"، ٤٧٠/١٥.

بديع المقال في ذكر تقلبات الأحوال وامتداح من نبع من بين أنامله الزلال للإمام الشران

١٥١. رُحْمَاكَ فِي سُلْطَانِنَا وَالِهِ(١) مِنْ نَصْرِكَ الأَمْضَى بِأَرْضَى مُوَالْ(٢)

١٥٢. رُحْمَاكَ فِي غُرْبَتِنَا كُنْ لَهَا أُنْسًا فَإِنَّ الْعَهْدَ بِالأُنْسِ طَالْ

١٥٣. رُحْمَاكَ فِي كُرْبَتِنَا حُلَّهَا(٣) مِنْكَ بِبُشْرَى(٤) فَهْيَ رَهْنُ اعْتِقَالْ

١٥٤. رُحْمَاكَ فِي عَيْلَتِنَا أَغْنِهَا إِنَّا عَلَى رِفْدِكَ طُرًّا(٥) عِيَالْ

١٥٥. رُحْمَاكَ فِي قِلَّتِنَا زَكِّهَا زَكَاةَ تَكْثِيرٍ بِجَاهِ(٦) وَمَالْ

١٥٦. صَالَتْ عَلَيْنَا بِالْوُفُورِ(٧) الْعِدَا وَهَلْ عَلَى رَاجِيكَ غَوْثًا(٨) يُصَالْ

١٥٧. طَالَتْ(٩) بِعَدٍّ وَاعْتِدَادٍ مَعًا وَمَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ يُسْتَطَالْ(١٠)

١٥٨. خَالَتْ بِأَنَّا لاَ غِيَاثَ لَنَا حَاشَى غِيَاثَ الْخَلْقِ مِمَّا يُخَالْ

١٥٩. وَبِالْغِنَى اخْتَالَتْ وَمَا إِنْ لَنَا فِي غَيْرِ أَفْيَاءِ(١١) غِنَاكَ اخْتِيَالْ

---

(١) في [ج]: "والَهِ".

والسّلطان المشار إليه هو: الغالب بالله محمّد الأيسر أبو عبد الله، الذي دامت خلافته من ٨٢٧هـ إلى ٨٥٤هـ، حيث عانى فيها هذا السّلطان من فتن داخليّة بين ملوك بني نصر في غرناطة، وهجمات إسبانيّة وتحالفات خارجيّة، بين نصارى الإسبان والإنكليز وغيرهم، فكان لا يغمض لهؤلاء جفن في مجال التّربّص بالمسلمين في غرناطة للانقضاض عليهم واحتلالها. انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،د. خليل إبراهيم السّامرائي وغيره، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ص٣٠٠. آفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص٤٢ فما بعدها.

(٢) في [ب]، [هـ]: "نَوَال".

والموال: أي موالي، وهو النّاصر؛ من الوِلاية: وهي النُّصرة. لسان العرب، "ولي"، ٤٠١/١٥.

(٣) في [ج]، [د]: "جَلِّهَا".

(٤) في [ب]: "ويُسْرٍ". وفي [ج]: "بِسِرًّا". وفي [د]، [هـ]: "بِسِرٍّ".

(٥) رِفدك: الرِّفْد بالكسر: العطاء والصّلة. ورَفَده رفدا: أعطاه. لسان العرب، "رفد"، ٢٦٤/٥.

طُرّا: جميعا. لسان العرب، "طرر"، ١٤١/٨.

(٦) في [ب]، [د]، [هـ]: "لِجَاهٍ".

(٧) في [أ]: "بجنود". وهو لا يستقيم مع الوزن.ومعنى "بالوفور" أي بالكثرة.

الأعداء الذين أشار إليهم هم النّصارى الإسبان ومن تحالف معهم، حيث توالى الزّحف النّصراني على قاعدة مملكة السّلطان الغالب بالله، وكثّفوا غاراتهم على سائر البلدان الأندلسيّة، مع ما ابتلي به هذا السّلطان من الفتن الدّاخليّة. انظر: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٠٠. آفاق غرناطة، ص٤٢.

(٨) في [أ]: "وَهَلْ إِلَى رَاجِيكَ غَوْثًا يُصَالْ". وفي [ج]: "وَهَلْ عَلَى رَاجِيكَ غَوْثُ إِيصَالْ".

(٩) في [هـ]: "صَالَتْ".

(١٠) في [ب]: "وَهَلْ عَلَى ذَاكَ الْحِمَى يُسْتَطَالْ". وفي [ج]، [د]، [هـ]: "وَمَا عَلَى ذَاكَ الْحِمَى يُسْتَطَالْ".

(١١) في [أ]: "فِي غَيْرِ مَا فِيهِ". في [ب]: "إِمْلاَءِ".

والأفْيَاء: جمع فَيْء، وهو الظِّلّ، وأصل الفيْء: الرّجوع، فالظّلّ يكون في جانب ويرجع إلى جانب آخر. والغنيمة فيْء، لأنّها ترجع للمسلمين بعد أن كلانت للكفّار. لسان العرب، "فيأ"، ٦٣١/١٠.

١٦٠. فَأَنْتَ لِلْخَلْقِ مَلاذُ الْوَرَى   وَالْوَزَرُ الأَحْمَى[1] لَدَى ذِي الْجَلالْ

١٦١. صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ نُورَ الْهُدَى   أَزْكَى صَلاةٍ قُرِنَتْ بِالْجَمَالْ[2]

١٦٢. يَصْحَبُهَا أَزْكَى سَلامٍ بِهِ   نَنَالُ أَمْنًا مِنْ جَمِيعِ الْوَبَالْ[3]

[ابتهال وتضرع واستغاثة]

[انتهت بحمد الله والصّلاة على مولانا رسول الله

وهذه القصيدة لابن الشّرّان الأندلسي، نظمها لبعض الملوك الأندلسيّين، وكان هذا السّيّد خامل الذّكر، ففطن به بعض جلساء الملك، فحُضّ الملكُ على أن يستغيث بهذا السّيّد، فاستغاث به، فأعانه بهذه القصيدة، وأمره بقراءتها، فقرأها في ليلة، فمات الملك المعاصر له، فاستوى على ملكه. والله أعلم. انتهى][4].

---

(١) الوَزَر الأحْمى: الوزَر: الملجأ، وأصل الوَزَر: الجبل المنيع، وكلُّ معقِل وزَر. لسان العرب، "وزر"، ١٥/٢٨٤.

(٢) في [ج]، [د]: "قُورِنَتْ بِاتِّصَالْ". وفي [ب]، [هـ]: "قُرِنَتْ بِاتِّصَالْ". والصّواب ما هو مثبت، أي كلمة "الجمال"، لأنّها سبقها في نهاية البيت الذي قبله عبارة "الجلال"، فناسب أن يكون بعدها كلمة "الجمال".

(٣) هذا البيت كلّه غير ثابت في [ب]، [ج]، [د]، [هـ]. وأثبتّه هنا نظرا لالتزامي بالكتابة من النّسخة [أ] وجعلها أصلا للنّصّ.

(٤) في النّسخة [ب] كتب عوض ما بداخلين المعقوفين ما يلي: "انتهت بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا طيّبا مباركا فيه". وفي النّسخة [ج]، [د]: "انتهت القصيدة".

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم، كلام الله تعالى، برواية حفص عن عاصم.

٢- ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، دار الكتب الوطنيّة، الإمارات، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثّالث عشر والرّابع، ابن سودة عبد السّلام بن عبد القادر، تحقيق: محمّد حجّي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤- أزهار الرّياض في أخبار عياض، أحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني شهاب الدّين، اعتناء: مصطفى السّقّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البرّ يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، اعتناء: عادل مرشد، دار الأعلام، عمّان، الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٦- آفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٧- البردة، الإمام البوصيري، شرح إبراهيم الباجوري، اعتناء: عبد الرّحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٨- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،د. خليل إبراهيم السّامرائي وغيره، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٩- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرّازي عبد الرّحمن بن محمّد (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمّد الطّيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرّياض، مكّة المكرّمة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٠- تهذيب الأسماء واللّغات، النّووي يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت.

١١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، اعتناء: محمّد ناصر الدّين الألباني، دار الصّفوة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٢- جنّة الرّضا في التّسليم لما قدّر الله وقضى، محمّد بن عاصم الغرناطي أبو يحيى (ت٨٥٧هـ)، تحقيق: د. صالح جرّار، دار البشر، عمان، الأردن، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٣- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمّد المحبّي، المطبعة الوهبيّة، مصر، ١٢٨٤هـ،

١٤- ديوان ابن فركون، اعتناء: محمّد بن شريفة، مطبوعات أكاديميّة المملكة المغربيّة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٥- ديوان أبي الحسن عليّ بن محمّد التّهامي (ت٤١٦هـ)، تحقيق: د. محمّد بن عبد الرّحمن الرّبيع، مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٦- ديوان الإمام الشّافعي، اعتناء: عبد الرّحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٧- ديوان أبي طالب بن عبد المطّلب، عليّ بن حمزة التّميمي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: محمّد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٨- ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م..

١٩- رحلة القلصادي، أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت٨٩١هـ)، دراسة وتحقيق: محمّد أبو الأجفان، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، ١٩٧٨م.

٢٠- روضة الإعلام بمنزلة العربيّة من علوم الإسلام، محمّد بن عليّ بن الأزرق الغرناطي أبو عبد الله (ت٨٩٦هـ/١٤٩١م)، تحقيق: سعيدة العلمي، منشورات كلّيّة الدّعوة الإسلاميّة، طرابلس ط١، ١٤٢٩هـ/١٩٩٩م.

٢١- زهر الأكم في الأمثال والحكم، اليوسي الحسن، تحقيق: د. محمّد حجّي وغيره، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٢- سنن التّرمذي "الجامع الكبير"، التّرمذي محمّد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٢٣- شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، محمّد مخلوف، المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٢٤- شرح نظم الشّرّان في الفرائض للقلصادي، مخطوط الإسكوريال، رقم: ٨٥٣.

٢٥- الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، اعتناء: عبده علي كوشك، وحدة البحوث والدّراسات، دبيّ، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٦- الصّحاح "تاج اللّغة وصحاح العربيّة"، الجوهري إسماعيل بن حمّاد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٧- صحيح البخاري "الجامع الصّحيح"، البخاري محمّد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب، ترتيب: محمّد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السّلفيّة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٨- صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النّيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار

إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، توزيع: دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٩- فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦، القسم الأوّل من فهرس آداب اللّغة العربيّة، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ/١٩٢٧م.

٣٠- كشّاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنيّة، إنجاز: عمر عمّور، تقديم: أحمد شوقي بنين، منشورات الخزانة الحسنيّة، المغرب، د.ت.

٣١- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي، تحقيق: أ. محمّد مطيع، المملكة المغربيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٢- لامية الشّرّان، مخطوط، مؤسّسة الملك عبد العزيز، الدّار البيضاء، المغرب، النّسخة [أ].

٣٣- لامية الشّرّان، مخطوط، مؤسّسة الملك عبد العزيز، الدّار البيضاء، المغرب، النّسخة [ب].

٣٤- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، اعتناء: أمين محمّد عبد الوهاب وغيره، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٥- مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: السّيّد أبو المعاطي النّوري وغيره، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٦- مصادر الفقه المالكي أصولا وفروعا في المشرق والمغرب قديما وحديثا، بشير ضيف الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٧- مظهر النّور، أبي الحسين ابن فركون، إعداد: محمّد ابن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربيّة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٨- المعجم الأوسط، الطّبراني سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله وغيره، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٩- معجم المؤلّفين "تراجم مصنّفي الكتب العربيّة"، عمر رضا كحالة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٤٠- المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي موهوب بن أحمد (ت٥٤٠هـ)، اعتناء: د. ف عبد الرّحيم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤١- موارد الضّمآن لدروس الزّمان، عبد العزيز المحمّد السّلمان، الرّياض، ط٣٠، ١٤٢٤هـ، ١١٨/٣، ١٢٠.

٤٢ - نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي (ت١٠٣٦هـ)، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلّيّة الدّعوة الإسلاميّة، طرابلس، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٨٩م.

٤٣ - فهرس الكتب العربيّة الموجودة بدار الكتب المصريّة لغاية آخر شهر مايو سنة ١٩٢٦، القسم الأوّل من فهرس آداب اللّغة العربيّة، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ/١٩٢٧م.

٤٤ - اليواقيت الثّمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، محمّد البشير ظافر الأزهري، مكتبة الملاجئ العبّاسيّة، القاهرة، ١٣٢٤هـ.

44- Catalogue of the Arabic, Persian and Turkish Manuscripts in Belgium Volume 1 Handlist, Part 1: Université de Liège.

بديع المقال في ذكر تقلبات الأحوال وامتداح من نبع من بين أنامله الزلال للإمام الشران